

إمسان عبد القادر

# أنف وثلاث عيون

١

الناشر: مكتبة مصر  
٣ شارع كامل صدقي "الغزالة"

دار مصر للطباعة  
سعيد جودة النجار وشركاه

## المين الأولى

- [A] -

لا ... ليس هناك شيء اسمه : الحب .  
انى أضحك على البنات العبيطات اللاتي يهمن وراء ثاوها  
عبد الوهاب ، ونحيب عبد الحليم حافظ ، ويسكن صباهن بين  
سطور القصص والأفلام العاطفية .. ثم يعلقن أو هامهن فوق  
أول شهاب يلتقين به ، ويمزقن قلوبهن بأظافرهن ، ويصرخن :  
لقد وقعنا فى الحب ..

لا يا بنات ..

لا يا واهمات ..

ليس هناك شيء اسمه : الحب ..

صدقونى ...

انى أعرف ... انى خبيرة .. انى صاحبة تجربة كبيرة :  
مريرة ..

ان ما يسمى حبا ليس .. ليس الا ... ماذا أقول .. انه  
.. انه مجرد تعود .. نعم ، مجرد تعود .. تتعودين على  
رجل ، وتتأصل فيك العادة ، حتى تظنين انها الحب .. أو تسينها  
حبا .. تماما كما نقول ان هذا الرجل يحب الويسكى . هل يعقل  
ان يقع رجل فى حب الويسكى .. ولكننا نستعمل كلمة « الحب »  
بالنسبة للويسكى ، كما نستعملها بالنسبة للعلاقات الانسانية ...  
لان العنصر الانسانى الذى تقوم عليه العلاقة التى تجمع بين  
الرجل والويسكى ، هو نفس العنصر الذى تقوم عليه العلاقة

التي تجمع بين الرجل والمرأة .. وهو العادة .. التعود ..  
وعندما نقول أن فلانا يحب الويسكى .. انما نقصد أن فلانا تعود  
على الويسكى .. وعندما نقول أن فلانة تحب فلانا ، انما نقصد  
أن فلانة تعودت على فلان ..

افن ا لو كان هذا الكلام صحيحا ، فلماذا أحبت فلانة هذا  
الرجل بالذات ، ولم تحب غيره .. او على الأصح .. لماذا تعودت  
فلانة على هذا الرجل بالذات ، ولم تتعود على غيره ؟

مسألة أدواق ...

أن هناك رجلا يتعود على الويسكى ، وآخر يتعود على  
الكونياك ، وثالثا يتعود على النبيذ .. و .. و .. وكذلك البنات  
.. بنت يعجبها الشاب الأسمر .. وبنت يعجبها الشاب الأشقر  
.. وبنت يعجبها الشاب الضخم .. وأخرى يعجبها الشاب  
النحيل .. و .. و ..

ورغم ذلك فليس هناك بنت بدأت حياتها العاطفية بشباب  
واحد .. انها تبدأ دائما بتقليب عينيها بين الشبان ، كما تقلبها  
بين صفحات مجلة الأزياء .. ويعجبها أكثر من ثوب .. عشرة  
أزياء .. عشرون زيا .. ويعجبها أيضا أكثر من ثياب .. عشرة  
شبان .. عشرون شابا .. وتطل في كل منهم وتتمنى أن تلمسه ،  
وتتمنى أن تسمع صوته في التليفون ، وتتنظر الى شفثيه وتتمنى  
أن تذوق طعميهما بشفتيه .. وقد تذوق طعم كل الشفاه  
أو بعضها .. الى أن تقف عند الشفتين اللتين ساعدتها الظروف  
على أن تتعود عليهما ..

ليس هناك فارق بين قبة شاب من الشبان العشرة الذين  
أعجبت بهم ، وأخرى .. نفس المذاق .. ونفس ارتعاشة  
الشفثين ... ونفس الريق الذي نشره في صمت وغيوننا مخلقة

.. ولكن هناك فارقا بين قبة تعودت عليها ، وقبة لم أتعود عليها  
.. ولو تعودت على قبة أى واحد من العشرة الذين تمنيتهم  
لأسميت هذا التعود حبا .. كما أسميت تعودى على هاشم حبا ..  
لا يمكن أن يكون ما كان بينى وبين هاشم أكثر من هذا ..  
مجرد تعود ..

لم أحبه .. لا يمكن أن يكون هذا حبا .. لا أريد أن يقال  
انى أحبته .. انى أجن كلها سمعت من يقول انى أحبته ..  
نقطا تعودت عليه .. وكل هذا المذاب لانى تعودت عليه ..  
والتعود له أحكام قاسية .. انه يسيطر عليك .. يخضعك ..  
بذلك .. يحو شخصيتك .. أن الرجل الذى تعود على الويسكى  
قد يجن اذا حرم من الويسكى .. يحطم كل ما حوله .. ثم يحطم  
نفسه ... ينتحر ... وقد حدث كل هذا لى لانى تعودت على  
هاشم ..

كيف سبحت لنفسى أن اتعود عليه وهو مر .. فظيع ..  
وكنت أعلم منذ اليوم الأول انه مر وفظيع ..  
لا ادري ..

أن الويسكى أيضا طعمه مر ، وفظيع ..  
وقد تعودت على الاثنين ..  
تعوت على هاشم ..  
ثم تعودت على الويسكى ..  
و .. و ..

انى أضحك .. أضحك على نفسى .. أضحك على خيبتى ..  
على عذابى .. انى أحاول أن أبدو فى هذه السطور التى أكتبها كائن  
فيلسوفة .. ها .. ها .. ها .. ليس هذا كلام حسن .. قتاله  
لى مرة ليحفظ به دموعى ، ثم أخذ شفثى بين شفثيه ليمودنى

عليها ، لعلنى اتخلص من تعودى على شفتى هاشم .. وانى  
اذكر ليلتها .. لقد تركت حسن ياخذ اكثر من شفتى .. تركته  
ياخذنى كلى .. لاساعد نفسى على التخلص من تعودى على هاشم  
.. فقد آمنت يومها بكلامه .. آمنت ان الحب ليس سوى ..  
عادة !!

ولكنى لم اكن اعرف حسن عندما عرفت هاشم ..

لم اكن فيلسوفة ..

ولم يقل لى احد كلاما يجعل منى فيلسوفة ..

كنت بنتا كبتية البنات .. اهيمن وراء تاوهات عبد الوهاب ،  
ونحيب عبد الحليم حافظ . واسكب صباى بين سطور القصص  
والاعلام العاطفية ..

وكنت حلوة .. جميلة .. شعرى فى لون البندق .. طويل  
.. يصل الى كفتى .. وعيناي واسعتان .. عسلتان .. عندما  
ينسكب فيهما ضوء الشمس ، يشعان بلون اصفر ، لن اقول  
انهما كعبنى غزال ، فقد رايت عيون الغزلان وكرهتها .. وفى  
صغير .. شفتاي مكتنزتان .. شفتى السفلى اكثر امتلاء من  
العليا .. ولى سنة امامية نصفها مكسور .. دمها خفيف ..  
عندما تنكشف عنها شفتاي يخيل اليك انى ابتسم ، ولا تملك  
الا ان ترد ابتسامتى .. وبشرتى بيضاء .. فى لون اللبن الحليب  
.. وقوامى .. يجنن .. اننى طويلة .. لست طويلة جدا ..  
فقط ١٧٠ سنتى .. وساقاي رائعتان .. كأنهما قالبان من نور ..  
انى احب ساقى .. احبهما لدرجة انى - وانا فى السادسة  
عشرة - علقت فى ساقى اليمنى سلسلة ذهبية رفيعة تتدلى منها  
خرزة زرقاء .. ومنذ كنت فى السادسة عشرة وانا ليس هذا

بكعب عال .. سبعة سنتى .. ان الكعب العالى يظهر جمال  
الساقين ..

ونهداي كزهرين من زهور عباد الشمس ، معلقان فوق  
صدرى .. وخصرى تحيل .. لا يزيد عن ٥٥ سنتى .. ولى  
« حسنة » فى لون الشيكولاتة فوق كفتى .. و « حسنة »  
اخرى .. لن اقول اين ..

وكنت مفتونة بجسدى .. كنت اقفل باب حجرى بالفتاح ،  
واقف عارية امام المرأة .. اتأمل كل قطعة منه .. كل خط فيه ..  
كل ثنية .. واتمنى ان تسمن ذراعى قليلا ، فقد كانتا نحيفتين  
.. وان يرتفع نهداى قليلا ، حتى يقل بروز العظمتين اللتين  
ترسمان كفتى .. ثم ارقص .. ارقص امام المرأة .. وابتسم  
لخصرى وهو يتثنى .. وصدرى وهو يرتعش .. وساقى وهما  
تقارجان .. فى نعومة ، وهدوء كانى اسبح فى الهواء .. انى  
احب الرقص .. ولكن احدا لم يرنى ارقص الا مرأتى .. حتى  
امى ، لم ترنى ..

ولم يكن يخطر على بالى صورة اى رجل وانا واقفة امام  
المرأة اتأمل جسدى .. ابدا .. لم اكن افكر فيمن اعطيه هذا  
الجسد .. ابدا .. ابدا .. كل هذا كان بعيدا عنى ..  
كنت ألح عيون الرجال والاولاد تلاحتنى .. وكنت ازرهو بنجاحة  
هذه العيون ، ثم انفضها عن احساسى كانى اهش الذباب ..  
دون ان اترك ذبابة واحدة تحط على ، او تلتصق بى .. حتى  
فى خيالى .. لم يكن هناك رجل معين .. رجل اسعى اليه ..  
او يسعى الى .. كان كل ما فى خيالى نجوم السينما .. روك  
هدسون .. جريجورى بيك .. دين مارتن .. ليسوا رجالا ..  
مجرد خيال .. ومجرد احلام .. لا تثير فى جسدى اى احساس

.. كان هذا الجسد لى وحدى .. وكنت أحس انى وحدى صاحبة الحق فى التمتع به .. بالنظر اليه .. ونامله .. واكتشفاته اسراره .. كنت كالبحيلة التى تحتفظ بكنزها .. لا تفتحه الا أمام مراكها .. وكنت أتمتع فعلا بتأمل جمالى أكثر من متعنى بأن يتأمله غيرى .. كنت مفتونة بنفسى ...

هل أطلت فى وصف جمالى ..

عذرا ..

فهكذا تبدأ قصتى .. تبدأ يوم بدأ احساسى بانى جميلة ..

يوم فتنت بنفسى ..

ورغم هذا فجمالى له خاصية غريبة .. انه يبهى بعض العيون ، كما يبهى رنى .. وعيون أخرى لا تراه .. تمر به دون ان تأبه .. كائى لست جميلة .. بل ان الناس يرون بشرتى البيضاء صفراء .. وزميلاتى فى مدرسة الفرنسيسكان يسموننى « البنت الصفراء » .. وبعض الناس يرون عينى الواسعتين جاحظتين بارزتين .. وبعضهم يرى صدرى وظهري ممسوحين .. نهذاى صغيران ، وظهري ليس فيه بروز .. ولكنى لا أعرف هؤلاء الناس .. ولا أريد أن أعرفهم .. انى أكرهم .. أكرهم .. وأنا جميلة رغم أنوفهم .. جميلة .. جميلة .. وكل من أعرفهم يعرفون انى جميلة .. أمى تزهو بى .. وخالاتى الخمس يستشهدون بجمالى .. وأنا أجمل من ربرى ابنة خالتى .. وأجمل من فريدة ابنة عمى .. وأجمل بنت فى شارع صلاح الدين بمصر الجديدة .. والخطاب يطرقون بابى منذ كنت فى الخامسة عشرة من عمرى .

ومن يدري ..

ربما كان اختلاف الناس حول جمالى ، هو الذى جعلنى

أزداد تعلقا به .. وأتأمله كل لحظة .. كائى أتعلق بشئ أخشى أن يضيع منى ..

الى ان خطبت ..

كنت أيامها فى السادسة عشرة ، أقيم مع أمى وزوجها ، وأخوتى منها .. ولدان وبنت .. وأمى سيدة طيبة .. تصلى وتصوم .. ولها فى كل شهر نذر لأحد الأولياء .. نذر لسيدنا الحسين ، ولو نجح ابنها .. ونذر لسيدى أبو العباس ، لو شغيت بنتها من الحصبة .. ونذر .. ونذر .. وتقرأ الفرجال .. وتفتح الكوتشينة .. ولكنها رغم كل هذه الأوهام التى تسيطر على رأسها ، سيدة مرحة .. لا يخلو يوم من أيامها من اجتماع بصديقاتها .. وصديقاتها نصف سيدات القاهرة .

وكأنت أمى تدلنى وتهتم بى أكثر من أخوتى .. ربما لأنى أقيم معها بعيدا عن أبى .. وكأنت تدارى أخطائى وتستر عليها . حتى لا يدري بها زوجها .. فى الوقت الذى تشكو فيه أخوتى اليه .. تشكو اليه كل خطأ ، ولو صغيرا .. فيضربهم ..

وزوجها رجل من هذا الصنف من الرجال الذى يدعى القسوة والحزم ، وهو عبيط تستطيع أن تضحك عليه ، وتخدعه . ببساطة ..

وكنت أنا وأمى خارجتين من محل الصالون الأخضر عندما رأتى رجل .. وسار وراءنا .. وجرى وراء سيارتنا بسيارته .. الى ان وصلنا الى البيت .. وسأل عنا البواب .. وفى اليوم التالى جاء ليخطبنى ..

ولا أدري كيف اتقن أمى بالموافقة على خطبتنا .. انه فى السادسة والثلاثين من عمره .. بينى وبينه عشرون سنة .. وقد سبق أن تقدم لخطبتي شيان أصغر منه .. وهو ليس من

عائلة كبيرة ، وقد سبق أن تقدم لى أبناء عائلات كبيرة .. وهو ليس مثقفا ثقافة عالية ، وسبق أن تقدم الى حملة تكثوره ... وهو غنى .. يعمل مقاولا فى السويس ، ولكن سبق أن تقدم الى أغنى منه .. ورغم ذلك قبلته أمى .. انه من هذا الصنف من الرجال الذى يستطيع أن يأكل عقل النساء العجائز ..

ووافق زوج أمى .. وافق بسرعة .. ربما ليتخلص منى .. ليستريح من تدليل أمى لى ..

أما أبى فقد عارض .. ولكن معارضته لم تكن تساوى شيئا جادا .. أبى كله ليس شيئا جادا ، ولا ينظر اليه أحد نظره جادة .. إنه إنسان لاه .. لا مسئول .. يعيش لنفسه .. ويتزوج كثيرا .. وكان أيامها يعيش مع زوجته الرابعة .. وكانت أمى تقول عنه إن له شقة خاصة يلتقى فيها بامرأة أخرى ستكون يوما ما زوجته الخامسة ..

واستسلمت لأمى .. وفرحت بدبلة الخطوبة ... دبلة من طمع الماس المستطيلة « الباجت » .. والشبكة .. خاتم سوليتير حجمه خمسة عشر قيراطا .. والثوب الجديد .. والحفلة .. واهتمام خالاتى الخمس بى .. وأول مرة أنزع الشعر الخفيف من فوق ذراعى وساقى .. وفرحت أكثر لأنى خطبت قبل ربرى ابنة خالتى ، وقبل فريدة ابنة عمى .. كانت فرحتى أيامها طافية ، أنستنى كل شيء حتى خطيبى نفسه .. كنت أراه كما أرى باقى الرجال .. أراه فى نظرات عابرة .. لم أحاول أن أدقق فى ملامحه .. لم أر أيامها هذه الثقوب الصغيرة التى تنتشر فوق طرف أنفه ، والتى لا تراها الا اذا دقت النظر .. ولم أر هذه السنة الذهبية فى جانب فكه الأيمن ، والتى تظل عليك كلما ضحك

.. ولم أر أن كل سراويله واسعة من الخلف ، كان التزوى كاد يصنعها جلبابا ثم غير رأيه فى آخر لحظة .

وسافر خطيبى فى اليوم التالى من اعلان الخطبة الى السويس .. وأصبح يتردد على القاهرة كل اسبوع ليبقى فيها ثلاثة أيام .. الجمعة ، والسبت ، والأحد .. وكل خالة من خالاتى الخمس تقبم لنا وليمة غداء .. وأبى دعانا مرة على العشاء .. وأحسست يومها انه يقوم بواجب ثقيل يكاد يخنقه .. لقد كاد يطردها أنا وخطيبى بعد العشاء مباشرة .. ولكنى لم اغضب من أبى .. انى أعرفه ... واحبه ..

ولم يتركونا أنا وخطيبى وحدنا أبدا . كانت أمى معنا دائما .. وعندما تغيب لحظات تحرص على أن تترك مكانها لزوجها أو لأخى الصغير وخطيبى لم يحاول أن ينفرد بى .. بل لم يحاول أن يهمس فى أذنى همسة لا تسمعها أمى .. أو يضغط على يدى .. أو أى لفنة من هذه اللفقات التى كنت أقرأ عنها فى القصص .. كان كل ما يحرص عليه أن يصلى الفروض فى مواعيدها .. وكانت كل أميته أن أصلى مثله .. وأمى تطمئنه الى أنى بعد الزواج لابد أن أصلى !

وبدأت فرحتى بالخطبة تخف ..

الدبلة والخاتم رآهما كل أفراد عائلتى وكل صديقاتى .. وثوبى أصبح قديما .. والحديث أصبح معادا .. ثم ..

عندما وقفت مرة أمام المرأة الأرقص عارية كعادتى ، وباب غرفتى مغلق بالمفتاح ، شعرت لأول مرة أن هذا الجسد لم يعد لى وحدى .. لقد أصبح لى شريك فيه .. ورأيت فى صفحة المرأة صورة وجه شريكى .. خطيبى .. لأول مرة أعى ملامحه ، التى كنت التقطها بعينى دون أن أعياها .. دون أن أهتم بها .

رايت الثقوب الصغيرة فوق مقدمة انفه . ورايت سرواله المهدل .. واختفى خيالي الذي يحمل صورة روك هدرسون ، وجريجورى بيك .. لم يعد امامى الا هذا الواقع الذى يحمل صورة خطيبى .. وسرت قشعريرة فى بدنى .. ولم استطع يومها أن أرقص .. بل لم استطيع أن اظل عارية .. جريت واخفيت جسدى خلف ضلفة الدولاب ، كأتى اخفيه عن عيني خطيبى المنتوفتين ..

ومن يومها بدا جسدى يقلقنى .. بدأت أحس أن الكنز الذى حرصت العمر كله على أن اخفيه الا عن مرأتى ، أصبح على وشك أن يكشف .. بدأت أحس بالمعاول تحفر فوقه لتصل اليه .. معاول من أحساسى بأن شيئاً يقترب من شفتى .. من عنقى .. من صدرى .. من خصرى .. من ساقى .. وتأكدت يومها أن كنزى لابد أن يكشف يوماً .. لا حيلة لى .. لا استطيع أن اخفيه بقية عمرى .. شخص ما لابد أن يصل اليه .. ولكى لا أريد أن يكون هذا الشخص هو خطيبى .. لا أريده .. لا أريده .. انى أنفر منه .. انه يقرزنى .. يده فى يدي كقطعة العجين اللسء .. ونظراته تسيل من عينيه كقطرات الزيت .. وكلماته تقع من شفتيه كقطع الطوب .. ليس فيها حنان .. ليس فيها معنى يبهرنى .. ليست فيها مهارة المكتشف .. مكتشف الكنز .. هل استطيع أن أفسخ الخطبة ؟

ربما لو حاولت أيامها لاستطعت أن أفسخها .. ولكى لم أحاول .. كنت ضعيفة الشخصية .. كنت أضعف من أن أقف امام أمى : وأطلعها على حقيقة شعورى نحو خطيبى .. وفى الواقع لم أكن أعرف ماذا أريد .. لم أكن أستطيع أن أفهم حقيقة عواطفى .. وكان ما أفهمه أنك فيه .. كنت مترددة .. أحياناً اعتقد أن نصيبى هو نصيب كل البنات .. وأحياناً أحس أنى

مظلومة .. وأحياناً أحس كأتى بنت خاطئة لجسد تفكيرى فى مسخ خطبتي .. كأتى بهذا التفكير اتحدى الله .. أتبطر على النعمة .. وأحياناً أحس بالثورة تملأ صدرى ، وتكاد تقتلعنى من فوق سريري ، ولكى أطفىء ثورتى ، واهز رأسى فوق الوسادة ، واهمس لنفسى .. يا بنت اعقلي !

وانتهى بى هذا التردد ، الى الاستسلام ..

ولكن هذا الاستسلام دفعنى الى نوع من التحدى .. تحدى شغفى .. وتحدى ترددى .. وتحدى أمى .. وتحدى نصيبى .. وكان نوعاً من التحدى المكبوت الخفى .. لا أصارح به لنفسي .. ولكنه يدمغنى .. يدمغ تفكيرى .. يدمغ انفعالاتى .. ويدمغ تصرفاتى ..

ودفعنى هذا التحدى الى أن أبحث عن مكتشف آخر لجسدى .. شخص آخر غير خطيبى عبد السلام ، يكون أول من يلمس شفتى ..

وبدأت عيناى تدوران حولى ..

ولم أعد أهتئ الذباب فى كبرياء .. كعادتى .. بل أخذت أبحث عن الذباب ، وأرتاح كلما حطت ذبابة على .. وتعلمت كيف أنظر من طرف عيني .. كيف أرى كل شاب ، دون أن يلحظ أنى أراه .. ودون أن تلاحظ أمى أو عبد السلام أنى أنظر الى أحد .. وبدأت جمع المعلومات عن كل شاب من شبان مصر الجديدة .. وأرتاح لصديقاتى وهن يتحدثن عن مغامراتهن .. وادفعن دفعا الى هذا الحديث ..

ثم .. بدأت اللعب لعبة التليفون .

كان صديقاتى يجتمعن عندي فى البيت ، ونشترك جيماً فى



معاكسة الشبان بالتليفون .. وأمي بعيدة عنا فقد خفت رقابتها  
على منذ خطبت ، كأنها بدأت ترتاح مني ..

ولم يحدث شيء أكثر من هذا لفترة طويلة .. كنت فقط  
أنظر الى كل شاب وأقارن بينه وبين خطيبي ، وأتصوره مكتشفاً  
لجسدي .. واستمع الى صوت الشبان في التليفون .. وأقارن بين  
صوت كل منهم وصوت خطيبي . فأجده أكثر حياة ، وأكثر حناناً ،  
وأتصور هذا الصوت بملا بيتي ..

الى أن ابتسمت مرة لمحمد ..

لم أختَر محمد بالذات لأبتسم له .. ولكنني كنت جالسة في  
نادي مصر الجديدة مع بعض صديقاتي .. وأمي جالسة مع  
صديقاتها على مائدة أخرى .. ومحمد جالس على حافة حوض  
السباحة ، يخلق في وجهي بعينين مبهورتين .. وكنت زهقانة  
.. صديقاتي يتحدثن حديثاً مملًا .. فابتسمت لمحمد .. وتعلق  
محمد بابتسامتي .. جرى وراءها .. أصبح يلاحقني .. أنه  
يدور بسيارته حول بيتي .. سيارة سيفروليه بيضاء رقم ٢١٨٨٣ ،  
وهو خلق في النادي .. وفي السينما .. حتى وأنا مع خطيبي ،  
لا يكف عن ملاحقتي .. وملاحقته تملؤني غروراً ، وملاً فراغى  
.. وإن لم يكن يمثل صورة المكتشف الذي أحلم به .. أنه في  
العشرين من عمره .. طالب في الجامعة .. وبطل في السباحة  
.. حلو التقاطيع .. ومن أشهر شبان مصر الجديدة .. أنه حلم  
كثير من صديقاتي .. ولكن ينقصه شيء .. لا أدري ما هو ..  
أنه كالطعام الذي طهى على نار حامية .. لو طهى على نار هادئة  
لازداد طعمه ودمامة !

وبدا جرس التليفون يرن في بيتي .. وترفع أمي السماعة  
فلا يرد أحد .. ويرن مرة أخرى .. ويرفع زوج أمي السماعة .





فلا يرد أحد .. استمر الرنين .. ولا أحد يرد .. أياها كثيرة  
.. وبدأت التعليقات .. وبدأت أمي تواجهني بعينين متساثلتين  
.. وخفت من هذا التساؤل .. خفت منها .. ومن زوج أمي ..  
وفي مرة رن جرس التليفون .. ورفعت أنا السماعه .. وأمي  
بجانبي .. وسمعت صوت خالتي وأخفت أرد : الو .. الو ..  
وأنا أفتقط السماعه على أذني ، حتى أخفى فيها صوت خالتي  
وهي تهتف هي الأخرى .. الو .. الو .. ثم وضعت السماعه  
.. والتفت الى أمي ، وقلت في براءة :

— ما حدث بيرو ..

فقط لأقضي على شكوكها ..

وحرصت على أن أبقى بجانب التليفون الى أن تكلمت خالتي  
مرة ثانية ، وسمعتها تصيح :

— انتم تليفونكم خسران ولا ايه ؟

وأجبت :

— أبدا يا طنط .. ازيك .. وأزاي ريري ..

ثم بعد أيام رن جرس التليفون .. وكنت بجانبه ، وأمي  
بعيدة .. وسمعت صوت محمد .. كيف عرفت صوته ، وأنا  
أسمعه في التليفون لأول مرة .. لا أدري .. ولكني عرفته ..  
وقال محمد في عبط المفرور بمجرد أن سمع صوتي :

— أنا محمد ..

وقلت في حدة هامسة ، وأنا التفت الى الحجرة المجاورة  
لأرقيب أمي :

— أنت اللي بتضرب تليفون ولا تردش ..

قال كأنه يتباهى :

— أيوه ..

قلت :

— تاني مره أوعى تضرب تليفون .. فاهم .. أنت حانتسب  
لى في مصيبة ..

قال :

— إذا ما كنتيش عايزانى اضربك .. اضربلى انت ..

قلت :

— طيب .. حاضريك .. مع السلامة دلوقت ..

وأعدت سماعه التليفون .. وأنا ابتسم .. وكثير من الزهو  
يلوئى .. كأنى أميرة تحكم الرجال ..

وبدأت أحداث محمد في التليفون ..

لم يكن وحده الذي أحادثه في التليفون .. كنت لا زلت  
أتسلى بالحديث مع غيره .. ولكن محمد وحده هو الذي يعرف  
من تحدثه ..

وبعد ثلاثة أسابيع أو أكثر .. خرجت الى أول لقاء معه ..  
أول لقاء لى مع شاب .. كانت أمي قد سمحت لى بزيارة صديقتى  
هدى .. وحدى .. واتصلت بمحمد ، وطلبت منه أن ينتظرنى  
بسيارته في شارع البارون .. وركبت بجانبه ..

لم أتردد .. ولم أحس برجفة .. ولا بارتباك .. جلست  
بجانبه ، كأنى أجلس في مقعد السيئ .. ونظرت اليه كأنى  
أنتظر بداية العرض .. ودبلة الخطوبة في اصبعى ..

وربما كان محمد يومها أكثر ارتباكاً منى .. انه لا يعرف  
من أين يبدأ العرض الذي أنتظره .. وحديثه متقطع .. ينتقل من  
موضوع لموضوع دون أن ينسج حديثه في موضوع واحد ..  
ويتكلم بسرعة ، كأنه يلهث ..  
وقال خلال حديثه :

— ده خطيبك اللى كان معاكى انت ومامتك اول امسارح ؟  
قلت وانا انظر من خلال نافذة السيارة :

— ايوه ؟ ..

قال :

— بس ده كبير ..

والتفت اليه وفى عيني نظرة متحفزة وقلت فى حدة :

— مالكش دعوه بيه ..

وكنت مستعدة ساعتها ان اضرب محمد بالقلم لو استمر  
فى الحديث عن عبد السلام .. لقد شعرت ساعتها ان كل خلجة  
منى تتحفز للدفاع عن خطيبى .. لا أدري لماذا .. ان محمد لم  
يخطئ .. ان عبد السلام « كبير » .

فعلا .. واكثر من ذلك .. ان على طرف أنه ثقوبا صغيرة  
.. وفى فكه سنة ذهبية .. وسرواله مهرول .. ولكنى لا اقبل  
ان اسمع هذا الكلام من احد .. انى اقوله لنفسى فقط .. و ..  
ماذا اقول .. ربما لم اكن اذافع ساعتها عن عبد السلام ..  
كنت اذافع عن نفسى .. عن نصيبى .. عن شخصيتى الضعيفة  
.. عن استسلامى .

وقال محمد وهو يبتلع ريقه:

— انا آسف ..

ثم مد يده وامسك بيدي وضغط عليها .. وتركها له لحظة  
ليحتفظ بها فى يده .. ثم عدت وسحبها منه بسرعة .. لماذا ..  
لانى تذكرت عبد السلام وخشيت ان اقارن بين يده ويد  
محمد .. اليد الطرية كقطعة العجين الملساء واليد الساخنة  
المماسكة التى تضغط على يدي فى قوة ، تكاد تخنق اصابعى ..  
ولم يدم لقائى بمحمد اكثر من ربع ساعة .. ذهبت بعدها

الى زيارة صديقتى .. ثم عقت الى البيت ، كانتى هائدة من  
السينما .. لا شيء بقى من كل ما فعلته اكثر مما يبقى من ذهائى  
الى السينما .. ووقفت اخلع ثيابى فى المرآة ، واتأمل الكنز  
العزير .. ولم اتذكر ساعتها محمد .. ولكنى عدت اتذكر عبد  
السلام ، ووجهه يطل على من المرآة .. وانقلبت شفتى رغما  
هنى .. فى قرف .. ثم اتحمت فى خيالى صورة محمد .. اخذت  
اتخيله كأنه صاحب هذا الكنز .. مكتشفه .. لا .. ان محمد  
بفحصه شيء .. لا أدري ما هو .. ولكن يخيل الى أنه لا يعرف  
الطريق الى كنزى .. ولكن .. لابد أنه يعرف أكثر من عبد  
السلام ...

ونمت ليلتها ، وليست سعيدة .. وليست شقية .. وليست  
نادمة .. ولا شيء .. فارغة ..

هل اتبنى ضميرى لانى ذهبت الى لقاء شاب وانا مخطوبة  
لغيره .. ابدا ..

ولم اقابل محمد مرة ثانية الا بعد شهر .. ربما لان ظروفى  
ورقابة امى لم تكن تتيح لى لقاءه .. وربما لانى لم اكن متحمسة  
لللقاء ، الى حد محاولة التقلب على ظروفى ، ورقابة امى ..  
وربما لانى كنت لا زلت اتسلى بالتحدث فى التليفون مع  
شبان غيره .

وكان لقائنا الثانى سريعا ايضا .. حاول خلاله ان يقبلنى  
.. ولكنى لم اعطه الا حدى .. ثم فتحت باب السيارة وجريت  
وبعد أربعة أيام ، حدد موعد كتب كتابى الى عبد السلام  
.. وانشغلت فى اعداد ثوب الفرح ، وفى اعداد الحفل الكبير  
الذى اقيم لى فى فندق سميراميس .. انشغلت كلى .. ابتلا  
مراعى حتى قمته .. لم أعد أفكر فى محمد .. ولا فى خطيبى

عبد السلام .. ولم أعد أعاكس أحداً في التليفون .. بل نسيت  
كفزي الغالى .. نسيت جسدى .. انى مشغولة منذ أن افتح  
عينى ، حتى أنام منهكة متعبة .. تعب لذيذ ..

ربما كان كل القصد من هذه الضجة التى تقام استعداداً  
ليوم القران ، هو شغل وقت العروس .. حتى لا تفكر .. حتى  
لا تحس .. حتى لا تخلو الى نفسها .. انه من نوع سلب  
الإرادة .

ثم ..

وأنا فى « الكوشة » بدأت عيناى تدوران حولى من جديد ..  
بدأت أفيق من الاستعدادات التى اخذتنى كلى .. الثوب ارتديته  
والطرحة البيضاء فوق راسى .. وثريا سالم زفنتى .. ونجاة  
الصغيرة غنت .. والخاتم أصبح فى يدى اليسرى .. وكلمات  
التهنئة أصبحت معادة ملة .. وخالاتى الخمس القين بانفسهن  
على المقاعد فى استرخاء .. وأسى هدها التعب ، وعيناها تغفوان  
بين الحين والحين .. انتهى كل شيء .. وافقت لنفسى .. عدت  
الى احساساتى .. عدت أحس وأنا فى الكوشة بشفتى ..  
بعطى .. بصبرى .. بساقى .. ويمتلئ خيالى بصورة زوجى ،  
دون أن أن التفك اليه .. وأرى الثقوب على انفه .. وسرواله  
المهدل .. وتقلب شفتى السفلى رغماً عنى .. وأشعر بالسخط  
لأن هذا الرجل هو الذى تقرر أن يتشفتنى .. يكشف كفزي ..  
وتدور عيناى فى وجوه الشبان الآخرين .. ترى .. من منهم  
أحق بالكشافى .. وأنا .. لا زلت فى الكوشة .. والورد  
حولى .. والدعوى سكارى ..

وعدت الى البيت ..

لست سعيدة ..

ولكى متعبة ..

وكان الزفاف سيتأجل كثيراً .. فان عبد السلام بينى فيلا فى  
السويس لم تتم بعد ، ولا نستطيع أن نشترى الجهاز قبل أن تتم ..  
كل ما حدث بعد عقد القران ، أن أمى أصبحت تتركنى مع  
عبد السلام وحدنا .. ولكن عبد السلام لا يحاول شيئاً .. انه  
يقبلنى على خدى عند لقائنا .. ويقبلنى على خدى عند افتراقنا  
.. ويقبل يدي أحياناً .. وفى مرة قبلنى فوق شفتى قبله سريعة  
.. مرت كلمسة من الهواء البارد .. ارتبك بعدها .. واحمر  
وجهه .. وادعيت أنا الخمر والحياء .. وحاول أن يقبلنى قبله  
أخرى .. فقلت وأنا أنفر من جانبه :

— احنا اتفقنا على ايه ؟! ما فيش حاجه قبل ما نروح بيتنا ..  
واستسلم الرجل الطيب ..  
وبقيت عروساً عزاء ..

والواقع أن عبد السلام كان يفضل أن يجلس مع أمى وزوج  
أمى .. على أن ينفرد بى .. كان يجد معها نفسه .. ويضيع  
معى عن نفسه ..

والفراغ يحيط بى ..

وعدت أملاً فراغى بمعاكسة الشبان فى التليفون .. والتحدث  
مع محمد .. وقد أصبحت أكثر حرية من قبل .. أمى تركتنى  
أفعل ما أشاء .. كأنها انتهت منى .. ورغم ذلك لم أفكر فى لقاء  
محمد مرة أخرى .. كان يلح على كثيراً .. ولكى كنت أرفض ..  
لا أدري لماذا .. ربما لأنى كنت أتعالي عليه بعد أن عقد قرانى  
.. أحسبت انى أصبحت أكبر منه .. أصبح فى نظرى ..  
عيل .. وأنا كبيرة .. زوجة .. أريد شيئاً كبيراً ..

وفى الأيام التى كان عبد السلام يبقى فيها فى القاهرة :

كنت اصر على ان يصحبني للمعشاء في الخارج كل ليلة .. وكنت  
انتقي المحال التي تعودت ان اقرا عنها دون ان اراها .. الهيلتون  
.. مينا هاوس .. روف سفيراميس ..

وفي روف سفيراميس ، رايت هاشم لأول مرة ..  
الدكتور هاشم .. على سن ورمح .

رايته طويلا .. عريضا .. عيناه منتفختان كأنه مستيقظ  
لتوه من النوم .. فيهما نظرات معلقة في الهواء ، لا تدري  
أينظر بهما اليك ، أم انه لا يراك .. وشفتاه غليظتان ، منفرجتان  
دائما نصف انفراجة .. لا تدري ما بينهما .. ابتسامة .. أم  
تأوه .. وأنفه اقنى .. قوى .. أن كل ما فيه قوى .. انه يشبه  
الممثل الأمريكى روبرت ميتشام ، ولو انه أقل طولا ، وأقل عرضا  
.. ونظرت اليه طويلا .. انه من هذا الصنف من الناس الذين  
تضطر بمجرد أن تراه ، أن تنظر اليهم طويلا ، لأن فيهم شيئا  
يبيزهم عن بقية الناس .

ولا أدري هل كان ينظر الى بعينه المنتفختين أم ان عينيه  
كانتا متجهتين نحوى ، بلا قصد .. ولكني شعرت أن نظرتي  
اليه تنقل أحاسيس عجبية الى جسدى .. الى جسدى .. لا الى  
قلبي ولا الى فهمي .. وبحركة غير ارادية وجدت نفسي اشد  
ثوبى فوق ركبتي ثم أرفع كفى وأعطى بها ذراعى .. كأنى أحمى  
نفسى منى ..

وداومت ليلتها النظر اليه .

نظرات مختلصة لا يلمحها زوجى الجالس بجانبى ..  
ولا أدري ، لماذا تعمدت أن تكون نظراتي اليه بصراحة ، دون  
أن أخشى زوجى .. فانا لا أعرفه .. وليس بينى وبينه شيء  
.. ولكنى أعود وانظر اليه .. واقتاظ .. واقتاظ من نفسى ،

ومنه ويشد غيظى .. أن منظره يثيرنى .. يجعلنى أفكر أن  
أقوم وأضربه بالقلم .. وأشد أنفه الكبير .. انه يبدو مغرورا ..  
متعاليا .. كأنه يملك الدنيا كلها .

ورآه زوجى ، فهمس فى صوت مبهور كأنه رأى شيئا رائعا  
.. كأنه رأى نابليون بونابرت ، أو روبرت ميتشام ..  
— ده الدكتور هاشم ..

وكأنت أول مرة أسمع اسمه .. سمعته من زوجى عبد  
السلام ..

واغتظت ساعتها من عبد السلام .. اغتظت منه أكثر من  
غيظى من منظر الدكتور هاشم .. لماذا أنبهر كل هذا الانبهار  
.. لماذا لا تكون له شخصية قوية لا تنبهر بأمثال الدكتور هاشم ..  
وشعرت به صغيرا ، تأمها .. شعرت بالسخط عليه ، والقرص  
منه .

وعاد يقول وهو لا يزال مبهورا وعيناه معلقتان بالدكتور  
هاشم ، وكأنه يبتهل اليه :

— ده دكتور شاطر قوى ، مع انه لسه صغير .. تصورى  
ان ابن عمى غلب مع دكاترة مصر .. ما حدش عرف يخففه  
الا الدكتور هاشم ..

ولم ارد عليه .. هزرت كتفى ، وقلبت شفتى .. كأنى  
لا أبالى ..

ورفع زوجى عنقه فى زهو ، كأنه يتباهى بأنه يجلس فى  
نفس المكان الذى يجلس فيه الدكتور هاشم .. ثم قال والبهرة  
تطل من عينيه :

— أقوم اسلم عليه .. ده مؤكدة مارفتى من أيام ما كان  
بيعالج ابن عمى .

وصرخت فيه صرخة هائلة حادة :

— لا .. اذا كان عارفك ييجى هو يسلم عليك ..  
ونظر الى نى دهشة .. وسكت ..

ولم يتعرف الدكتور هاشم على زوجى ، ولم يات لمصافحته .. بل لم ار فى نظراته المطلقة فى الهواء ، انى اثرت انتباهه ، او لغت نظره .. وعدت الى البيت وانا احس بالفشل .. لم اكن انسب فشلى الى الدكتور هاشم .. لا .. فانه لا اعرفه .. ولا يعرفنى .. ولكن لابد انه هو الذى اثار فى الاحساس بالفشل ..

وقبلنى زوجى فى السيارة امام البيت .. قبلنى على خدى .. ثم عاد الى الفندق الذى تعود ان يقيم فيه ، كلما جاء الى القاهرة .. وجلست مع امى اروي لها اخبارى .. قلت لها كل شىء .. وبين كل كلمة واخرى اهم ان اخبرها انى رايت ضمن من رايت الدكتور هاشم .. ولكنى اؤجل الخبر .. واخيرا .. فى آخر نشرة الاخبار ، قلت لها بلا مبالاة :

— وشفنا الدكتور هاشم ..

وانبهرت امى كما انبهر زوجى عبد السلام ، وقالت :

— والنبي جد .. وكان مع مين ؟

قلت وانا مندهشة من انبهارها :

— مع شوية رجاله وستات .

وعلمت امى تقول وبهرتها لا تخفت :

— تعرفى انه هو اللى عالج سوسو بنت حسنيه هاشم .. واعادها للحياة .. ده يقولوا عليه انه معجزة ..  
وحنيت راسى فى ياس .. كائنى صدمت لان امى لا تريد ان تفتاظ معى من الدكتور هاشم ..

واستطردت امى وهى تمصمص شفيتها :

— انا عارفه الراجل ده ما بيتجوزش ليه .. ده ما فيهش حاجه ناقصه على الجواز ابدا ..

وقمت من جانبها وانا اتنهد .. دون ان ارد عليها .

ووقفت امام مراآتى ، وقد خلعت ثيابى ، اتأمل جسدى .. واحدق فيه اكثر من كل يوم .. واتأمل كل خط .. كل ثنية .. وقفز الى ذهنى تساؤل مفاجىء كأنه انطلاقة برق شقت ظلام فراغى !

هل يمكن ان يكون الدكتور هاشم هو زوجى ، بدلا من عبد السلام ؟

— ٢ —

.. ومن يومها لم استطع ان انزع صورة الدكتور هاشم من راسى .. والسؤال يعود ويتردد فى صدرى .. لماذا لا اتزوج هاشم بدلا من عبد السلام .. واحس ان هذا التساؤل نوع من الخيال .. نوع من احلام اليقظة البعيدة .. كائنى احلم بالزواج من روك هدسون ، او روبرت ميتشام .. ولكن .. لماذا يكون زواجى بالدكتور هاشم مجرد حلم .. لماذا اعتبره شيئا كبيرا بعيدا كروك هدسون ، او روبرت ميتشام ، انه رجل عادى .. مجرد طبيب ناجح .. واى فتاة يتزوجها لن تزيد عنى فى شىء بل انا اجمل من اى بنت يمكن ان يتزوجها .. كل ما هناك انى قليلة البخت ، ليكون نصيبى من الرجال ، رجلا كعبد السلام .. وامى عبيطة لتتركى اتزوج عبد السلام .. انها لا تستطيع

أن تقدر قيمة جمالى .. لا تستطيع أن تقدر قيمة الكنز الذى سيكتشفه الرجل الذى يتزوجنى ..

واقفز من فراشى واقف أمام مرأتى لأطمئن على كنزى .

ومجأة .. بدا يداخلنى شك فى قيمة هذا الكنز .. بدأت أتذكر رأى الناس الذين لا يعجبهم جمالى .. وأبلىق فى المرأة لأتأكد أن لون بشرتى ليس أصفر ، كما يقولون . أبيض كاللبن الحليب .. وأن عيني ليستا جاحظتين .. ورفعت صدرى بكفى . كائن أزن ثقله لأتأكد من أنه ليس صغيراً .. واستعدت أمام المرأة لأتأكد من أن ظهري ليس ممسوحاً .. والشك يفتك بى .. أنها المرة الأولى التى أفقد فيها ثقتى بنفسى الى هذا الحد .. ثقتى بجمالك .. والدكتور هاشم هو السبب .. هو الذى اثار فى نفسى الشك .. هو الذى يقلقنى .. ولكن .. الدكتور هاشم ليس له ذنب .. انه لا يعرفنى .. بل لعله لم يرى .. ولكنه خيالى .. طموحى .. انى اكراه ان اصف نفسى بالطموح .. لست طموحة .. ان الفتاة الطموحة ، هى التى ينقصها شيء .. وأنا لا ينقصنى شيء .. ثم من هو الدكتور هاشم ، ليثير طموحى .. انه رجل كبقية الرجال .. بإشارة واحدة يسقط تحت قدمى .. وكل ما احتاج اليه هو ان اتخلص من خيالى .. واحمد الله على نصيبى ، واسكت ..

ولكنها لم تكن المرة الوحيدة التى رايت فيها هاشم .. لقد رايتة بعدها مرة أخرى عندما ذهبت أنا وزوجى لتناول عشاءاً فى الهيلتون .. ومرة ثالثة عندما ذهبتا الى مينا هاوس .. كل مكان اذهب اليه اراه فيه .. كان القدر يشد احدنا الى الآخر .. بل ان زوج خالتي اوصانا مرة ان نذهب .. زوجى وأنا .. لتناول عشاءنا فى مطعم « الجريون » .. ولم أكن قد ذهبت

الى هذا المطعم ولا سمعت به .. وعندما ذهبت .. رايتة .. هاشم .. واقفا مستنداً الى حافة البار ، يتناول كأساً من الويسكى .. وكذت أبكى من الغيظ .. انى لا أريد أن أراه .. انه يثير خيالى ، وخيالى يقلقنى .. ورغم ذلك فانى لم أتوقف عن اختلاس النظر اليه .. ولم ار منه الا هذه النظرة المعلقة فى الهواء التى تطل من عينيه المنتفضتين ، والتى لا أدرى ايرانى بها ، أم لا يرانى .. وهاتان الشفتان المنفرجتان ، واللسان لا أدرى ، ابيتهما ابتسامة ، أم تأوه .. وزوجى بجانبى ينظر اليه مبهوراً ، وابتسامته سائلة على شفتيه ، كأنه لم يفقد الأمل فى أن يتعرف عليه هاشم يوماً ، ويتقدم لمصافحته ..

وليلتها عدت الى البيت ، وأنا أعانى الاحساس بالفشل .. الاحساس الذى يلزمنى دائماً كلما عدت بعد أن أرى هاشم .. احساس بانى لم أستطع ان ألفت نظره .. لم أستطع ان ادخل حياته ، حتى ولو من خلال نظرة عابرة .. ولكنى فى هذه الليلة تعذبت اكثر .. عذبنى سخطى .. وحيرتى .. وضعفى .. وفى اليوم التالى قمت متعبة .. والغيظ يهدنى .. واخذت اطوف بحجرات البيت ، وليس لى طاقة لأبدل قميص النوم .. أو امشط شعرى .. او انظر الى وجهى فى المرآة .. وصورة هاشم تلاحقنى فى كل غرفة .. وتقفز أمام عيني فى كل خطوة والغيظ منه يشد اعصابى ، ويثيرنى .. أريد ان أضربه .. ان اشد انفه الكبير .. ان أسخر منه .. ان امرطه ..

وفى الساعة الواحدة والنصف .. رفعت سماعة التليفون ، وادرت رقم عيادة الدكتور هاشم ، وصرخت فى التومرجى الذى رد على :

— من فضلك ادبنى الدكتور قوام .

وقال التومرجى المؤدب :

— مين حضرتك ؟

قلت :

— احنا عندنا حاله مستعجله . وعازين الدكتور قوام .

وقال التومرجى المؤدب :

— دقيقه واحده ، من فضلك ..

و .. وسمعت صوت هاشم الاول مرة .. غليظا ، عميقا ، بطيئا . كأنه يتنأى .. وقلت فى حدة بمجرد ان سمعت صوته :

— تسمح تقول لى ، حاتسهر مين الليله ؟ ..

وقال دون ان تبدو عليه الدهشة :

— اقدر أعرف ، ليه ؟ ..

قلت وأنا اشد حدة :

— ملشان ما استهرش فى الحقه اللى تسهر فيها ..

قال ببساطة :

— طيب ما تسهريش الليله فى سهراميس ..

ثم وضع سماعة التليفون ..

المجرم ، السافل ، لقد وضع سماعة التليفون قبل ان اضعها .. انها غلطتى .. كان يجب ان القى السماعة فى وجهه قبل ان اسمع رده على سؤالى .

وعاودنى الاحساس بالفشل .. اقصى ، وأمر .. والغيط يفرينى ..

وعندما جاء زوجى ليتناول طعام الغداء ، عندنا ، قلت له فى اصرار لا داعى له ، اننا سنتعشى الليلة فى مينا هاوس .. قلتها بصوت عال ، كأنى أريد ان يسمعنى الدكتور هاشم .

وليلتها .. عندما وقفت امام المرأة الاستمند للخروج ، وجدت نفسى اغير من تسريحة شعرى .. تركته يتهدل على عيني .. انه هكذا أكثر اثارة ، وأكثر اجتذابا للأنظار .. ثم تعمدت أن اضع « سوتيان » محشوا بالقطن ، كنت قد اشتريته قبلهما بأسبوعين .. وأخذت فى اصبعى مسحة من قلم الروج ، ودعكت بها وجنتى حتى اتأكد من انهما ليستا صفراوين كما يقول البعض .. واكثر من وضع الكحل فوق جفنى حتى يقلل الظل من اتسامهما .. حتى لا يبدوان بارزتين كما يقولون .. وارتديت ثوبى الأبيض .. انه ثوب ضيق .. مثير .. واستندرت امام المرأة .. هل حقيقة أن ظهري ممسوح .. لا .. انى لا اراه ممسوحا ..

ولكن .. من يدري .. وعدت وخلعت الثوب وجئت بشال من الحرير . ولففته اسفل ظهري .. كما تفعل الراقصات .. ثم ارتديت فوقه الثوب .. ان البروز واضح الآن .. والثوب أصبح أكثر اثارة ..

وكنت افعل كل ذلك ، وأنا انكر على نفسى انى افكر فى هاشم ، او اتخيله .. كنت مستجيبة لكل ارادتى حتى لا أنساق الى خيالى .. كنت مستجيبة لكل ارادتى لأكذب على نفسى ..

وركبت بجانب زوجى فى سيارته ، واتجهنا الى مينا هاوس كما اتفقنا فى الصباح .. وأنا صامتة .. أحاول ان أوكد لنفسى انى فعلا أريد ان اذهب الى مينا هاوس . لن اغير رأيى ..



اندا .. لن اغير رأى .. و .. ولكن ، قبل أن نصل الى  
كوبرى قصر النيل ، التفت الى زوجى وقلت مبتسمة :

— ايه رايك نروح سميراميس .. اقرب ..

وابتسم زوجى ابتسامة كبيرة كشفت عن سنن الذهبية فى  
جانب فك ، وقال :

— زى ما انتى عايزه .. اللى تأمرى بيه .. انتى الليلة  
تأكلى اكل ..

وقلت فى يأس :

— متشكرة ..

لماذا سمع كلامى .. لماذا لا يعاوننى على اجتياز ازمى ..  
لماذا لا يحينى من نفسى .. ولكنه لا يدري .. لا يدري انى  
منطلقة وراء خيالى .. وفى خيالى زوج آخر غيره ..

وذهبنا الى سميراميس .. وجاء هاشم متأخرا ، وجلس  
على مائدة مزدحمة بالرجال والنساء ، وادار رأسه على بقية  
الموائد بمجرد أن جلس .. وخيل الى أنه يبحث عنى .. غرور  
.. ان رأسه لم يتوقف عندى .. وليس فى عينيه سوى هذه  
البظرة المعلقة فى الهواء .. وشفتاه متفرجتان هذه الانفراجة  
التي لا تدل على ابتسام ولا على تآوه ..

ومن يومها ينسب من الهروب من خيالى .. استسلمت  
له .. واعترفت انى اتنى لو كان الدكتور هاشم زوجى بدلا من  
عبد السلام .. واعترفت أن هذه الأمنية تستبد بى .. لا أدري  
كيف أحققها .. ولا أدري كيف أنخلص منها .. وأصبحت أخرج  
مع زوجى فى الايام التى يقيم خلالها فى القاهرة ، كائى ذاهبة  
الى لقاء هاشم .. أو ذاهبة للبحث عنه .. وكنت دائما أجده ..  
كائى أعرف خطواته .. شىء غريب .. ولكن هذا هو ما كان

يحدث .. وفى مرة ذهبت الى الهيلتون ، وانتظرت الى الساعة  
الحادية عشرة ، ولم يظهر هاشم .. فقلت لزوجى :

— أنا متضايقه .. الناس الليلة دى دمها ثقيل .. تعالى  
نروح مينى هاوس .. عايزه اشم هواء ..

وذهبنا الى مينى هاوس .. ورأيت هاشم هناك ..

وأصبحت أستثقل الايام التى يعود فيها زوجى الى السويس .  
لاننى لا أخرج ولا أرى هاشم .. وأصبحت أنتظر عودته من  
السويس ، كائى أنتظر هاشم .. والى عليه أن يطيل بقاءه  
فى القاهرة .. والمسكين سعيد .. يظن انى ازداد تعلقا به ..

وفى كل ليلة أعود لأجلس مع أمى وأدفعها دفعا الى التحدث  
عن هاشم .. بل انى كنت أجبر الحديث عن هاشم فى كل مجتمع  
يضمنى .. مع صديقاتى .. مع خالاتى .. أريد أن أعرف عنه  
كل شىء .. وعرفت أنه يقيم مع أخته وزوجها فى فيلا بالمعادي  
.. وأنه أعلن خطبته منذ خمس سنوات ، ثم فسحها بمقد  
شهرين .. لا أحد يدري السبب ، على وجه التحديد .. وأن  
سيدة مشهورة اسمها ناهد ، أحبته منذ عامين .. ثم انفصلا ،  
ولا أحد يدري لماذا .. ربما لأنها كانت أكبر منه .. و .. و ..  
كل ما يعرفه الناس ، عرفته .. وخيالى يتجسد أمامى .. ويتجسد  
أكثر .. انى أكاد أحس بهاشم ينام فى سريرى .. وأنفاسه فوق  
وسادتى .. وأنتقل فى نومي ، وأجذب الملاء معى ، فأحلم بانى  
جذبتها من فوقه وهو رائد بجانبى .. فأصحو من نومي .. وابتسم  
.. ابتسم له .. كائى اعتذر بابتسامتى لانى جذبت الملاءة من  
فوقه ..

وكل شىء يبدو سهلا أمامى .. انى أستطيع أن أصل اليه  
.. وأستطيع أن أتزوجه .. ربما كانت غلطتى وغلطتى أمى .

اننا لم نختر عبد السلام ، ولكن عبد السلام هو الذى اختارنى ..  
لو اننى انتظرت حتى اختار انا .. حتى التقى بالرجل الذى  
اريدته واقتر الزوج به ، فربما تزوجت الدكتور هاشم .. واصبحت  
احمل الاسم الكبير .. حرم الدكتور هاشم .. كل البنات يفعلن  
هذا .. يخترن الرجل ، ثم يضمن خطة ليدفعنه الى الزواج ..  
ولكنى لم اضع خطة ..

صدقونى انى لم اضع خطة ..

تصرفت تلقائيا ، بلا تفكير ..

اتصلت بعيادته فى الصباح ، وطلبت تحديد موعد لكشف  
خاص .. وحدد لى التومرجى موعدا فى الساعة الواحدة بعد  
الظهر .. وحاولت وأنا واقفة امام المرأة ان اعطى بزينتى اعتناء  
خاصا .. ولكنى لم استطع .. كنت مرتبكة .. لا .. لم اكن  
مرتبكة .. كنت ساهمة .. ولم اجد صعوبة يوما فى الخروج  
من البيت وحدى .. انى متزوجة .. وامى لم يعد لها حق على  
.. وذهبت وليس فى رأسى كلمة واحدة مما ساقوله لهاشم ..  
ليس فى رأسى شيء .. ساهمة .. كل ما فعلته وأنا ادخل  
العمارة التى تقع فيها العيادة هو انى خلعت دبلة الزواج من  
اصبعى والقيت بها فى حقيبتي .. لم يكن هذا جزءا من الخطة ،  
ابدا .. ولكن فعلته لانى خجلت ان تظل دبلة الزواج فى اصبعى  
وأنا فى طريقي الى الرجل الذى اريدته .

وجلس فى غرفة الانتظار المخصصة للسيدات .. انها  
مزدحمة .. نساء وبنات كثيرات .. ولا أدري لماذا خيل الى  
انهن كلهن اصحاء .. ليست بينهن مريضة واحدة .. ولكنهن  
يمثلن جنس ليتعرفن بالدكتور هاشم .. فقط ليتعرفن به ..  
وكرهتهن جميعا .. وكانت بينهن فتاة فى مثل سننى .. ماذا تفعل



هذه الفتاة هنا .. انها لا تبدو مريضة .. وجنتاها فى لون  
الطماطم .. وعيناها وقحطان .. وجسدها ممتلئ بالعافية ..  
تستطيع أن تهد جبلا .. ونظرت اليها كأنى أحاول أن أخضعها بعيني  
.. لا بد أنها من البنات المائعات ، الفارغات ، اللاتي يترددن  
على عيادات الأطباء لقطع الوقت .. وابتسمت .. ابتسمت  
ساخرة من نفسى .. انى أنا أيضا من البنات المائعات الفارغات ..

وأدبرت عيني عن الفتاة .. وابتسمت التى اسخر بها من  
نفسى لا يزال طعمها بين شفتي .. وسقطت عيناى فوق أصبعي  
الذى خلعت منه خاتم الزواج .. وداهمنى احساس مفاجيء  
بأنى عارية .. فغطيت أصبعي بكفى ، بسرعة ، كأنى أغطي  
نفسى ..

وحاولت أن أهذا .. حاولت أن أجمع ذهني المشتت لأفكر  
فيما أفعله .. ربما كنت مجنونة .. ربما كان من الأسلم لى  
أن أطرد كل هذه الخيالات من رأسي وأعود الى بيتي . والى زوجي  
الرجل الطيب ..

ولكنى لم أهذا .. وجاء التومرجى وأخذ منى جنبيهين أجر  
الكشف .. وأعطاني ايصالا .. ونظرت الى الايصال ، وعدت  
أبتسم ساخرة من نفسى .. انها المرة الأولى التى تدفع فيها فتاة  
شمن لقاءها مع رجل .. جنيهان لأرى رجلى .. لأرى خيالى ..  
انه احساس مهين .. احساس أذلنى .. وحاولت أن أقتع نفسى  
بأنى أذفغ شمن تذكرة سينما .. كأنى فى طريقي لأرى فيلما  
لروبرت ميتشام .. ان روبرت ميتشام أيضا يملأ خيالى .. كل  
ما هناك أن تذكرة الدكتور هشام أغلى قليلا من تذكرة روبرت  
ميتشام .. ولكن .. لا .. انى لا أحس بهذه الرجفة ، ولا بهذا  
الارتباك وأنا ذاهبة الى السينما ، حتى لو كان البطل هو روبرت

ميتشام .. وعادونى الاحساس المهين .. احساس بأنى أذفغ  
شمن لقاءى بالرجل الذى أخفرتة .. كأنى اشتريته بالفلوس ..  
وحاولت أن أطرد هذا الاحساس ، لأعود وأفكر فى هدوء  
.. ولكنى لم أستطع .. السيدة المعجوز التى تجلس بجانبى مالت  
على بكل جسمها ، وسألتنى :  
— وانتى يا حلوه بتشتكى من ايه ؟

وترددت برهة .. لم أكن قد قررت نوع المرض الذى ادعيه  
.. كان الموضوع قد غاب عنى حتى هذه اللحظة .. وقلت فى  
تلعم :

— بادوخ .. وعندى صداع مستمر ..  
وقالت السيدة المعجوز وهى تبتسم واثقة كأنها تعلم كل  
شئ :

— يبقى عندك مصران أمور .. اصل بنت أختى كان عندها  
.. و ..  
وانقضى منها التومرجى المذهب .. جاء دورى :  
— اتفضلى يا أفندم ..

وخيل الى انى تشبشت بمقعدى برهة .. لا أريد أن أذهب  
اليه .. أريد أن أعود الى بيتى .. ولكنى تمالكت نفسى وقمت  
والرجفة تسرى فى دمي .. وسرت وراء التومرجى ، وأنا أشعر  
بعيون المتنظرات تلتسع ظهري ، كأنهن يرين رجفتى ويعرفن  
سرها ، وكأنهن يحسدننى لأنى سبقتهن الى الجنة .

ووجدت نفسى معه ..  
مع الدكتور هاشم ..  
أول مرة ..

فى غرفة مكتب هادئة .. غابقة اللون .. خافتة الضوء

.. ينطلق فيها هواء رطب ، من مكيف الهواء .. وفوق المكتب ألتان للتليفون ، أحداهما بيضاء .. وهو واقف .. طويلا .. عريضا .. أنفه قوى .. ويرتدى حلته كاملة ، وليس فوقها معطف أبيض . كما تصورت .. كأنه واقف ليستقبل مدعويه فى بيته ..

وانطلقت من بين عينيه المنتفختين نظرة بهارقة .. كأنها نظرة دهشة .. كأنه فوجيء .. ثم أرخى عينيه عنى سريعا ، وابتسم ابتسامة خفيفة مرت بين شفثيه المنفرجتين بسرعة .. ثم أشار الى مقعد عريض بجانب المكتب ، وقال فى صوت خفيض :  
— اتفضلى ..

ولف حول المكتب وجلس على كرسيه .. وجلست أنا على حافة المقعد .. والرجفة لا تزال تسرى فى دى .. حائرة أين أضع نظرات عيني .. هل أنظر اليه .. هل أنظر أمامي .. هل أنظر الى حذائي .. ولا أدري ماذا كان لون وجهي ساعتها .. هل كان أحمر ، أم أصفر .. ولم أدر هل أتكلم أم أسكت .. ولكنى .. فجأة .. وجدت نفسى أنطلق بالكلام كأنى أفر به من ارتباكى :

— أنا يا دكتور بأحس بدوخه .. ودايما عندى صداع .. ومالبش نفس للأكل .. ولما بقوم من النوم بابقى دايمه .. ولا ..

وقاطعنى ، وهو يخرج ورقة مطبوعة من درج المكتب ، وكنه لم يسمع كلمة واحدة مما قلت :

— الاسم من فضلك ؟ ..

وقلت وأنا مستطرده فى الكلام :

— ميتو ..

ورفع الى عينية فى دهشة ، وابتسامة كبيرة تملأ شفثيه ..

واستدرجت قاتلة :

— أمينة .. أمينة سالم ..

قال وهو يكتب ؟ ..

— السيدة ؟ ..

وترددت قليلا ثم قلت :

— آنسة ..

انى لم أكتب .. انى آنسة فعلا ، لم أرف بعد الى زوجى .. واسترحت لانى أقنعت نفسى بأنى لست كاذبة ..

وعاد يسألنى ، وقد سحب ابتسامته من بين شفثيه . واكتفى وجهه بمظهر الجد :

— السن ..

— تسعناشر ..

ورفع الى عينية فى نظرة سريعة ، كأنه اكتشف كذبنى .. لا .. لا يمكن أن يكون قد اكتشف كذبنى . انى طويلة ، وكل من يرانى يقدر عمرى بأكثر من سبعة عشر عاما .. وعاد يسألنى :

— عملتى عمليات قبل كده ..

قلت وأنا أنتهز فرصة اخفاء راسه وهو يكتب ، لأملا عيني منه :

— المصران الأعور .. واللوز ..

قال :

— اتحصيتى وانتى صغيره .. فأكره عييتى بايه ؟

وبدأت اشعر بالضيق .. أنه يسألنى كأنى فتاة صغيرة .. وطريقة سؤاله تسد فى وجهي كل الأبواب .. كأنه صدق انى مريضة .. وكذبت أصرخ فى وجهه انى لست مريضة ..

ثم أقوم واضربه بالقلم .. وأشد انه الكبير .. ولكنى تمايلت  
نفسى ، وقلت :

— عييت بالحصبة .. ومش فأكره أكثر من كده ..  
واعتدل فى مقعده . ونظر الى نظرة جادة ، وقال :

— قوللى بآه .. ايه اللي تاعبك ..

ولم اتحمل نظرانه الجادة ، أرخيت عيني ، وأخذت اعدد  
له كل ما خطر لى من مظاهر المرض .. صداع .. دوخه ..  
مفص .. ضعف الشهية .. امساك .. أسهال .. قلبى ..  
جنبى ..

ونظر الى فى حيرة .. وقال وهو يتنهد كأنه يلعن مهنته :  
— نشوف ..

وضغط على جرس بجانبه ، وانحنى يكتب شيئا فى الورقة  
التي امامه ..

وفتح باب فى داخل الغرفة ، وأطلت منه ممرضة سميكة  
يبدو عليها انها فى الأربعين من عمرها .. اجنبية .. ربما كانت  
يونانية .. وأشارت الى ، وقالت بلكنتها المكسرة :

— اتفضللى ..

وخفت ..

لا أدري لماذا ..

ولكنى خفت ..

وبقيت فى مقعدى .. ونظرت الى هاشم كائى استغيب  
به .. وكان هاشم لا يزال يكتب .. ورفع رأسه ، واتسعت  
عيناه كأنه دهش لأنى لا زلت فى مقعدى .. وقال هو الآخر وهو  
يشير الى الباب الذى فتح :

— اتفضللى ..

وقمت ، وركبتاى ترتعشان .. ونظرت الى نظرة أخيرة  
كائى استحلطه أن يكون رفيقا بى .. أو يعذر جنونى .. ودخلت  
حجرة الكشف ، وأغلقت الممرضة الباب وراءنا .. ثم أشارت  
الى « بارفان » موضوع فى جانب الغرفة وقالت بلهجتها العربية  
المكسرة :

— اتفضللى اقلعى ..

قلت وأنا ابتلع ريقى بصعوبة :

— ضرورى ..

قالت دون أن يهتز لها رمش :

— ضرورى يا مدام ..

قلت والدموع تقفز الى عيني :

— مش ممكن الدكتور يكشف على من فوق الفستان ..  
قالت :

— لا .. مش ممكن يا مدام ..

ووقفت امامها مبهوتة كائى سمعت فى الأرض .. وعادت  
تقول فى ضيق ..

— اتفضللى ..

قلت وانفاسى تتلاحق فى صدرى :

— اقلع ايه ؟

قالت :

— كله .. كله ..

وحنيت راسى .. وخطوت وراء البارفان كائى احتنى به  
.. احتنى به .. احتنى به من الممرضة ومن الدكتور ، ومن  
نفسى .. ووقفت برهة وأنا لا أتحرك .. لماذا اعرض نفسى  
لكل هذا الهوان .. اتى لم أفكر فى أن كل هذا يمكن أن يحدث

لى .. و .. ولكنى لا استطيع ان اراجع .. كئيبى كبرت الى حد انى لم اعد استطيع ان اهرب منها ..

ثم ماذا لو خلعت ثيابى امام الطبيب .. كل النساء يخلعن ثيابهن امام الاطباء .. ومنذ خمس سنوات ذهبت الى الطبيب مع امى ، وكشف على .. انى لا افعل شيئا اكثر مما تفعله اى بنت تذهب الى طبيب ..

وكنت احاول ان اتنع نفسى .. ان اضحك على نفسى .. ولكنى لم استطع .. ربما لانى لم اذهب الى الطبيب لانى مريضة ، بل لانى امرأة .. ولم اذهب اليه كطبيب ، بل ذهبت اليه كرجل ..

وبدأت اخلع ثوبى فى ببطء .. وخجل .. خجل ينطلق فى صدرى كصاروخ النار ، وبصر وجنتى .. اكثر من خجل .. انه احساس بالفضيحة .. والدموع تتجمع فى عيني .. دموع فضيحتى .. ودموع ذلى .. وفى وسط كل هذه الاحاسيس الصارخة ، تذكرت انى ارتدى قميصا داخليا عاديا من الجرسية .. ان عندى قميصا داخليا ابيض من « البرلون » الطبيعى ، مطرز بالدانتيل ، على جنبه ، وفى ذيله ، لماذا لم البسه .. يا ربى !

والدموع المحبوسة لا تزال تحرق عيني .. واطللت براسى من خلف البارغان الاظمن الى ان الدكتور لم يدخل الحجرة بعد .. ثم خطوت نحو الممرضة ، ووقفت امامها صامئة خجلة ..

وقالت الممرضة بمجرد ان رفعت عينيها الى :

— لسه يا مدام .. الستوتيان .. والجريتير كمان .. خليك

بالكولزون بس ..  
قلت فى حدة :

— لا .. كفايه كده ..

قالت وهى تبتسم كائى لست الفتاة الاولى :

— مش ممكن يا خبيتى .. عايزه الدكتور يكشف ، عليك

ازاي ..

ثم مدت يدها بسرعة فى ظهرى ، وفكت مريط الستوتيان .. وانشئت تحاول ان تفك الجريتير ، ولكنى سبقتها اليه ..

ثم سحبتنى من يدى ، وأرقدتنى فوق اريكة الكشف ، وغطتنى بملاءة بيضاء ..

وجذبت الملاءة حتى عنقى ، وتشبثت بها ، بكل اصابعى العشر .. وفى عيني نظرات خائفة مذمورة ..

وذهبت الممرضة ، وفتحت الباب ، ليدخل هاشم ..

لم ينظر الى ..

لم ينظر الى قطعة منى ..

جلس على مقعد موضوع بجانب الأريكة التى أرقد عليها .. وناولته الممرضة سماعته فعلق طرفيها فى أذنيه ، ثم حاول أن يجذب الملاءة من فوق صدرى .. ولكنى تشبثت بها .. ونظرت اليه بعيني الخائفتين .. أرجوه .. اتوسل اليه .. استغيث به .. ونظر الى نظرة جامدة ملأت عينيه المنتفختين ، وقال فى لهجة حازمة صارمة :

— أرجوكى ..

ونظرت اليه مليا .. والدموع تكاد تقفز من عيني .. ثم أدبرت راسى عنه ورفعت ذراعى وغطيت بها عيني .. لا أريد ان اراه .. لا .. لا أريد ان أرى نفسى .. وكل قطعة من جسدى متوقرة ، كأنها تتحفز للدفاع عن نفسها ..  
احسبت باصابعه تقترب من صدرى .. هل هى اصابعه

أم فوهة السماع .. لا أدري .. ولكنى أحس بطرقات عنيفة  
على باب الكنز .. انى اكتشف .. لأول مرة أحس انى اكتشف  
.. وأنا خائفة .. خائفة .. أموت من الخوف ..

وسمعت صوته يأمرنى :

— خدى نفس طويل ..

كيف أستطيع أن أتنفس .. انى لا أستطيع .. نفسى مقطوع  
.. مزق .. مزقه الخوف .. والخجل .. والرهبة ..  
وانت ..

وعاد يأمرنى :

— أتنفسى ..

وتنفست كأنى أشد نفسى من بئر عميقة .. وصدرى منتفض  
.. ثائر .. حساس .. يحس بكل حركة من أصابعه .. ربما  
كان يتخيل حركات لم تحدث .. فينتفض أكثر .. وذراعى فوق  
عينى المغمضين .. وفجأة أحس كأنى ساهيم .. كأنى سارتاح  
.. ساستسلم .. فارفع ذراعى ، وافتح عينى .. حتى أرى  
النور .. الأفيق .. كأن النور دش يفيقنى .

وسمعتة يقول :

— اتفضلى اتعدى ..

ثم مد يده وأمسك بذراعى ، ليساعدنى على أن اعتدل  
من رقدتى .. وجلست فوق الأريكة ، وأنا ألفا الملاة فوق  
صدرى وأرتجف ..

ووضع سماعته فوق ظهري ، من تحت قميصى .. وكل  
ما أحس به أنفاسه الساخنة تلفح ظهري .. وأصابعه الباردة  
تسطدم بلحمى .. ويقول :

— أتنفسى من فضلك ..

{ {

يا لك من قاس .. أعفنى من التنفس .. لم يعد فى شىء  
بتنفس .. انى أتصيب مرقا .. ألا ترى ..

ولكنى تنفست .. لأنه يريدنى أن أتنفس ..

وعاد وأرقدنى .. ونظرت إليه نظرة سريعة .. إن وجهه  
صارم ، جاد .. كأنه لم يكشف شيئاً .. كان ليس بين يديه  
كنز .. كأنى مجرد كيس من القطن ، لم تشتعل أصابعه بسخونته  
.. برجفته .. بتحفره ..

ومد يده من تحت الملاة .. وضغط على بطنى ، وهو يقول :

— حاسه بوجع ..

يا مجنون .. ألا تكفى أصابعك لتؤلمنى .. انها تؤلم كل  
قطعة منى .. انها تشعل النار فى أعصابى .. فى راسى ..  
انى أحس بها تحت جلدى ..

وعدت أغمض عينى ، واضع ذراعى فوقهما ، واجبت  
هامسة :

— لا ...

ونقل أصابعه ، يضغط بها فوق كل بطنى .. كأنه طفل يلهو  
بكرة منفوخة نصف انتفاخة .. ثم قاس النبض .. وقاس ضغط  
الدم ..

ثم قام فجأة من جانبنى .. هو يقول :

— متشكر ..

واختفى فى الحجرة المجاورة ..

وساعدتنى الممرضة على القيام من فوق الأريكة .. وأنا  
تعبد .. منهوكة .. هدنى الخجل .. وهدنى المقاومة .. مقاومة  
أحاسيسى التى أثارها أصابع الدكتور ها ..



وارتديت ثيابى ، وأنا أشعر بدوار يكاد يوقعنى على الأرض ..

وفتحت لى الممرضة الباب ، وخرجت اليه ..

وكان واقفا بعيدا عن مكتبه ، واستقبلنى وظل ابتسامة خفيفة يلعب فوق أسنانه البيضاء القوية .. وقال :

— انتى ما عندكيش حاجة .. وأنا كبت لك دوا للأعصاب .. حبه واحده قبل النوم .

ومد لى يده بورقة العلاج ..

وتناولتها منه بيد مرتعشة .. وظللت واقفة ابطلق فى وجهه بكل عينى .. لم أتحرك .. لا أستطيع .. لا يمكن أن ينتهى كل ما فعلته عند هذا الحد .. لأبد أن يحدث شيء آخر .. لا أدري ما هو .. ربما أردت سماعها أن يسألنى عن عنوان بيتى ليأتى ويخطبنى .. لم لا .. لقد طرق أبواب كنزى .. وزوجى عبد السلام رأتى فى الشارع ، وتتبعنى الى أن عرف البيت ، وجاء ويخطبنى فى اليوم التالى .. فلماذا لا يفعل مثله .. وربما كنت أريد أقل من ذلك .. كلمة .. أى كلمة ..

ولكنه صابت .. ينظر فى عينى المعلقتين بعينيه .. ولا يتكلم ..

ولا كلمة .. فقط اتسعت ابتسامته ..

ووجدت نفسى أقول له بصوت مرتعش :

— أنا شفتك قبل كده كثير يا دكتور ..

وقال وابتسامته تقفز الى عينيه :

— وأنا كمان شفتك كثير ..

ثم سبكت ..

وابتسمت .. الحمد لله .. لقد كان يرانى كلما رأيته .. وقد كنت اعتقد انى لم ألفت نظره ..

ولكنى لا أريد أن أتحرك ..

لا يمكن أن يكون هذا هو كل شيء ..

وأنا واقفة امامه كالصنم البارد .. وغينائى معلقتان فى عينيه .. وشفتائى ترتجفان .. بينهما كلام كثير لا أستطيع أن أحمده ، ولا أن أنطق به ..

واتسعت ابتسامته ..

وجذب ورقة العلاج من يدى ، ثم انحنى على مكتبه ، وكتب عليها رقما ، ثم أعادها الى وهو يقول ، مبتسما :

— لو حسيتى بتعب مرة ثانية .. اتصلى بى فى النبرة دى .. مع السلامة .

ونظرت اليه متسائلة ..

ثم سببت نظرتى ..

وخرجت ..

ساهمة ..

وبصمات أصابعه فوق جسدى ..

غريبة .. غريبة هذه الثقة التى تشعربها فى انفسنا ، ونحن فى هذا العمر .. ثقة هائلة ضخمة .. ثقة التفاؤل ، والحيوية الدافقة .. أننا نسير فى الحياة كمياء الجدول الصغير ، تقفز فرحة فوق الصخور التى تعترضها وهى لا تعلم أن هناك .. فى نهاية الطريق .. سيبتلعها البحر الكبير ..

ونحن لا نرى البحر الكبير .. لا نسمع به .. نتدفق فرحات .. ساخرات .. واثقات من انفسنا .. الى أن يبتلعنا .. هذا البحر الكبير ..

وقد خرجت من عيادة الدكتور هاشم وأنا أحس إحساسا جارفا بالثقة فى نفسى .. أحس بالقوة .. لم أحس بالقوة قدر

ما أحسبت بها فى هذا اليوم .. صنيح أن الرجفة كانت لا تزال  
سرى تحت جلدى .. ولكنها رجفة لذیذة .. الرجفة التى تعقب  
المغامرة الناجحة .. كائى قفزت من فوق سور عال ، ووقعت  
سائلة .. وضحكت ساعقتها .. ضحكت فى سرى ضحكة كبيرة  
ملأت كل صدرى .. كائى انتصرت .. انتصرت على الدكتور  
هاشم .. خدعته .. ووصلت اليه ..

وعدت الى البيت ..

ووقفت فجأة أمام الباب ، قبل أن أمد يدى واضغط على  
الجرس ..

لقد كنت أنسى ..

وفتحت حقيبى ، وأخرجت منها خاتم الزواج ، وأعدته الى  
أصبعى .. ولم أشعر أنى غطيت أصبعى العارية .. لم ألتفت  
بأنى كنت عارية ، كما شعرت عندما خلعت .. بل شعرت أنى  
وضعت فى أصبعى شيئاً ثقيلاً ..

ودخلت الى أمى .. وجلست بجانبها أكذب عليها . لم أتل لها  
طبعاً أنى كنت عند الدكتور هاشم .. قلت لها أنى كنت أطوف  
بالدكاكين .. واكتشفت ساعقتها أنى أستطيع أن أجيد الكذب ..  
وانى أجيد تجنب الدخول فى التفاصيل حتى لا يكشف كذبنى ..

وتسللت من جانب أمى بسرعة .. تسللت الى مرأتى ..  
ووقفت أمامها أنظر الى نفسى يعينين ملهوفتين ، كائى سارى  
شيئاً جديد حدث لى .. حدث لجسدى .. ربما كنت أنتظر  
أن أرى بطنى منفوخاً .. أو صدرى وقد كبر وامتلاً .. وابتسمت  
وهذه الخيالات تدور فى رأسى .. ثم بدأت أخلع ثيابى ، وبين  
كل لحظة وأخرى أنظر الى مرأتى وأبحث فى جسدى من شيء ..

عن آثار أصابعه .. لا .. لم يترك أثراً .. ولكنى أحس بأصابعه  
كلها .. أحس بها فوق بطنى وصدرى .. وظهرى .. وصورته  
تملأ رأسى .. عيناه المفتحتان .. وأنفه الكبير القوى .. وشفاه  
المنفرجتان نصف انفراجة ..

وارتديت قميصى ، ووقدت فى فراشى أحلم .. وغينى  
مفتوحتان .. أنه قريب منى جداً .. أراه فى عيادته .. فى غرفة  
المكتب .. وفى غرفة الكشف .. أنه يفكر فى .. لأبد أن يفكر  
فى .. لعل تفكيره فى يلهيه عن تركيز عقله فى الكشف على  
مرضاه .. لا .. أنى أعفيه من التفكير فى ليتفرغ بكل عقله  
لمرضاه . ثم أرى فى خيالى هذه الفتاة التى رايتها فى غرفة  
الانتظار ، وقد دخلت غرفة الكشف .. أراها وهى تخلع ملابسها  
كما خلعتها .. وترقد على الأريكة الطويلة .. وأصابعه تصطدم  
بصدرها .. وقلبى يتلوى .. ولكن .. لا .. هذه الفتاة شيء  
آخر .. وأصدق بسرعة أنها شيء آخر .. لا يمكن أن يكون قد  
ابتسم لها هذه الابتسامة التى ابتسمها لى .. ولا يمكن أن يكون  
قد كتب لها رقم التليفون الذى كتبه لى .. وأجرى الى حقيبتى  
وأفتحها ، وأخرج ورقة العلاج التى أعطاه لى ، وأقرأ رقم  
التليفون .. أنه رقم غير الرقم المكتوب فى الدفتر .. لعله رقم  
التليفون الآخر .. التليفون الأبيض ..

وأهم بأن أجرى الى التليفون وأدير الرقم ..

لا .. يا بت انتلى ..

ونقلت ..

ودرت فى أنحاء البيت بخطوات راقصة ، وفى عيى ضحكة  
كبيرة .. وفى قلبى زغرودة .. وكل شيء أحبه .. أحب أمى ..  
وأخوتى .. وزوج أمى .. والمقاعد .. والمستأثر .. والجدران

.. السعادة تكاد تطير بى .. ويشق منعادتى بين الحين والآخر ،  
خط من الحياء ، كلما تذكرت نفسى وأنا عارية معه فى غرفة  
الكشف .. ثم اضحك .. اضحك على نفسى .. سعيده بنفسى ..  
هل تذكرت زوجى ..  
ابدا .. نفسيته .. كانه ليس شيئا فى حياتى .. كانه ليس  
عقبه فى طريق أحلامى ..

وعندما جاء من السويس فى نفس المساء .. ام أصدم  
به .. لم أفق من أحلامى .. كانه شيء موجود فى حياتى ولا شأن  
له بى .. كاخى من أمى .. كابن عمى .. واستقبلته بابتسامة  
أكبر من الابتسامة التى تعودها منى .. واهتمت به أكثر من  
كل يوم .. الشيء الوحيد الذى تغير هو انى لم اطلب منه ان  
نخرج لنتناول عشاءنا فى الخارج .. لم أعد أريد ان أبدو به  
امام الناس .. لا اريد ان يرانى هاشم معه .. انه لا يعلم انى  
متزوجة ..

وذهبت مع زوجى ليلتها الى السينما ثم خرجنا واشترينا  
قطعا من الساندويتش تناولها فى السيارة .. والدكتور هاشم  
معنا .. فى خيالى .. فى السينما .. وفى السيارة .. وتفكيرى  
فيه يتطور بسرعة .. بدأت افكر فى المشكلة التى ستواجهنى  
عندما يطلبونى للزواج .. سناضطر للطلاق من زوجى .. كيف ..  
لا ادرى .. ولكن .. لا يهم .. لابد أن أمى ستساعدنى يومها ،  
على الطلاق .. انها لن تتردد فى مساعدتى خصوصا اذا كنت  
سأتزوج رجلا كالدكتور هاشم ..

ولم اتم ليلتها ..

انام لحظات ، وأصحو لأفكر من جديد ..

ولكنى لم أكن متعبة .. فى الصباح .. لم أفقد شيئا من  
حيويتى وأندفاعى ..

وقاومت التليفون حتى الساعة الثانية عشرة ..  
ثم لم أستطع ..  
أدركت الرقم ..  
لا أحد يرد ..

ربما كان فى غرفة الكشف ..  
وبعد ربع ساعة أدركت الرقم من جديد ..  
وسمعت صوته ..

وارتجفت .. هذه الرجفة .. التى تسرى تحت جلدى ..  
وقلت والرجفة تقفز الى حلقى :  
— صباح الخير يا دكتور ..  
ورد فى عجلة :

— صباح النور .. مين ..  
قلت وأنا أجلس على المقعد الموضوع بجانب التليفون :  
— مش عارفنى ؟ ..  
وفكر برهة سريعة ، ثم قال :  
— آه .. ازيك دلوقت ..  
قلت :

— أنا باتكلم علشان أشكرك .. أنا فعلا استريححت .. و ..  
قال مقاطعا :  
— العفو ..  
قالها بسرعة كانه فى عجلة لانتهاء الحديث ..  
قلت :

.. أنت مشغول ؟

قال فى لهجة ارق :

— فعلا .. العيادة مليانة .. ولغاية دلوقت ما شفتش  
الا اثنين ..

قلت بسرعة كائن ادارى خجلى :

— طيب اضرب لك بعدين ..

قال :

— مش قبل الساعة تلاته ..

قلت :

— ان شاء الله . مع السلامة ..

ووضعت سماعة التليفون قبل ان يضعها ..

واحسست بالضيق .. كانه اهانتنى .. ربما كنت انتظر

منه ساعتها ان يترك مرضاه ويتفرغ للحديث معى فى التليفون .

ولم اتصل به فى الساعة الثالثة .

تعهدت الا اتصل به ..

ولا زلت اشعر بالضيق ..

ولكن مع مرور الساعات بدأت اهدأ .. بدأت التمس له

العذر .. ان مرضاه احق به منى رايه لو كان طبيبيا يهمل مرضاه ،

لما اصبح مشهورا الى هذا الحد .. و .. و .. كلام كثير قلته

لنفسى .. الى ان ان صالحت نفسى عليه ، كائن كنت قد خاصمته ..

وفى اليوم التالى ، اتصلت به .. فى الساعة الثالثة ..

لا حد يرد ..

انتهى من مرضاه وانصرف ..

وانصلت به فى المساء ، فى مواعد العيادة ..

انه مشغول ..

يتكلم بسرعة ..

كانه يلقي كلماته ليمسد بها فمى ..

ومرت عشرة ايام ، وانا لا استطيع ان اعيش معه فى

حديث يدوم اكثر من دقيقة .. والياس يزحف على .. واحلامى

تتبدد .. تكاد تتبدد كلها .. ولم تعد فكرة الزواج به تراودنى

بنفس الثقة .. بل اصبح الزواج به هو آخر ما افكر فيه .. ان

كل ما افكر فيه الآن هو ان اصل اليه من جديد .. انه اصعب

ما كنت اتصور .. ولكن .. لاشئ سهل ..

ورفعت سماعة التليفون ، وادرت الرقم ، وقلت بمجرد ان

سمعت صوته :

— انا تعبانة قوى يا دكتور ..

وخيل الى انه ابتسم ..

لا ادرى لماذا .. انى لم ار ابتسامته .. ولم اسمعها ..

ولكنى متأكدة انه ابتسم ..

وسمعتة يقول فى ثقة ، وفى نفس العجيلة التى تعود ان

يحادثنى بها :

— اشوفك ..

قلت بسرعة كائن اخاف ان يعود ويجرى منى :

— فين ؟

ولم يبد عليه انه اندهش من سؤالى .. ولم يضحك ..

بل انى لم اتخيله مبتسما فى هذه اللحظة .. وقال وكلماته تقفز

بعضها فوق بعض :

— تعرفى شارع حسن صبرى بالزمالك .. نمره اثنين

وتلاتين .. شقة اربعتاشر ..

قلت :

— بس .. و ..

قال مقاطعا وبسرعة :

— الساعة أربعة كويس ؟

وسكت برهة .. افكر .. كائى انتبهت الى ما افعله ..  
ثم قلت بصوت محتد كائى افعداه :

— كويس ..

والقيت سماعة التليفون ، دون ان اتول له مع السلامة ..  
كائى افنقه بها فى وجهه ..

وجريت الى غرفتى ، والقيت نفسى على الفراش منكئة  
على وجهى ، واخذت اضرب الوسادة بكلتا يدي .. مغناظة ..  
مغناظة .. احس انه قهرنى .. انتصر على .. انى لن اذهب ..  
لن اذهب .. ماذا يعتبرنى هذا الرجل .. واحدة كبقية البنات ؟  
ثم ..

خف غيظى .. لماذا اغتاظ .. انى لا يمكن ان انتظر من هاشم  
ان يسير ورائى فى الشارع الى ان يعرف عنوان بيتى ، ثم ياتى  
ليخطبنى كما فعل عبد السلام .. ان هذا الصنف من الرجال  
لا يمكن ان يتزوج هكذا .. لابد ان يسبق زواجه قصة حب  
كبيرة .. ولا يمكن ان يكفى ما حدث بينى وبينه حتى الآن ليكون  
قصة حب ..

ولكنه يريدنى ان القاه فى شقة خاصة ..  
وماله ..

ان صديقتى هدى تقابل حبيبها فى شقته .. وسميرة ..  
ومحمد عنده شقة خاصة يستأجرها هو وبعض اصقائه وحاول  
ان يدعونى اليها عندما كنت احاده فى التليفون .. وفى مصر  
الجديدة عبارة فيها شقة خاصة يستأجرها بعض شباب النادى ،  
يعرفها كثير من صديقاتى وكنت امر من امامها وارفع عينى اليها

فى تردد كائى انتظر ان ارى فى شرفاتها رجلا عاريا ، او فتاة  
عادية .. لا .. من الطبيعى ان يمتلك هاشم شقة خاصة ..  
ومن الطبيعى ان يقابلنى فيها ، فهو رجل مشهور لا يستطيع ان  
يبدو معى فى السيارة ، وانا متزوجة ، لا يصح ان ابدو مع رجل  
غير زوجى ..

ولكن ، لماذا اذهب اليه ؟

وخيل الى ساعتها ان فكرة الزواج به ليست ستوى وهم ..  
ليست ستوى حجة أبرر بها اندفاعى وراء ازمى التى يسببها  
مراغ حياتى .. اندفاعى وراء البحث عن شىء اشبع به غرورى ،  
وافتتاتى بنفسى ..

يجب ان اقلوم ..

لن اذهب ..

ولكن جسدى كله يؤمنى .. وبصبات اصابعه تحرقنى ..  
انى لا زلت احس بها منذ كشف على فى عيادته ..

وكل عروقى تجذبنى اليه ..

والحيرة تعذبنى ..

انى لا استطيع ان اتخذ قرارا .. وخرجت من غرفتى كائى  
افر من نفسى .. وجلست بجانب امى كائى اهتمى بها .. وفكرت  
مائة مرة ان اتول لها كل شىء .. لماذا لا اصارحها .. ربما  
لو صارحتها ، حتى لو اضطرت ان اخفى بعض التفاصيل ،  
لساعدتنى على نفسى .. لانتشلتنى من ازمى .. لانتقذت حياتى  
كلها ..

ولكنى لم اقل لها شيئا ..

وبقيت اعانى ازمة التردد .. وعروقى كلها منتفخة ، تشدنى  
الى هاشم ..

وفى الساعة الثالثة والنصف ، لم اعد أستطيع ان أقاوم .

خرجت ..

اليه ..

والرجفة تسرى تحت جلدى ..

ودرت أبحت فى شوارع مصر الجديدة عن « تاكسى » ..  
وخطواتى سريعة بلهوفة كأتى هاربة من بيتها ..

وتنبهت وأنا فى « التاكسى » الى انى لم أقف امام مرأتى  
طويلا .. فأخرجت مرأتى الصغيرة ، وغرزت عيني فيها ..  
ان لوني متقع .. وخط الكحل تحت عيني ، مرتعش .. والأحمر  
فوق شفتى متماوج ، ناحية ثقيلة ، وناحية خفيفة .. وبدأت  
أصلح من زينتى .. وأقرص وجنتى حتى يحتقنا بدمائى .. ولم  
أكن ساعتها معجبة بنفسى .. لم أكن اعى احساساتى .. كان  
عقلي الذى أعيش به ، متوقف .. أنا التى أوقفته .. لا أريد ان  
أفكر .. لا أريد ان اعى .. لا أريد ان أفهم شيئا مما حولى ،  
او مما فى داخلى ..

كل ما تذكرته ساعتها ان خلعت خاتم الزواج من أصبعى  
والقيت به فى حقيبتى ..

ونزلت من التاكسى امام باب العمارة .

لم يبذل السائق جهدا فى معرفة العنوان .. كان كل منأتى  
التاكسى يعرفون أين تذهب البنات .. يذهبن الى شقة الدكتور  
هاشم !

ونظرت فى ساعتى .. الخامسة الا ربعا .. ياه تأخرت  
كثيرا ..

أحسن !!

ودخلت المصعد « وأنا اشعر كأتى أسير بزمبرك .. كأتى

عروسة من خشب .. كل شئ فى صامت .. عقلى صامت ..  
قلبى صامت .. أعصابى صامتة .. جسدى صامت .. صمت  
الرهبة فى انتظار الحدث الكبير ..

ولم أبحت عن رقم الشقة .. كأتى أمرغها .. اول شقة  
رفعت عيني الى رقمها .. كان الرقم أربعة عشر ..

ولم ترتعش يدي وأنا أضغط على جرس الباب .. يدي  
قطعة من الخشب .

وفتح لى الباب .. مرتديا القميص والبنطلون .. وياقة القميص  
مفتوحة ، تبدو من خلالها حافة فائلته الداخلية .. وعقدة رباط  
عنقه مدلاة على صدره .. وقال وعلى وجهه سحابة من الزهق :  
— انتى اتأخرت قوى ..

وابتسمت .. دون أن أرد .. وربما شعرت فى ابتسامتى  
بطعم الشماتة .. الشماتة فيه لانى استطعت أن الطعه فى  
انتظارى ..

— انتى عارفة انى لازم أكون فى العيادة الساعة خبسه  
ونص .. كنت أحب أتمد معاكى أكثر من كده ..

ولم أرد ..

وهو واقف فى فتحة الباب كأنه لن يسمح لى بالدخول ..  
وأنا راقفة أمامه .. صامتة .. وعيناي معلقان فى عينيه ..  
وأخيرا تنبه .. وأزاح نفسه عن فتحة الباب .. وسحابة  
الزهق لا تزال فوق وجهه .. وقال كأنه نادى على دعوتى :  
— اتفضلى ..

وتقدمته الى الداخل .

ولا أدري لماذا شعرت وأنا أتقدمه أنه نظر الى ساعتي ، كان  
عينيه لسمعتها ..

واستقبلتني الصلاة الخارجية للشقة .. خافتة الضوء كغرفة  
مكتبه .. النافذة الخشبية مغلقة .. والاثاث كله « سقيم »  
غامق .. شيء آخر غير ما تصوره .. انه اثاث بيت عائلة ،  
لا اثاث شقة خصوصية .. شقة اعزب ..

وجلست على مقعد عريض .. تعمدت أن اجلس على  
المقعد لا على الأريكة .. وفوق المائدة الصغيرة الموضوعة امامي ،  
فنجان شاي كبير به اثار قهوة .. وعطلى بدأ يتحرك .. وقلبي ..  
واعصابي ..

وقال وهو يجلس بجانبى على طرف الأريكة .. ويستند  
بذراعه على مسندها ، ويمسح بكفا يده على شعره الاسود  
المتوج :

— تحبى اعمل لك قهوة ..

قلت وأنا أنظر فى وجهه نظرة سريعة :

— لا .. متشكرة ..

واتسعت ابتسامته حتى آخرها ، وقال :

— تعرفى أنا واخذ البيت ده ليه .. علشان اعمل لنفسى  
فيه قهوة .. أنا احسن واحد يعمل قهوة .. يعنى اتفع دكتور  
وانفع قهوجى ..

ونظرت اليه وابتسامته سخيفة بين شفتى .. ولا ادرى لماذا  
شعر بساعتها انه انسان آخر غير الانسان الذى استقبلنى فى  
العيادة .. ابتسامته ليست هادئة كما رأيته .. وانفه اكبر مما  
كنت اعتقد .. وعينه أكثر انتفاخا وأكثر اتساعا ، وبينهما نظرة  
تحاول أن تدارى نفسها ، حتى لا تقضص صاحبها .. نظرة تتسلل  
الى فراعى والى صدرى .. والى ساقى ..

وقلت وأنا أشد ثوبى فوق ساقى

— وما تعملش قهوه فى البيت القانى ليه ..  
قال وهو يضحك :

— أختى يا تسبحش .. مش معقول تسيبنى ادخل المطبخ ..  
قلت وأنا لا أنظر اليه :

— واخذ البيت ده ، بس علشان القهوة ..  
قال :

— وعلشان استريح فيه .. معظم الأيام ما بقدرش اطلع  
المعادى بعد العيادة باجى استريح هنا ..  
قلت فى تردد وأنا أنظر فى أصابع يدي :

— يعنى ما بتحبش واحده ..

قال :

— باحب .. بس مش واحده ..

ونظرت اليه كأنى لا أهم ..

استطرد قائلا :

— باحب شغلى ..

وهذات عيناه .. وضافت ابتسامته .. ومنحبت نظرتيه من  
فوق قراعى .. رأيته كما كان فى عيافته .. وعاد يقول كأنه  
هائم :

— ما تعرفيش أنا باحب شغلى اد ايه .. باحبه زى الحب  
اللى بتقرى عنه فى القصص .. باتعذب .. وافرح .. وساعه  
اياس .. وساعه يبقى كلى ايل .. ما تقدرش تتصورى  
لما بالكشف على عيان ، باحس بيايه .. باحس ان كل اللى فى  
بطنه فى بطنى .. ولما بيقول الحته دى بتوجعنى .. باحس ان  
نفس الحته بتوجعنى أنا .. واقعد احلل الالم اللى باحس بيه  
.. واحاول اعرف اسبابه .. ولما بابص فى صورة اثنته ، باحس



انى بابص فى السما .. بابص لربنا .. وزى ما بتبصى فى  
السما وتسالى ربنا ازاي خلق النجوم ، وياه اسرارها .. انا  
كمان بابص فى صورة الأشعة ، واسأل ربنا ازاي خلق المصارين  
دى ، وياه اسرارها ، وليه خلاها تتوجع .

وكان يتكلم كانه يتنهد .. كانه يحلم وفى عينيه حب ..  
حب كبير .. حب حقيقى .. واحسست انى لم يعد لى مكان  
فى عينيه .. الحب ملاهها على آخرها ..

وقلت كائى اريد ان اتول اى شىء :  
— علشان كده نجحت .. واشتهرت .  
وقال مبتسما :

— الحب دايبا يرفع صاحبه ..

واحسست باحساساتى ترق .. وعقد الخوف والرهبة  
والجمود ، تذوب .. أحسست انى ارتفع .. وأنى دخلت فى  
عالم نظيف .. رقيق .. حالم .. وقلت وعيناي تستقران على  
وجهه فى هدوء ، وكأنهما فراشتان حطتا على زهرة بعسد سفر  
طويل :

— انا ما كنتش فاكراك رقيق للدرجة دى ..  
وضحك ضحكة كبيرة ، وقال :

— ما تطمينيش قوى . انا مش دايبا رقيق ..

ثم نظر فى عينى .. وطافت عيناه بوجهى ، كانه يرانى  
لاول مرة .. كانه يكتشف فى شيننا جديدا .. وطالت نظراته  
الى .. واختفت ضحكته .. وتلاشت ابتسامته .. أن فى نظراته  
شيننا جادا .. فى نظراته فكرة ، لا أدري ما هى .. وأنا أنظر  
اليه .. منتظرة أى شىء .. مطمئنة .. مستسلمة .. ولا أشبع  
من النظر اليه .. عيناي عشتنا فوق أنفه الكبير .

ومد يده ووضعها فوق يدى .. وشعرت بثقلها .. وحرارتها ..  
لم تكن أصابعه ، صامته ، باردة كهذه الأصابع التى كان  
يضغط بها على بطنى وأنا فى عيادته .. أن فى أصابعه حياة  
جديدة .. انها أصابع تتكلم .. ترسل اشارات الى كل قطعة  
منى .. الى قلبى .. الى عقلى .. الى صدرى .. الى خصرى ..  
وفجأة ..

نظر الى ساعته الكبيرة ، وقال فى هلع :  
— ياه .. انا اتأخرت على العيادة .. الساعة خمس  
وعشره ..  
وافقت ..

أفقت على كراهية العيادة ..  
وعاد يقول ، وهو يقفز واقفا ، ويضم ياقة قميصه ، ويشد  
عتدة رباط عنقه الى أعلى :  
— تحبى تنزلى الأول .. ولا أنزل انا الأول .  
قالها بلهجة حاسمة لا رقة فيها .. كان مواعيد العيادة قدر  
لا يحتمل النقاش ..

وانتفضت واقفة ، وأنا أشعر كائى اهنت وقلت :  
— لا .. انا حانزل الأول ..

وتقدمنى ، ووضع يده على مقبض الباب ..  
وخطوت الى جانبه .. ورفعت عينى اليه .. ووقفت صامته  
.. ولا زلت أنتظر شينا ..  
والتفت عيناه بعينى .. ونظرته تنسكب من فوق أنفه الكبير  
وتغرق وجهى كله ..

ورفع يده من على مقبض الباب ..  
وخطا هذه المسافة القصيرة التى تفصلنى عنه .. ثم ..

دون أن يتكلم .. احتوانى بين ذراعيه .. فى رقة .. وحنان ..  
وضغط خده بخدى .. وعقلى واع .. متنبه لكل حركة .. وذقنه  
تشكى شكات خفيفة .. لأبد أنه يخلق فى المساء .. ولم أذب  
.. ولكنى أريد أن أبقي هكذا .. أريد أن أعرف ماذا سيحدث  
بعد .. وانسحب خده من فوق خدى .. ليضع مكانه شفتيه ..  
.. فى قبلة صامتة .. وأغمضت عيني .. لا أدري لماذا ..  
ولكنى لم أطق أن تظل عيني مفتوحتين .. ثم زحف بشفتيه ،  
ولمس شفتى .. شفتاى لا تتحركان .. صامتان .. جاهلتان  
.. تتلقيان الدرس الأول .. ويقبض شفتاه فوق شفتى برهة ..  
برهة قصيرة أو طويلة ، لا أدري .. ولكنها برهة تمنيت أن  
تطول .. وعيناى لا تزالان مطفأتين ..  
ورفع شفتيه عن شفتى ..

وسمعه يقول :

— أنا آسف ..

وفتحت عيني لالتقى بعينه .. وفيهما تساؤل .. لماذا  
الأسف .. ماذا حدث ..  
واستطرد قائلا :

— ما كانش لازم أبوسك .. فى أول مرة نتقابل .. مش  
كده ..

وأرخيت عيني .. لم أرد .. لم يكن شيئا من هذا قد خطر  
على بالى ..

وعاد ووضع يده على أكرة الباب ، وهو يقول :

— حاشوفك امتى ؟

قلت وأنا لا أستطيع أن أبتلع ريقى .. وصوتى يتعثر فى  
نشوتى :

— زى ما انت عايز ..

قال :

— بكرة الساعة أريعه ..

وهزئت راسى موافقة ..

قال :

— بس ما تتأخريش

قلت وأنا ابتسم :

— حاضر ..

وفتح الباب ..

وخرجت ..

وسرت فى الشارع .. ساهمة .. لم أحاول أن أبحث عن  
تاكسى .. اتى لم ألق بعد .. أريد أن أسير ، لعلى أبقى ..  
وقبلته لا تزال فوق شفتى .. تحرقهما .. وتسرى فى أعصابى ..  
اتى أحس بها فوق صدرى .. فى قدمى ..

ولمحت فى سيارته بعد لحظات .. سيارة بويك موديل العام  
الماضى .. عام ١٩٥٤ .. ولم يلمحنى .. كان يجرى .. يجرى  
فى جنون .. يجرى الى حبه الكبير .. الى عيادته ..

وجدت نفسى فى شارع ٢٦ يوليو .. وافقت لأركب تاكسى  
الى مصر الجديدة .. وعدت ساهمة .. وسعادة غريبة تفهمنى ..  
.. سعادة لا أستطيع أن أمسك بها .. وأحس أنها ليست  
مستقرة .. تكاد تسقط منى ..

ودخلت البيت وأنا لا أزال ساهمة .. فى سعادة .. ولا أدري  
ماذا قلت لأمى ..

ولكنى سمعتها تقول :

— فين دبلتك يا ميتو ..

وانتهت ..

واسعفتى ذكائى .. ذكائى الذى يصنع الكذب .. وقلت :  
— اصل كنت باشوف شرايات نايلون .. وخفت ينقطعوا  
وأنا باحط ايدى فيهم .. قلمت الدبلة ..

وبسرعة فتحت حقيبتى واخرجت منها دبلة الزواج ، ووضعنها  
فى أصبى .. وعدت ساهمة .. ملهية عن كل شيء حتى الدبلة  
التي وضعنها فى أصبى ..

ورقدت فى فراشى .. وأنا أستعيد كل لحظة مرت بى ..  
كل حركة .. كل لفظة ..

وأغمض عيني لأسمع صوته .. وأرى كل قطعة من قطع  
الأثاث التى كانت تحيط بنا ..

ولكن ..

شيء غريب ..

أنى أحس بجسدى ..

أحس به كما لم أحس به من قبل .. أحس به كأن كل  
مسامه تفتحت ... كل مسامه أفواه صغيرة تريد أن تشرب ..  
وأرفع كفى وأضغظ بهما على صدرى .. وعلى خصرى .. وعلى  
ساقى .. وهاشم فى خيالى ..

أنا أريد هاشم ..

وقمت من فراشى ، وتسلمت الى التليفون .. وادرت رقمه  
.. وسمعت صوته .. ولم أرد .. فقط ، ابتسمت له .. اكتفيت  
بصوته ، وعدت الى غرفتى ..

أنى أحب ..

كنت أياها أصدق الحب .. واعتقد أن هذا هو الحب ..  
وعشت هائمة فى الحب ..

١٠٧٥

وذهبت اليه فى اليوم القالى .. تأخرت نصف ساعة ..  
واستقبلنى ، وسحابة الزهق والغيظ تكسو وجهه .. أنى أحبه  
أكثر وهو مغتاظ .. وقد ظل مغتاظا لحظات ، وأنا أخفى فى  
صدرى ابتسامة كبيرة .. ثم التفت الى ، وقال :

— تعرفى لو تأخرت تانى ، حاسل فيكى ايه .. حاضريك ..

قلت وأنا أنظر اليه وابتسامتى فى عيني :

— ما تقدرش ..

قال :

— أقدر .. اننى لسه ما تعرفنيش ..

ثم جذبني من يدي ، ودخل بى الى المطبخ ، ليربنى كيف يصنع  
لنفسه فنجان القهوة .. المطبخ مرتب ، نظيف .. لم ر فى حياتى  
كل هذا الترتيب والنظافة .. وقلت وأنا أطوق بعيني فى أرجائه :

— ده أنت ست بيت ممتاز ..

قال وهو يشعل البوتاجاز :

— مش أنا ... ده عم محمود البواب ..

ثم بدأ يصنع القهوة كأنه يقوم بعملية حسابية .. كل شيء  
بحساب .. وحاجباه معقودان كأنه يركز تفكيره كله فى القهوة ..  
وشرب القهوة ..

أخذت رشفة من فنجاله ..

وضحكنا .. كل شيء يضحك حولنا .. وكل قطعة منا  
تضحك .. أنه ليس الدكتور هاشم .. أنه هاشم فقط .. مرح  
.. بسيط .. وعينه أكثر اتساعا .. وتبرقان أحيانا حتى  
أخافهما .. وتهدان حتى أكاد أنام بينهما .. ولم يتمد شيئا  
.. لم أشعر أنه تمعد شيئا .. ولكن وجدت شغفى الجاهلتين

تلقين الدرس الثانى .. انه يمتصنى كلى .. واصابعه تضغط  
على ذراعى ، كأنه يعصرنى .. ومسام جسدى تتفتح أكثر ..  
الأمواه الصغيرة تشرب ، ولا ترتوى ..  
وغصت أكثر ..

انى أغوص الى تحت .. الى اعماق اعماق الحب ..  
أو ما كنت اعتقد أنه الحب ..

وذهبت الى لقائنا الثالث .. متأخرة أيضا .. ثلث ساعة ..  
هل تعمدت أن أتأخر .. لا أدري .. وتركنى الدخلى ، ثم أغلق  
الباب ورائى .. وقف أمامى صامتا ، وعيناه المنتفختان ثائرتان  
.. ووجهه متجه .. شفاه منطبقتان .. وحاولت أن ابتسم ..  
ولكنى لم أستطع .. انى خائفة منه .. ليس خوفا .. ولكنه  
نوع من الترقب للمجهول .. احساس بانى مقبلة على مغامرة  
جديدة .

وفجأة رفع كفه وصفعنى .. صفعه قوية .. واهتز كل  
شيء أمام عيني ، وطنين فى اننى .. وضعت يدي على خدى ،  
وأنا اتنهد :

— آى ..

— أنا قلت لو اتأخرت حاضريك .

وصفعنى صفعه أخرى على خدى الثانى .. ثم جذبني  
من شعري وأوقعنى على الأرض .. ثم وجدته فوقى .. ثم  
لم أعد أدري ما يحدث لى .. أن ما يحدث أسرع من أن الاحقه  
بعقلى .. شفاه فوق شفتى ، ولا أكاد أستريح بينهما .. حتى  
أجدهما فوق عنق .. ولا أكاد أشعر بعنقى حتى أشعر بأصابعه  
تلك أزرار « بلوزتى » .. وقطعة من جمعدى تنعري .. وقطعة

أخرى .. وهو مجنون .. لا يكف .. وأنا أقاوم فى استسلام  
.. والأمواه الصغيرة تشرب ..  
ومن يومها ..  
تعودت أن أثيره ..  
وتعود أن يضربنى ..

لم تعد نلتقى الا هكذا .. مجانين .. نكاد يمزق أحدا  
الآخر .. ثم نهذا .. وأعود كما كنت .. ستى المكسورة الخفيفة  
الدم ، تبتسم فى سداجة البنات .. ويعود هاشم الى شخصية  
الدكتور هاشم .. جادا ، وقورا ، نظراته الصارمة تطل من  
فوق أنفه الكبير .. ويذهب الى حبة الأكبر .. الى عيادته ..  
وعشت فى هذا الجنون .. وفى كل لحظة جنون ، أدع  
هاشم يكتشف منى أكثر .. الى أن تم اكتشافى .. اكتشافى  
كلى .. لا .. ليس كل شيء .. ترك القليل لزوجى ..

هل كنت أفكر فى زوجى .. هل أنبئى صغيرى .. هل احترت  
.. هل شعرت بالخطيئة .. هل كرهته .. أبدا .. أبدا ..  
لا شيء من كل هذا .. كان زوجى موضوع آخر غير ما أفعله  
.. كان ما أفعله ليس له شأن به .. ولا يمسه من قريب أو من  
بعيد .. يكفيه انى أخلع دبلته كلما ذهبت الى هاشم .. احتراماً  
له ..

وكنيت أحيانا أفكر فى مصير علاقتى بهاشم .. فى المستقبل  
.. وأعود الى خطط الزواج .. ولكن .. فى هذه الأيام كان  
المهم هو أن البقاء لا أن أتزوجه .. أصبحت أعيش للقائه لا للزواج  
به .. اختفى احساسى بالمستقبل وراء احساسى بنشوة حاضرى  
.. انى مدفعة .. مغمضة العينين .. مغمضة العقل ..

— الى أن كان يوم .. بعد ثلاثة شهور ..

وكان لقائنا على وشك أن ينتهى .. وهاشم راقد فى الفراش  
عارى الصدر .. وعضلاته السحر مستريحة فى استرخاء ..  
وأنا جالسة أمام المرأة بقميصى الداخلى أمشط شعرى .. وقلت  
وأنا أبتسم لصورته المنعكسة أمامى من المرأة :

— بتحبنى أديه يا هاشم ..

ولم أكن أقصد السؤال .. كل ما هنالك انى كنت فى حاجة  
لأن يدللى بكلمة حلوة ..

وقال وعلى شففيه ابتسامة ضيقة :

— وانتى بتحبينى أديه ؟  
قلت :

— لسه مش عارف ؟ !

قال :

— لا .. مش عارف !

قلت :

— كل ده ومش عارف ؟

قال :

— ساعات ما بصدقش أنك بتحبينى ..

والتفت اليه وقلت فى دهشة :

— أمال كل ده يبقى ايه ؟

قال :

— يمكن عايزه تتجوزينى ..

واحتدت نظراتى .. نظرت اليه كئى أحاول أن اخفقه ..

وانفاسى بدأت تثور فى صدرى ..

واستطرد قائلاً :

— كل اللى عرفتكم كانوا عايزين يتجوزونى .. أنا باعتقد

أن الستات ما يعرفوش الحب ، إنما يعرفوا الجنواز ..  
ما يقدروش يعيشوا بالحب .. إنما يعيشوا بالجنواز ..  
وأدريت رأسى عنه ..

ثم مددت يدى والتقطت حقيبتى ، وأخرجت منها دبلة زواجى  
.. والقيتها فى وجهه .. وعدت أنظر فى المرأة وأمشط شعرى  
فى عصبية ..

والتقط الدبلة ..

لحت فى المرأة يلتقطها ..

ثم اعتدل من رقدته ، وأخذ يحلق فيها ، وقال والدهشة  
تملا عينيه :

— ايه دى ؟

قلت وأنا أشد شعرى بأسنان المشط :

— دبلى ..

قال :

— انتى مخطوبة ..

قلت فى برود :

— مكتوب كتابى ..

وقفز من فوق الفراش وجاء الى جانبى والمفاجأة تنزف من  
تحت جفنيه المنتفختين وقال فى صوت مبهور :

— من امنى ؟

قلت وأنا أشد شعرى :

— من زمان .. من قبل ما أعرفك ..

قال :

— وما قلتيش ليه ؟

قلت وأنا أهر كفى :

— كده ..

وسقط على ركبتيه ، واحتضننى وأنا جالسة على المقعد ،  
ودفن وجهه فى عنقى ..

وقلت وأنا أضحك بوجهى منه :

— استريحى .. صدقت .. صدقت اتى بأحبك ..  
وهمس :

— يا حبيبتى ..

ولا أدري لماذا كرهته ساعتها .. وظللت أكرهه طول اليوم ..  
ولكنى لم أستطع أن أستمر فى كرهه .. اتى أريده .. الأمواه  
الصغيرة تريد أن تشرب ..

وعدت إليه ..

كما تعودت أن أعود دائما ..

واندفعت أكثر .. وعواطفى تزداد صخباً .. لقد بدأت  
أغار عليه من مرضاه .. ومن المجتمع الذى يعيش فيه ، بعيداً  
عنى .. غير مكتومة لا أفصح عنها .. وكنت دائماً أتساءل :  
أين يذهب فى الليل .. أنه يقدم لى كشف الحساب دائماً ..  
تعشى فى سميراميس ، ثم عاد الى البيت .. بيت أخته .. أو كان  
مدعوا فى حفلة .. أو .. أو .. ولكنى لا أطمئن .. رجل مثله

لا يمكن أن يقضى كل الليالى وحده ..

وثارت فى رأسى فكرة مجنونة ..

لماذا لا ألقاه فى الليل ؟

جننت ..

وكانت أرى تعطينى مفتاح الشقة عندما أخرج مع زوجى  
لنفسه فى الخارج ، حتى لا أزعج أحد عندما أعود .. واتفقت  
مع هاشم على أن ينتظرنى عند أول شارع صلاح الدين .. فى

الساعة الثانية عشرة والنصف .. بعد منتصف الليل .. وحاول  
هاشم أن يرفض .. حاول أن يفيقنى من جنونى .. ولكنى  
أصررت ، واتهمته أن له امرأة يقابلها فى الليل .. فاستسلم ..  
وأخرجت مع زوجى .. ذهبنا الى السيخ .. ثم ادعيت  
أن عندى صداقاً .. وصدقنى المسكين .. وعاد بى الى البيت ..  
وقبلنى على خدى .. لا يزال كل نصيبه منى ، قبلة على الخد ..  
ونزلت من السيارة ، وهو يقول لى فى حنان عبقراً :

— خدى اسيرينه ، وفنجان شاي .. واقفلى الشباك ..  
وانتظرت قليلاً ، الى أن اطمأنت الى أن زوجى ابتعد بسيارته  
.. ثم عدت أنزل .. الى الشارع .. وجريت الى حيث ينتظرنى  
هاشم .. والقيت نفسى فى سيارته .. وانطلق وهو ينظر الى  
فى دهشة من جرائى .. من جنونى .. وذهبنا الى شقة  
الزمالك ..

ان البنات اللاتي يقطن ان كل ما يحدث فى الليل ، يمكن أن  
يحدث فى النهار .. واهمات .. ان ما يحدث فى الليل أكثر ..  
لا أدري لماذا .. ربما لأن عيون الناس مغمضة .. وعيون  
المساء مغمضة .. وقد أخذت فى الليل أكثر مما تعودت أن  
أخذ فى النهار .. وأعطيت أكثر ..

وعدت فى الثانية صباحاً .. وبيتى كله نائم .. لم يشعر  
بى أحد ..

واستمر جنونى ..

أتى أعيش فى دوامة الجنون .. اتى لا أهدأ .. أريد فى  
كل يوم مغامرة .. وأثير هاشم ، وهاشم يضربنى .. والأمواه  
الصغيرة تشرب ..

ثم ..

نجاة ..

وكانت قد مضت سبعة شهور على لقائي بهاشم .. عاد زوجي من السويد وهو مصر على أن يعجل بالزواج .. انه لا يريد أن ينتظر الى أن يتم بناء الفيلا وتجهيزها .. انه يحس أننا نبتعد أحدا عن الآخر .. ويريد أن نتزوج الأسبوع القادم .. ويصر .. في عناد .. واقنع أمي .. واقنع زوج أمي .. واقنع أبي .. واقنع خالاتي الخمس .. والجميع فوق رأسي يلحون .. ويصرّون ..

— لا أحد يريد أن يسمعني .. لقد انتظر الزوج طويلا .. وما يطالب به هو من حقه <sup>(١٩٥٤)</sup>

وهرعت الى هاشم .. وقلت وأنا لا أنظر في عينية :

— أنا خلاص .. حاتجوز <sup>(١٩٥٤)</sup>

قال :

— مش معقول .. أمي ؟

قلت :

— الخميس الجاي ..

وتجههم وجهه .. وأدار ظهره لي كأنه متأثر .. ولكني شعرت

ساعتها أنه يمثل .. وقال وهو يتنهد :

— على كل حال أنا كنت منتظر اليوم ده .. اليوم اللي تيجي

تقوليلي فيه أنك حاتجوزي ، وتسافري تعيشي في السويد ..

وسكت برهة .. وأنا أنظر اليه بكل عيني .. ثم قلت وصوتي

يرتعش :

— هاشم .. انت ما تقدري تتجوزني ؟

ورفع الى عينية في لفظة سريعة ، ثم خفضهما ، وقال وهو

يدير رأسه :





— لا ..

قلت فى حدة :

— ليه .

قال نى صوت صئارم ، كانه يرفض النقاش ، وهو لا ينظر

لى :

— لائى ما قررقتش انجوز ؟ ..

وبكيت ..

انهمرت دموعى رغم ارادتى .. دموع فيها غيظ .. وفيها  
ذل .. وفيها استسلام لضعفى ..

وجاء لى .. وقال كلاما كثيرا لم اكن اسمعه .. ولكنه يقبلنى  
.. ويقبلنى اكثر .. والامواه الصغيرة تنفتح .. واتا مستسلمة  
.. لا استطيع ان اقاومه .. ولا ان اقاوم جسدى الذى يثيره

.. والدموع فى عينى ..

ثم ..

تركنى ..

كلهم تركونى ..

تركونى اتزوج عبد السلام ..

و ..

وبدأت قصتى ..

— ٣ —

وتزوجت بلا فرح ..

وسافرت فى نفس الليلة الى السويس لاقيم فى بيت زوجى  
.. ومع امه .. الى ان يتم اعداد الفيللا الجديدة التى بينهما  
لى ..

هل اروى التفاصيل ؟

لا .. لست اول فتاة تتزوج رجلا لا تحبه .. والبنات اللاتى  
يتزوجن بلا حب ، حكايتهن معروفة ..

ولكنى اتسائل اليوم .. لو لم يكن هاشم قد دخل حياتى ،  
هل كان يمكن ان اتعود على زوجى .. واستسلم لتعودى عليه ..  
واهنا بالحياة معه ، ونعيش فى القبات والنبات ، ونخلف صبياننا  
وبنات ؟ ..

ربما ..

ولكنى ايامها لم اكن اؤمن بان الحياة هى تعود .. كنت اؤمن  
بان الحياة هى الحب .. وكنت فى الوقت نفسه قد بدأت اتعود  
على هاشم .. لمساته .. انفاسه .. هذه الساعات السريعة التى  
يختطفها من وقت مرضاه ليعطينها لى .. هذا الجنون العنيف  
الذى نعيشه معا ..

وربما كنت استطيع يوم تزوجت ان اتسى هاشم .. ان احرر  
نفسى من تعودى عليه .. فلم يكن قد مضى على علاقتنا اكثر من  
سبعة شهور .. ولكنى لم احاول .. ابدا لم احاول .. ولا للحظة  
واحدة حاولت ان اتساه .. ولا للحظة واحدة حاولت ان اكون

زوجة مخلصه .. لم يخطر على بالي أيامها موضوع الاخلاص  
لزوجي .. زوجي نفسه لم يكن موضوعا أفكر فيه ..

ومنذ ركبت السيارة بجانب عبد السلام في طريقنا الى  
السويس ، وأنا أفكر في هاشم .. وأفكر كيف أستطيع ان  
أقاه .. ومتى .. ورقدت على فراش زوجي وعقلي لا يزال  
وراء هاشم .. لا أحس بالرجل الآخر الذي يرقد بجانبى ..  
لا أحس بما يريد ، ولا بما يحاول .. لست خائفة .. ولا مترقبة  
.. مسام جسدى كلها منقبضة ، مزمومة .. كل ما أشعر به  
هو رائحة البطارخ المنطلقة من فمه .. فأدير رأسى عنه حتى  
أبتعد عن ريحها .. والمسكين يبذل كل ما يستطيع ، وهو يعتقد  
أنى لا زلت صغيرة .. لا أستطيع بعد ان أكون زوجة ..  
ونام ..

وتركنى أفكر .. في هدوء .. وقد كنت نائمة يومها على  
هاشم .. نائمة لأنه تركنى أتزوج .. كنت أحس أنه رماى ..  
جرح كرامتى .. ورغم ذلك كنت مندفعه نحوه بكل كيانى .. وكنت  
أحيانا ألتمس له العذر .. أنه لم يخذمنى .. لم يعذنى بشيء  
ثم تخلى عنى .. ثم أعود وأشعر كائى أريد ان أنتقم منه .. ان  
أذهب اليه لأذلة كما أذلتنى .. ثم أعود وأرى في خيالى طاقة  
كبيرة من الأمل .. لعلى لا زلت أستطيع ان أتزوجه .. من  
يدرى ! ..

وفى اليوم التالى .. يوم الصباحية خرج زوجي الى مكتبه  
القريب من البيت .. وبقيت في فراشى .. لا أريد ان أقوم منه ..  
ليس هناك ما يدفعنى للقيام .. ولم أغسل وجهى .. ولا غيرت  
قميصى .. ولا سرحت شعرى .. بل انى — ربما لأول مرة —

لم أتلّف على مرأتى .. وكل قطعة منى ملقاة في إهمال ، كائى  
استغفيت عنها .. وصدرى مقبوض ..  
وجاءت حماتى وبين شغفيتها ابتسامة كبيرة ، وقالت وهى  
تضع في صوتها رنة الفرح :

— صباح الخير يا عروستنا .. السويىس كلها مثورة ..  
ولم تفتح ابتسامتها قلبى .. بالعكس زادت انقباضا ..  
أحسست كأنها ناظرة مدرسة جاءت لتبهنى الى واجباتى ..  
وعادت تقول وهى لا تزال تعلق بين شغفيتها ابتسامتها  
الكبيرة :

— مش تقومى توضعى نفسك يا بنتى يمكن حد ييجى ..  
دول ستات السويىس كلهم عايزين يشوفوكى ..  
وقلت وأنا أتأوه :

— مش قادره والننى يا طنط .. تعبانه مش عارفه مالى ..  
ما أظننى جاقدر أقابل حد دلوقت .. خليفهم بعد الضهر ..  
ونظرت الى من تحت جفنيها كأنها تختبرنى ، ثم استفردت  
فرحتها بسرعة ، وقالت :

— وماله يا بنتى .. خليكى مستريحة .. أنا حاصل بيهم  
وأقول لهم الزياره بعد الضهر .. تحبى أجيب لك الفطار في  
السرير ..

قلت وأنا ادعى التعب :

— لو سمحت يا طنط .. ولو سمحت خللى السفرجى يجيب  
لى التليفون علشان أكلم ماما ..

والثفتت الى لفنة سريعة ، ثم عادت وقالت :

— وماله يا بنتى .. اللى مالوش خير في اهله ، ما لو ش  
خير في حد ..

وكرهتها ..

أحسست كأنها تمدا عينيها الى عنقي لتختفى .. كأنها تبحث  
من أين تستطيع أن تسيطر على .. أن تركبني .. وشعرت  
بلهفة شديدة الى أمي .. أحسست أنني أصبحت يتيمة .. أريد  
مأما .. أريدها بجانبى .. لتحميني من هماتي ..

وجاء السفرجى بصينية الامطار .. ولكنه لم يأت بالتليفون  
.. وبقيت سائحة .. تناولت لقمتين من أنطاري .. ومعدني  
مقفولة ، تصد كل ما القية اليها .. ثم ضغطت على الجرس  
أنادي السفرجى ..

وقلت له بلهجة أمرة :

— ثاني مره ما تجيش لى مرية لارنج .. ما بحبهاش ..  
شيل الصينية .. وروح هات التليفون ..

قال فى أدب :

— بس الست الكبيرة بتتكلم ..  
قلت :

— طيب بعد ما تتكلم ، هات التليفون ..

وخرج السفرجى .. وأعصابى تكاد تنزق .. أبخرة الغيظ  
متجمعة فى صدري .. واليوم الطويل ممتد أمامى كضمان يفتح  
نكيه ليتلبنى .. فراغ .. فراغ ياكلنى .. ومرت لحظات ..  
لا أدري أكانت طويلة أم قصيرة ، ثم ضغطت الجرس أنادي  
السفرجى مرة أخرى ، وصرخت فى وجهه :

— روح قول للست الكبيرة تجيب التليفون ..

وكانت قلة أنب منى .. ولكنى كنت ثائرة .. ثائرة على

فراغى ..

وبعد برهة دخلت حماتي ، تحمل آلة التليفون بنفسها ،  
وقالت وهى تحاول أن تبدو رقيقة مهذبة :

— أنا آسفة يا بنتى .. كنت باعزم السقات اللى حايزورونا

بعد الظهر ..

ونمتت :

— متشكرة يا طفت ..

ورمتنى حماتي بنظرة من نظراتها ، ثم خرجت ..

واتصلت بأمى ..

وما كدت أسمع صوتها .. حتى بكيت .. انطلقت كل دموعى

.. أحسست أنني وجدتها بعد أن بحثت عنها ستين طويلة ..

وقالت أمى جزعة :

— مالك يا بنتى .. مالك يا ميتو ..

قلت وأنا أشوق :

— ما فيش حاجة يا مامى .. بس وحشتينى .. وحشتينى

قوى ..

قالت وصوتها يملأ صدري حنانا :

— ويعدين يا ميتو .. ما تعمليش كده .. انتى كبرتى ..

قلت وأنا أحاول أن أكم دموعى :

— تعاليلى يا مامى .. تعاليلى دلوقت .. متى معقول أنك

تسيبيني لوحدى بالشكل ده ..

وقالت أمى وهى تحاول أن تبدو حازمة :

— حاجيلك الجمعة الجايه باذن الله .. قوليلى .. عامله ايه ؟

وأخذت أروى لها أخبارى .. كل أخبارى .. وضيقى ..

والح عليها أن تأتى الى .. وهى تصبرنى .. وتصلحنى ..

نصائح كثيرة تنطلق من أذنى اليمنى لتخرج من أذنى اليسرى ..

وكرهتها ..

أحسست كأنها تهد عينيها الى عتقى لتختفى .. كأنها تبحث  
من أين تستطيع أن تسيطر على .. أن تركبني .. وشعرت  
بلهفة شديدة الى أمي .. أحسست أنني أصبحت يقيمة .. أريد  
ماما .. أريدها بجانبى .. لتحمينى من حماى ..

وجاء السفرجى بصينية الإفطار .. ولكنه لم يات بالتلفون  
.. وبقيت سائكة .. تناولت لقمتين من أفطاري .. ومعدتى  
مقفولة ، تصد كل ما القية اليها .. ثم ضغطت على الجرس  
انادى السفرجى ..

وقلت له بلهجة آمرة :

— تاتى مره ما تجيش لى مرية لارنج .. ما بحبهاش ..  
شيل الصينية .. وروح هات التلفون ..

قال فى ادب :

— بس الست الكبيرة بتتكلم ..

قلت :

— طيب بعد ما تتكلم ، هات التلفون ..

وخرج السفرجى .. وأعصابى تكاد تتمزق .. ابخرة الفيظ  
متجمعة فى صدرى .. واليوم الطويل ممتد أمامى كاعبان يفتح  
فكيه ليبتلعنى .. فراغ .. فراغ .. فراغ .. ومرت لحظات ..  
لا أدري أكانت طويلة أم قصيرة ، ثم ضغطت الجرس انادى  
السفرجى مرة أخرى ، وصرخت فى وجهه :

— روح قول للست الكبيرة تجيب التلفون ..

وكانت قلة أدب .. ولكنى كنت ثائرة .. ثائرة على

فراغى ..

وبعد برهة دخلت حماى ، تحمل آلة التلفون بنفسها ،  
وقالت وهى تحاول أن تبدو رقيقة مهذبة :

— أنا آسفة يا بنتى .. كنت باعزم الستات اللى حايوزرونا

بعد الظهر ..

وتتميت :

— متشكرة يا طنط ..

ورمتنى حماى بنظرة من نظراتها ، ثم خرجت ..

واتصلت بأى ..

وما كدت أسمع صوتها .. حتى بكيت .. انطلقت كل دموعى

.. أحسست أنني وجدتها بعد أن بحثت عنها ستين طويلة ..

وقالت أمى جزمة :

— مالك يا بنتى .. مالك يا ميتو ..

قلت وأنا أشهى :

— ما فيش حاجة يا مامى .. بس وحشتينى .. وحشتينى

قوى ..

قالت وصوتها يملأ صدرى حنانا :

— وبعدين يا ميتو .. ما تميليش كده .. انتى كبرتى ..

قلت وأنا أحاول أن أكرم دموعى :

— تعاليلى يا مامى .. تعاليلى دلوقت .. مش معقول أنك

تسيبينى لوحدى بالشكل ده ..

وقالت أمى وهى تحاول أن تبدو حازمة :

— حاجيلك الجمعة الجايه باذن الله .. قوليلى .. عامله ايه ؟

وأخذت أروى لها أخبارى .. كل أخبارى .. وضيقى ..

والح عليها أن تاتى الى .. وهى تصبرنى .. وتنصحنى ..

نصائح كثيرة تنطلق من أذنى اليمنى لتخرج من أذنى اليسرى ..

وتوصيني بزوجي عبد السلام .. ثم طلبت مني أن أنادي حمايتي  
لتحادثها .. ورفضت .. قلت لها أنها مشغولة .. ولكن أمي  
أصرت .. وطلبت من السطرجي أن أنادي حمايتي .. وأخذت  
الأم والحماة تتأفق إحداهما الأخرى .. وأنا جالسة في السرير ،  
وعلى شغتي ابتسامة باهتة ، وبقايا الدموع في عيني ..

وانتهت المحادثة ..

وحمايتي واقفة بجانب فراشي كشخب العذاب ، تنظر إلى  
التليفون ..

وقلت أدمي التردد :

— أقدر أكلم بابا كيان ؟

قالت على الفور :

— طبعا يا حبيبتي .. ده بينك ، وتليفونك ..

وخرجت من الغرفة تاركة لي التليفون ..

ولم أشعر أن هذا البيت بيتي ، ولا أن هذا التليفون تليفوني  
.. كنت أحس أني في بنسيون .. في لوكاندة .. ضيقة عند  
حمايتي .. وقد بقي هذا الاحساس يصاحبني دائما .. لا أدري  
لماذا .. ولا أدري لماذا كرهت حمايتي .. أنها لم تضايقني في  
حياتي .. بالعكس كانت حريصة على عدم مضايقتي ، حرصا  
يصل إلى حد مضايقتي ..

وأنى أنسأل الآن .. هل لو أني أقمت مع زوجي في بيت  
وحدنا منذ اليوم الأول لزوجنا .. هل كنت أحببت بيتي .. وأحببت  
حمايتي ؟

ربما .. لست أدري !

وأنا لا زلت في فراشي .. والتليفون في ججري .. ولم

أكن أريد أن يحدث أبي .. أنه لا ينتظر مني أن أحادثه .. ولكن  
كان هناك شخص آخر أريد أن أحادثه ..

ونظرت إلى الباب المفتوح .. باب غرفتي ..

وترددت فترة طويلة .. واليوم الطويل الفارغ يمتد أمامي  
كشعبان يفتح فكية ليبتلعني .. والضيق يزحف على صدري ..

ثم لم أستطع ..

رفعت سماعة التليفون ، وأدبرت رقم الترنك ، وطلبت نبرة  
هائشم .. طلبتها مستعجلة ..

ومضت نصف ساعة .. نصف ساعة هائلة .. كلتي متحفزة  
.. منتبهة .. أنظر إلى الباب المفتوح .. ثم أنظر إلى داخل  
نفسي ، وأحس أحيانا بخوف من اندفاعي .. وأحيانا أحس أني  
اتهاقت على هائشم أكثر مما يجب .. تهاقتا يفقدني احترامي  
لنفسي .. وأحيانا تهلأني لذة المغامرة .. وابتسم وأنا أتخيل  
ملاحج الدهشة تكسو وجه هائشم عندما يسمع صوتي ..

وسمعت صوته ..

وارتج قلبي بين ضلوعي ..

وقال بلهجة السريعة التي تعود أن يحادثني بها :

— أزيك يا عروسه .. بتتكلمي منين ..

قلت ويدي المسكة بسماعة التليفون ترتعش ، وابتسامتي  
ترتعش :

— من السويس ..

قلت :

— عارف أنك بتتكلمي من السويس .. منين في السويس ؟

قلت في دهشة من سؤاله :

— من بيتي ..

قال وضحكة صغيرة بين كلماته :

— أما مجنونه صحيح ..

قلت وأنا أنظر في الفراغ الذي أمامي بكل عيني كأنني أحاول

أن أثقب الفراغ بعيني لأراه !

— وحشيتك ..

قال بسرعة :

— قوى .. حاشوفك امتي ؟

قالها ببساطة كأنني لم أتزوج .. كان الزواج لا يمكن أن

يحول بيني وبين لقاءه .. أو كأنه تعود على لقاء الزوجات .

وقلت كأنني اتحداه .. كأنني أرد على استهائته بزواجي :

— أنت ناسي أنني أتجاوزت ..

قال :

— مش ناسي .. ومش قادر أنسى أنك وحشيتني ..

قلت وأنا أحاول أن أكون خبيثة :

— وعاجبك كده ؟

قال :

— عاجبني إيه ؟

قلت :

— عاجبك أنني أتجاوزت ، ومش قادره اشوفك ..

قال في لهجة واقفة لا حياة فيها :

— ما كنتش ممكن غير كده .. على كل حال أنا مش مهم ..

المهم انت .. المهم أنك تكوني سعيدة ..

قلت :

— ياريت يا هاشم ..

وسمعت صوت أقدام تقترب من شرفتي .. ربما كانت أقدام  
حماتي .. وقلت لهاشم بسرعة :

— خاليتي أكلتك بعدين .. مع السلامة دلوقت ..

والقيت سماعة التليفون ..

والقيت رأسي على الوسادة .. مستريحة .. هائلة .. كأنني

أخذت جرعة من الحياة .. أشبعيني .. مؤقتا .. وخيالي

كله مع هاشم .. ثم بدأ خيالي يصرى في جسدي .. وأحس

بلمساته .. والأنوار الصغيرة .. مسامي .. تنفتح .. عطشي

تريد أن تشرب .. ولا تجد من يسقيها ..

وعاد زوجي .. ووجدني كما تركني في الصباح .. بقميص

النوم .. مبهوشة الشعر .. وأثار النوم ، مختلطة بالدموع

التي ترفتها ، تكسو عيني .. وأبتسم لي كأنني أجعل فتاة في

العالم .. وجلس على حافة الفراش ومال بجسده يقبلني ..

وانقبضت مسامي كلها .. لم أعد أريد أن أشرب ..

وأزحته عنها وقلت في رقة مفتعلة :

— أخرج دلوقتي لغاية ما البس ..

وقمت من الفراش .. كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة ..

وارتديت « روب ديشامبر » من الحرير الطبيعي ، مشغولا

بالدانتيل .. ووقفت أمام المرأة .. وأنا أرى نفسي في عيني

هاشم .. أن هاشم لم يرني أبدا في مثل هذا الزوب .. لم يرني

أبدا كعروس في يوم الصباحية ..

وترنيت ، كأنني أتزين لهاشم .. وخرجت لأتناول طعام الغداء

مع زوجي وحماتي ..

والحديث كله عن عائلات السويس اللاني ساقابلهن هذا

المساء ..

وعدتا الى غرفتنا بعد الغداء ..

لم اكن اريد أن اعود ..

ولكن زوجى سحبني من يدى وهو يقول :

— مثن عايزه تستريحى شويه يا ميتو ..

واستسلمت له ، وسرت وراءه وأنا اشعر بحجر ثقيل احمله

فى صدري .. وحماتى تنظر الى ابنها فى سعادة وزهو .

وقلت له وأنا اعطيه اجمل ابتسامة أستطيع أن اعطيها له :

— خدنى فسحنى فى السويس شويه .

قال وهو يقترب منى ويلف ذراعيه حولي ، وسنذه الذهبية

تلمع من خلال ابتسامته والثقوب الصغيرة تقفز فوق أنفه :

— ياها حافسحك .. حاحط السويس كلها تحت رجلتي ..

بس خلينا مع بعض دلوقت ..

قلت فى توصل :

— علشان خاطرى ..

قال وهو يضع فيه فوق شفتي :

— علشان خاطرى أنا .. انتى خايفه يا حلوه ..

لقد اعتقدت أنى خائفة .. أو أنى اتدل .. ويشتت أن أعفيه

منى .. واستسلمت ..

وحاول المسكين ..

محالات مقرزة ..

انه لا يستطيع ..

لا يستطيع أن يكتشفنى ..

وأنا كلوح الثلج .. اشرد أحيانا وهو يحاول .. ثم انقبه

اليه برهة كانى اتفرج على قرد يقفز أمامى ..

وضاق بى ..

وتركنى ، وأنفاسه لاهثة ، والعرق يتفصد من جبينه ..

والسخط فى عينية ..

وقال :

— مثن ممكن تكونى صغيره للدرجة دى ..

ثم بدأ يرتدى ثيابه ، وقال وهو يخرج ويصق الباب وراءه :

— أنا راجع المكتب ..

ولم أهتم ..

لم اشعر حتى بالشفقة عليه ..

وجلست أفكر فى نصيبي .. فى أزمى .. دون أن أفكر

لحظة واحدة فى كيفية ارضاء هذا الزوج .. لم أفكر فى كيف

أصبح زوجة .. فقط أدور والف بعقلي داخل أزمى .. واتنهد

شوقا الى هاشم ..

وانفتت على صوت حماتى وهى ترجونى أن أستعد لاستقبال

الضيوف ..

وبدأت أستعد ..

وخطر لى ساعتها أن أغيط سيدات السويس كلهن ..

لا أدري لماذا .. ولكنى أحسست ساعتها أنى أرقى منهن ..

أتية من باريس الى بلد من بلاد الأرياف ..

وارتعبت أجمل ثيابى .. وتغاليت فى الاهتمام بشعري

وزينتى .. وخرجت اليهن بعد أن لطعتن أكثر من نصف ساعة

.. وربما رأتى سيدات السويس جميلة ، ولكنى واثقة أنهن

أجمعن على أن دى ثقيل .. متقترحة .. وارضى غرورى أن

يقلن عنى هذا الكلام ..

وعدت الى غرفتى ..

والليل ..

وزوجى المسكين ..

وفى اليوم التالى .. حادثت هاشم فى التليفون .. أصبحت  
أحادثه كل يوم .. وأحيانا أحادثه مرتين فى اليوم .. وقد قال  
لى انى يجب أن أحترس فإن كشفت حساب التليفون سيرسل الى  
زوجى مسجلا فيه الأرقام التى طلبتها ، وبينها رقمه .. وقد  
يسألنى زوجى عن هذا الرقم .. ويكشف شيئا ..  
ولكنى أجبته بلا مبالاة :

— ما تخافش ..

كنت واثقة أن زوجى لن يكشف شيئا .. أن الزوج  
لا يكشف شيئا الا اذا تعمد الاكتشاف .. وهو لن يتعمد الاكتشاف  
الا اذا بدا الشك يداخله .. وزوجى لا يشك فى ..

والايام تمر ثقيلة .. طويلة .. والمسافة تبعدنا يوما بعد يوم  
بينى وبين زوجى .. وأعصابه تنور فى كل ليلة .. وبدا يضع  
اللوم على .. ثم .. ولم يكن قد انقضى ستة أيام على زواجى  
.. طلبت منه أن تعود الى القاهرة لزيارة أمى .. ووافق

بسرعة ..

وفرحت ..

سافرت كائى على موعد مع هاشم ..

واخطى عبد السلام بامى بعد وصولنا .. اخطى بها طويلا ،  
بينما أسرعت أنا الى غرفتى ، ورقدت على فراشى .. انى لم  
أجد بعد الفراش الذى يعوضنى عن فراشى ..

وخرج عبد السلام من البيت ، وجاءت أمى لتجلس معى ..  
وبدأت تقول لى كلاما عجيبا جريئا .. انها تعلمنى كيف أرضى  
زوجى .. كيف أساعده ، كما قالت .. كيف أثيره .. أنا ..  
هذه مسئوليتى أنا .. مستحيل .. وأمى تصر على التماذى فى

الموضوع .. ووجدت نفسى انساق معها .. نتحدث كصديقتين ..  
كلما يضحكنى .. اتعمد أن أسألها عن تفاصيل أكثر .. ثم أطفى  
عينى بكفى ، وهى تجيبنى .. وأصبح وأنا أضحك .. مش  
معقول .. وأمى تحتل كل هذا الدلع منى ، وتزيدنى تفصيلا ..  
ولم تكن أمى تعلم أنها تلقننى أول درس فى طريق طويل  
مزقت على جانيه حياتى .. لم تكن تدري انها عندما كانت  
تعلمنى كيف أكون لرجل لا أريده .. كانت تضع قذنى على  
حافة الهاوية .. حتى لو كان هذا الرجل هو زوجى .. لا فرق  
.. ان التى تتعود على رجل لا تريده .. تجد أمامها عشرات

الرجال لا تريدهم ..

واتصلت فى نفس اليوم بالدكتور هاشم .. طلبت منه أن  
يلقانى فى اليوم التالى الساعة الحادية عشرة صباحا .. وقال رغم  
فرحته بى :

— ما أقدرش يا أمينه أنتى عارفه مواعيد العياده ..

قلت :

— بس أنا جوزى معاليا .. وما قدرش أقابلك الا فى  
العياد ده .. وما فيهاش حاجة لما تتأخر عن العياده شويه ..  
قال فى حزم :

— مش ممكن ..

كائى لم أزد شيئا عنده بعد أن أصبحت زوجة .. حتى  
ولا نصف ساعة من وقت مرضاه ..

وقلت وقد صدمنى فى لهفتى اليه :

— أمال أشوفك امتى ..

قال :

— أنتى عارفة .. يا الساعة أريعه .. يا الساعة تستعه ..



وكنت أستطيع أن أحدد موعدى معه مباشرة .. ولكنى شعرت بنوع من الكبرياء يدفعنى لأن أماطله .. وقلت :

— طيب لما أشوف .. لو قدرت حاتصل بيك تانى ..

وكنت أعلم أنى لن أستطيع أن أقاوم طويلا .. كنت أعلم أنى أضعف منه .. وأضعف من أن أقاومه ..

واتصلت به فى اليوم التالى .. وجددت معه موعدا فى

الساعة الرابعة ..

قلت لزوجى ولأبى أنى ذاهبة الى الحلاق .. وفعلنا أوصلى زوجى بسيارته الى الحلاق ، وافقت معه على أن يعود ويأخذنى فى الساعة السادسة ..

ودخلت محل الحلاق وحددت معه موعدا فى الساعة الخامسة والنصف .. ثم خرجت بسرعة ، وربكت تاكسى .. وذهبت الى هاشم ..

وكنت مفتاة وأنا ذاهبة اليه .. كنت أشعر برجفة المغامرة ، ولكن شعورى بالغيظ كان أكبر .. لا أدري لماذا كل هذا الغيظ .. أنى ذاهبة اليه كما كنت أذهب كل مرة .. فلماذا اغتاظ .. ربما أحسست ساعتها بأنى الأحقه بدل أن أتركه يلاحقنى .. ربما أحسست أنى أضحى بكل شيء ، وهو لا يضحى بشيء .. حتى ولا بنصف ساعة من وقت مرضاه ..

ووصلت اليه متأخرة ربع ساعة .. ولم يغضب .. ولم ار سحابة الزهق تكسو وجهه كما عودنى ..

شدنى من يدى ، وأغلق ورائى الباب .. ثم احتوائى فى صدره ، وهمس فى أذنى وهو يضغطنى بزعامة :

— وحشائى .. وحشائى موت ..

ولم استرح فى صدره .. كنت عصبية لا أستطيع أن استريح

.. لا أستطيع أن أفرح بلقائه ولا أن أغضب .. لا أستطيع أن استسلم ، ولا أن أقاوم ، لا أستطيع أن أثور ، ولا أن أهذا .. لا أستطيع شيئا ..

وأبعدنى عنه ، ثم سحبنى من يدى وأجلسنى بجانبه فوق الأريكة .. وهو يقول وابتنسامة كبيرة بين شفتيه .. ابتنسامة أكبر مما تعودتها منه ..

— احكىلى .. عامله إيه ؟

وبدأت احكى له .. قلت له أنى زهقانة من عيشتى .. وأنى لا أطيق زوجى .. ولا بيتى .. ولا حمايتى .. ولا السويس كلها .. ولكنه لا يستمع لى .. أنه يقول كلاما .. يوصينى بأن أصبر .. وأن أحتمل .. ولكن الكلام يخرج من فمه كأنه كلام محفوظ .. كأنه يردد كلمات لا يعنها .. وكأنه لا يسمع شكواى ولا يتأثر بها .. ويده تمقد الى شعرى تزيح خصلاتته من فوق جبينى ، ثم تقدس بين طياته .. ويقتررب منى .. ويلف ذراعه حولى .. ثم ينظر فى عينى ويقول فى لهجة رقيقة لم أعودها منه أيضا :

— انتنى مظلومة يا أمينة .. مظلومة بجوزك .. ومظلومه

بى ..

ثم ضمنى اليه ..

ويده تمسح على ظهري ..

انى أعرف ما يريد ..

وأريد أن أبكى ..

أقاوم دموعى بكل ارادتى ..

والتقط شفتى بشفتيه .. لا .. لا أريد .. ان مسامى

منقبضة .. انها لا تفتح كعادتها معه .. ولكنى لست متضايقه ..  
.. لا احس بهذا الضيق الذى اشعر به مع زوجى .. ولا بهذا  
البرود .. كائى استير فى طريق اعرفه .. تعودت عليه .. حتى  
لو لم اكن اريد السير فيه ..

واعطى لنفسه حرة اكثر ..  
ملهوفا .. متعجلا .. حتى يلحق موعد العيادة ..  
وبكى ..

كان بكائى صامتا .. ولكنى لم استطع ان ابقيه صامتا ..  
تكلم بدمعى فى نسيج خافت .. وبكائى ونشيجى يثيره اكثر ..  
وانا مستسلمة .. لا اقاوم ..  
وتركى ..

ولا زالت الدموع تسيل على خدى ..  
وضمنى فى رفق الى صدره واخذ يواسينى .. ويقول كلاما  
يحاول ان يكون رقيقا .. ما فائدة الكلام .. كله كلام لا يحل  
مشكلتى .. وهو متعجل .. انى اعرف انه على عجل .. يريد  
ان يلحق بموعد العيادة ..  
وابتعدت عنه ، وانا أقول كائى انفره .. كائى الومه ..  
كائى اكتشفه ؟

— انت اتأخرت على العيادة يا هاشم .. حاسينك بياه ..  
ووقف صامتا ..  
واستدرت له لأخرج ..  
ولحق بى هاتفا ..  
— حاشوفك ايتى ؟  
قلت وانا ابتسم له ابتسامة فيها مرارة وفيها سخريه :  
— ما اعرفش .. حا ابقى اتصل بيك .

وخرجت ..  
والذل يأكل اعصابى .. والفيظ .. والحيرة ..  
وعدت الى الحلاق .. وجلست تحت يده .. وانا افكر فى  
طريقة اخلص بها نفسى من هاشم .. هل يستطيع زوجى ان  
يخلصنى منه .. ربما لو اتبعت الدرس الذى لقتنه لى امى  
لاستطعت ان اجعل منه شيئا اتعود عليه ..

وقررت ان اتبع دروس امى ..  
ان ارضى زوجى ..  
لعلنى اتعود عليه .. ولعله يخلصنى من هاشم ..  
وجاء المسكين فى الساعة السادسة .. ومنحته اكبر ابتساماتى  
.. كائى اعده بشيء كبير .. جديد .. ثم تركه ينتظرنى ساعة  
كاملة الى ان انتهيت من الحلاق ..  
وعندما ليلتها الى السويىس بعد ان تناولنا طعام العشاء فى

بيت امى ..  
وهناك ..  
فى غرفتنا ..  
كنت متعبة .. لم استطع ان ابدا فى تطبيق الدرس الذى  
لقتنه لى امى .. ثم .. كان كثيرا على ان اكون لرجلين فى ليلة  
واحدة .. احس بنفسي رخيصة .. مبتذلة .. جسدى يقشعر ،

وجلدى يتكرمش ، كلما لمست جسد زوجى ..  
ولكنى حاولت فى الليلة التالية ..  
يا ربى .. ما اقسى المحاولة ..  
انها عذاب .. ذل .. معدنى تتلوى ، استمر فى المحاولة  
.. اعطيه كل ما اوصتنى به امى .. واكثر .. بل اتى اغش من  
هاشم واحاول ان لقتنه الغش ..

وفرح زوجى بالمحاولة ..  
انه الآن ليس مسكينا ..

ولم اتصل بهاشم فى هذا اليوم .. ولا فى اليوم التالى .  
مرت ثلاثة ايام لم اتصل به .. والايلم تمتد ايامى طويلة ، فارغة  
.. والزهو ، شعبان يفتح فككه المسمومتين ويبتلعنى ..  
والمحاولات التى ابذلها لزوجى تقزنى .. وتبعدنى عنه اكثر

.. ومسام جسدى تزداد انقباضا ..  
ثم ..

عدت اتصل بهاشم ..  
وذهبت الى لقائه عندما جئنا الى القاهرة فى الاسبوع  
التالى ..

واصابتنى حالة اللامبالاة ..

لا مبالاة فى زينتى .. ولا مبالاة فى ثيابى ولا مبالاة بحماتى  
لا مبالاة فى زينتى .. ولا مبالاة فى ثيابى ولا مبالاة بحماتى  
.. ولا مبالاة بعائلات السويس وبما يقولونه عنى .. ولا مبالاة  
حتى يامى ..

لا ابالى اذا ذهبت الى هاشم .. ما دمت اريده .. واللامبالاة  
تدفعنى الى جراءة اكثر فى التحدث اليه من السويس .. انى  
أتحدث اليه أحيانا ثلاث مرات فى اليوم .. ولا مبالاة فى لقائه  
.. انى ألقاه كل يوم أقضيه فى القاهرة .. وأستطيع ان ابتكر  
الاعتذار لأذهب الى لقائه بعد الساعة التاسعة .. بعد أن تنتهى  
مواعيد العيادة المبجلة .. وأبقى معه للعاشرة .. والحادية عشرة  
.. بل انى عودت زوجى على أن يتركنى وحدى فى القاهرة  
.. يوما أو يومين .. لأذهب الى هاشم بحرية أكثر ..  
ولا ابالى ايضا وأنا راقدة بجانب زوجى .. انه شيء يسلىنى

.. تجلد جسدى فلم يعد يحس بضيق ، ولا بتقزز .. بل  
أحيانا كان الزهو يشد بى .. وأدور فى غرفتى كأتى أدور فى  
أحد أقفاص حديقة الحيوان .. أريد أى شيء أعمله .. شيء  
يلهينى عن نفسى .. فأتصل بزوجى فى مكتبه .. وهو يبتلى  
فيه طول اليوم حتى الساعة الخامسة .. وأقول له فى دلال وكأتى  
العب لعبة مسلية :

— عبد السلام .. تعالى ..

ويقول لى :

— ما أقدرش يا ميتو .. عندى شغل .

وأقول كأتى أتلوى :

— اخص عليك .. أنا عايزاك ..

ويستسلم المسكين .. وأسرع أنا وأطلع ثيابى كلها .. وأرقد  
فى الفراش وأعطى نفسى بالملاءة الخفيفة .. وأنتظره وفى عيني  
نظرة خبيثة .. ثم أتسلى برؤية عينيه الجاحظتين وهو يكشف  
عنى الملاءة .. ولعابه السائل على فكه ، وهو يتحسس جسدى  
.. وحركاته المضحكة وهو يحاول أن يأخذنى .. أتسلى ..  
مجرد تسلية .. لقطع الوقت ..

لقد أصبح جسدى ، لعبتى ..

ولا ابالى ..

ولكن هذا الاحساس باللامبالاة كان ستارا شفافا فوق الأسى ،  
والضياع ، والحيرة ، والتفكك الذى أحس به فى دخيلة نفسى  
.. وكان هذا الستار ينزاح أحيانا .. تطيره ذكرى أو فكرة ..

فأرى من وراءه عذابى .. وأبكى ..

كنت أبكى كثيرا فى غرفتى .. وغرفتى هى المكان الوحيد  
الذى أملكه فى هذا البيت .. وبالباقى تملكه حماتى .. تركته

والعب بجسدى ..

لعبتى الوحيدة ..

ولكنى مع الأيام ، سنمت اللعبة .. وبدأ ستار اللامبالاة  
ينمزق .. وأجد نفسى مضطرة لأن أواجه مشكلتى .. بكل ثقلها  
بكل بشاعتها ..

وكنت أعلم حل مشكلتى ..

لها .. لم أحاول أن أخذه منها .. كنت ضعيفة الشخصية الى  
حد أنى لا أستطيع أن أقف أمام شخصيتها .. أو أن أطالب  
بشيء .. كل ما أستطيعه هو أن أبعد عنها .. وأن تتركى فى  
حالى .. لزهدى .. للأيام الطويلة الفارغة .. و ..

الحل الوحيد .. أن أتزوج هاشم ..

انه الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يجعل منى زوجة كاملة  
.. الوحيد الذى يستطيع أن يملأ فراغى .. الوحيد الذى أستطيع  
أن أنتظره دون أن أزهد .. حتى لو ظل فى عيادة شهرا .. و ..  
ولكنى حامل ..

يا خرابى ..

ابن من هذا الذى يتسج حياته فى داخلى ..

— [ ٤ ] —

كانت مفاجأة لى عندما اكتشفت انى حامل ..

مفاجأة كبيرة ..

ذهلت ..

وكنت أعلم انه سيتأتى اليوم الذى أحمل فيه .. ولكنى كنت

أنصور هذا اليوم بعيدا .. بعيدا جدا .. بعد سنتين ..  
ثلاث .. أربع سنوات .. والكلمات الكثيرة التى كنت أسممها  
وتتمنى لى أن الد ، وعقبال البكارى .. وعائزين نفرح بالنونو  
.. ويا لله هاتى لنا بنت حلوه زى أمها .. كل هذه الكلمات  
لم تكن تقرب هذا اليوم فى خيالى .. حتى أحاديث أمى ، ولمعة  
عينها وهى تسألنى عن حالى كلما التقينا .. ونظرة حماتى  
التي تستقبلنى بها كل صباح ، وتتبعها لى وأنا أنظر شارة  
أنوثتى كل شهر .. كل هذا لم يدفعنى الى الاحساس بأنى قد  
أحمل فى أى يوم قريب ..

ربما لأنى كنت أعيش فى أزمتى .. كنت أعيش عمى  
ساعة بساعة .. يوما بيوم .. وكان عقلى .. وكانت أحاسيسى  
.. وكان جسدى .. كان كل شيء موزعا بين زوجى وهاشم ..  
لا شيء غيرهما يشغل بالى .. أو أفكر فيه .. أو أنتظره ..  
وفى علاقتى مع زوجى ومع هاشم ، لم أكن أنتظر أن أحمل  
من أحدهما .. هكذا بسرعة ..

كنت أحيانا أخاف .. أخاف من الحمل .. ولكنه كان نوعا  
من التدلل أكثر منه خوفا .. وكنت فى هذه الأحيان ادعى أنى  
أحتاط .. وأفعل ما تفعله النساء اللاتى يحتطن من الحمل ..  
ولكنه كان أيضا نوعا من التظاهر .. التظاهر باستعمال حقوقى  
كمرأة فى اشعار رجلها — أو رجلها — بأنوثتها المفتحة للأمم  
.. تماها كما لبست الكعب العالي لاتظاهر بأنى أصبحت بنتا  
كبيرة وكما دخت السجائر فقط لاتظاهر بأنى أصبحت زوجة من  
حقها أن تدخن ..

ولكنى كنت أزهد من هذه الاحتياطات وأكسل عنها ..

خصوصا مع هاشم ..

انى انصهر معه الى حد ان انسى كل شيء ، الا اللحظة  
التي نعيشها معا ..

واعتقد ان هذا يحدث لنا جميعا ..

اننا ضعيفات ..

ولولا ضعفنا لما زادت نسبة عمليات الاجهاض الى هذا  
الحد .. واغتنى أطباء من وراء ضعفنا ..

ولكنى أيامها لم اكن أحس بانى ضعيفة .. كنت لا مبالية  
.. وكنت لا اصدق ان هذا اليوم سيأتى بهذه السرعة ..  
الى ان فوجئت ..

وذهلت ..

وكان اول ما طرأ على ذهنى ان اسأل نفسى .. من الذى  
وضع فى داخلى هذا الجنين ؟

وتبين ان يكون هاشم ، ابا لابنى او ابنتى .. ابا ازهو به  
.. افخر به .. ويرث عنه ابنى قوة شخصيته ، وكأه ،  
وانفة الكبير .. وضحكت ضحكة صامئة وأنا اتصور ابنى وله  
أنف كأنف هاشم .. ثم فجأة سقطت ضحكى منى .. وخفت ..  
الى حد ان انزع قلبى .. كيف يكون الجنين لهاشم ، وأنا زوجة  
لعبد السلام ..

ولم اتبين ساعتها تفاصيل المشكلة .. ولكنى وجدت نفسى  
غارقة فى ضباب أسود كثيف .. تطل منه كلمة الحرام .. واخاف  
على ابنى من الحرام .. اخاف عليه من الله .. ومن الناس ..  
ومن الأيام .. اخاف على ابنى لا على نفسى .. ودموعى حائرة  
بين رموش عيني ..

ثم .. من خلال هذا الضباب الكثيف انفتحت طاقة رايت  
منها ان الجنين الذى احملة فى بطنى هو لزوجى عبد السلام .

ولا ادرى كيف استطعت ان اتأكد انى حملت من زوجى  
لا من هاشم ..

لقد اخذت اتذكر .. وبقدرة خارقة تذكرت جميع اللبالي  
التي كتبت فيها لزوجى خلال الخمسة الأشهر التي مرت على  
زواجنا ..

انها لا تتجاوز ست ليال .. سبع ..

وتذكرت كل التفاصيل .. كل احساسى .. كلها .. شيء  
عجيب ان اتذكر كل هذه التفاصيل ، وبهذه الدقة ..

وليلة معينة بالذات .. حملت فيها ..

لا ادرى كيف تأكدت ان هذه الليلة بالذات هى التي حملت  
فيها .. ليست ليلة أخرى .. ولا ادرى هل تستطيع كل زوجة  
ان تكتشف الساعة التي حملت فيها ..

لا ادرى ..

ولكنى تأكدت ..

وازداد تأكدي بمجرد احساس تلقائى ..

الحمد لله .. ان ابنى ابن حلال .. لن اخاف عليه من  
الله ، ولا من الناس ولا من الأيام ..

ولكن ..

عندما تأكدت ، واسترحت الى تأكدي بذات اشعر بنوع من  
الندم .. ومن الغيظ .. اغتظت لاني حملت من زوجى عبد السلام  
.. كأنه لم يكن يستحق ان احم منة .. لم اشعر بهذه الرقة  
وهذا التفتح للحياة الوليدة ، الذى تشع به كل زوجة جديدة  
تتلهم على الأمومة .. شعرت ان هناك قيذا ينطلق من بطنى  
ليشد وثاقى الى الرجل الذى لا أريده ..

وعدت اتمنى من جديد ان يكون الجنين لهاشم .. وأغمض

عينى وأستريح لهذه الأمنية .. وابتنس .. ثم يسرح بى خيالى ..  
ربما لو تأكد هاشم أن الجنين له ، لطلقنى من زوجى ،  
وتزوجنى .. أنه لن يرضى أن ينسب ابنه الى رجل آخر ..  
أو على الأقل يعيش مع رجل آخر .. حتى لو كان ابن حرام ..  
وتزعجنى كلمة الحرام .. انتفض .. لا يارىى .. لا تجعله  
لهاشم .. للحرام .. اجعله للحلال .. لعبد السلام ..

ثم أعود وأهدأ .. وتعاوننى الاحلام .. من أين يتأكد هاشم ..  
أتى حملت منه .. أنه لن يتأكد إلا اذا ولدت وكان المولود شبيها  
له .. أو لزوجى .. ولكن قد لا يكون المولود شبيها له ،  
ولا لزوجى .. قد يكون بنتا شبيها لى .. وأعيش طول عمرى  
حائرة فيها .. وقد تعقدنى هذه الحيرة .. و ..

وفى لحظات تخبطى .. فى نفس اللحظة التى كتبت أعانى  
فيها كل هذه الأفكار السوداء .. أبلغت زوجى أتى حامل ..  
وفرحت المسكين .. كاد يطير من الفرح .. ووقف أمامى  
كالعبيط ، وفرحته تسيل على شفقيه .. لا يدري ماذا يقول ،  
ولا ماذا يفعل لى ..

وفرحت حمايتى .. فرحت كأنها أخذت منى شيئا ، كأنها  
استردت قيمة المهر والشبكة ..

وفرحت أمى .. جاءت الى السويس ، وأقامت معى أربعة  
أيام ، ثم أخذتنى معها الى القاهرة لتعرضننى على طبيب وتزداد  
تأكد .. فهى لا تثق فى أطباء السويس ..

الوحيدة التى لم تفرح .. أنا .. و ..

ولم أتل شيئا لهاشم ..

ذهبت اليه فى نفس اليوم الذى وصلت فيه الى القاهرة مع  
أمى .. ذهبت اليه باحساس جديد .. غريب .. كتبت أحسن

انى لست ذاهبة اليه وحدى .. كان معى انسان آخر .. مخلوق  
آخر غريب عنى يعيش فى داخلى .. وهذا المخلوق يراقبنى  
ويحاسبنى .. ويخاف منى .. أن هاشم لن يأخذنى هذه المرة  
وحدى .. أنه سياتخذ معى هذا المخلوق الآخر الذى ليس له  
ارادة ، إلا أراحتى .. فما ذنبه .. أنه لا يحب هاشم كما أحبه  
.. ولا يريد هاشم كما أريده .. فما ذنبه ..

وعقدنى هذا الاحساس ..

وربما لاحظ هاشم الخطوط المميقة التى رسمتها مشكلتى  
فوق جبينى .. فقد سألنى بمجرد أن جلست بجانبه :

— مالك ..

قلت وأنا أفر كل انفاسى :

— ولا حاجة ..

قال ملهوفاً :

— مش ممكن .. انتى مش زى عوايدك .. عمرى ما شفتك  
مبوزه للدرجة دي ..

قلت وأنا التى عينى فى راحة يدي :

— متضايقه ..

قال فى بساطة :

— من ايه .. حصلت حاجة جديدة ..

ورفعت عينى اليه وقلت فى حدة :

— يعنى ضرورى تحصل حاجة جديدة علشان اتضايق ..  
مش ككايه اللى اتافيه ..

ومال بظهره على مسند الأريكة .. وتنفس فى ضيق ..  
كأنى أفسدت متعته .. وأقلقت راحته .. وسكت .. لم يرد  
على ...

وبقيت ساكنة معه برهة ، ثم رفعت رأسي إليه ، وعلقت  
عيني بعينيته وقلت كائى أستغيث به :

— هاشم .. انا لازم أطلق .. انا حاجتن .. مش طابقه  
جوزى .. مش طابقاه .. قرفاته منه .. وقرفاته من نفسى  
.. وقرفاته من عيشتى .. لو ما اطلقتش حانتحر ..

واطلت نظرة حنان من تحت جفنيه المنتفختين ، وقال وهو  
يمسح بيده على شعري :

— ما تبغيش مجبونة .. لو كل واحدة متضايقه من جوزها  
طلقت .. ولو كل واحد متضايق من مراته طلقها .. ما كنتش  
النهارده فيه حد متجوز .. الطلاق مش سهل .. الطلاق حاجه  
كبيرة .. الطلاق يعنى بيت اتهد .. وانتي لسه ما لحقتيش  
تتجوزى .. لسه ما حاولتيش كفايه .. يمكن لو حاولت أكثر من  
كده تقدرى تعبشى معاه ..

انه يحدثنى كائى امرأة غريبة عنه .. كانه ليس اصل  
شقاى ومصيبتى .. ينصحنى كما تنصح أمينة السعيد قارئاتها .

ونظرت اليه فى لوم .. أكثر من لوم .. وقلت فى حدة :

— انا مش متضايقه منه ويس .. انا باحب واحد تانى  
غيره .. نسيت ! ؟

وابعد يده التى يمسح بها على شعري وأدار وجهه عني .  
وقال فى صوت صارم :

— يبقى تسيبى التانى .. أهون من الطلاق ..

واتسعت عيناى وامتلأنا بالدهشة والالام ، وشهقت :

— أنت تقدر تسيبى يا هاشم .

وقال فى برود :

— انا ما اقدرش اسيبك . لان ما فيش سبب يخلينى اسيبك  
.. لئما انتى تقدرى تسيبىنى الآن عندك سبب تسيبىنى علشانته  
.. لو كان لازم تختارى بين بيتك وبينى .. يبقى لازم تختارى  
البيت .. لان مالكش مستقبل معيا ..  
هكذا قالها بكل صراحة ..

ورفعت رأسي كائى احاول ان احتفظ بكرامتى ، وقلت وانا  
أحاول ان انظر اليه نظرة ساخرة :

— على كل حال انا لو اطلقت مش حا اطلق علشانك .  
حا اطلق لائى مش طابقه الراجل اللى اتجوزته .. ومش طابقه  
أعرفك وانا متجوزه .. وانا مش خايفه من المستقبل .. انا  
لسه صغيره وحلوه .. ألف راجل يتمنوا يتجوزونى .. واى  
واحد فيهم أحسن من اللى انا متجوزاه ..

ولم يرد على ..

تام من جانبي واتجه الى مكتبة صغيرة معلقة فى الحائط ،  
وأخذ يقلب فى بعض المجلات الطبية ..

واستطردت قائلة وانا أكاد أخنقه بعينى :

— انا اللى مخلىنى أعرفك لفاية دلوقت انى متجوزه الراجل  
ده .. يمكن لو اتجوزت واحد تانى يقدر يخلينى اسيبك ..

ولم يرد على ايضا ..

واضططرت ان اسكت .. وعاولتى الاحساس مرة ثانية  
اتى لست وحدى .. معى انسان آخر فى بطنى .. وخيل الى  
اتى أسأل هذا الانسان رايه .. أستشيريه .. أطلب منه أن  
يعاوننى .. يمنحنى قوة تحفظ لى كرامتى ، وتشدد أراذلى ..  
وعيناى منكستان كائى انظر بهما فى داخلى الى الانسان الآخر ..  
ومشكلتى كلها لا تزال مرتسمة فى خطوط عميقة محفورة فوق

جيني .. ومصدري يضيق بأنفاسي .. رثنأي كأنهما منفاخ ينفخ  
الدموع الى عيني .. ولكي لا ابكي ..

ولم يلحظ هاشم ان في داخلي انسانا آخر .. ان بطني  
لم ينتفخ الى حد ان يلحظه احد ..

ولكنه التفت الى بعد فترة طويلة ، وقال وهو يطوى المجلة  
الطبية ويلقى بها في المكتبة :

— احنا بنتخافك على ايه دلوقت ؟

قلت في ياس :

— مش عارفه ؟

قال :

— طيب زعلانه مني ليه ؟

قلت وانا أشد ياسا :

— مش زعلانه ..

وجاء وجلس بجانبى ، وقال وهو يمس أصابعه في خيوط  
شعري ، ويتسم لي ابتسامة كبيرة :

— انتى مجنونه ..

ثم قرب شفتيه من شفتي ..

واشحت عنه بوجهي بسرعة وعنف ..

لا أريده ان يقبلنى ..

ونظر الى في دهشة ، وقال وهو يضع ذراعه فوق كتفي :

— مش عايزه تبوسيني ؟

قلت :

— سيبنى يا هاشم من فضلك .. انا متضايقه ..

ثم انتفضت من جانبه ، وقمت واقفة في منتصف الغرفة .

ولحق بي ونظر الى كأنه يحاول ان يكتشف سرى ، ثم أحاطني  
بذراعيه وجذبني بقوة الى صدره ، وهو يقول :

— ما تبقيش مجنونه .. انتى عمرك ما حاضايقي منى ..

ثم سقط بشفتيه فوق شفتي .. يقبلنى هذه القبلة العنيفة  
التي اعرفها جيدا عندما يريد ان ينتهى منى بسرعة ليلحق موعد  
العيادة ..

ونزعت شفتي من بين شفتيه بالقوة .. وتركته تسقط  
على كتفي في عصبية كأنى اصرخ ، وانا احاول ان اتخلص من  
بين ذراعيه :

— مش قادره يا هاشم .. سيبنى .. سيبنى .. مش  
قادره ابدا ..

وكنت فعلا لا أستطيع ..

ربما لأول مرة أشعر اننى لا اطيع قبلة هاشم ..

ورفع رأسه النائم فوق عنقي ... ونظر الى والدهشة نهلا  
عينيه .. ثم أفلتنى من بين ذراعيه .. ووقف أمامي وعلى شفتيه  
ابتسامة فاترة .. لا مبالية .. كأنه يحاول ان يقنعنى بأنه لم  
يخسر شيئا كبيرا .. ولا يهتم ..

وساويت شعري بيدي .. وساويت ثوبي ، وقلت وانا  
لا أنظر اليه :

— انا لازم أنزل بآه ..

ولم يرد ..

ظل واقفا مكانه وعلى شفتيه نفس الابتسامة ..

وتقدمت نحو الباب ..

وهو لا يزال واقفا مكانه ..

ووضعت يدي فوق مقبض الباب ..





وهو لا يزال مكانه .. لا ينطق .  
وترددت قليلا .. ثم عدت اليه . وقبلته قبلة سريعة فوق  
خده .. وقلت وأنا أعود ناحية الباب :  
— ما تزعش منى .. حابى اضربك .  
وسمعه يقول :  
— مع السلامة ..

وخرجت ..  
وعلى شفتى ابتسامة صغيرة .. كنت سعيدة لأنى قاومته  
.. لأنى لأول مرة لم اعطه ما يريد .. وكنت انظر الى الانسان  
الذى فى داخلى كانى اتباهى امامه بقوة ارادتى ..  
وركبت سيارة أجرة ، وأنا أفكر فى .. الطلاق ..  
نعم .. الطلاق ..

وكنت وأنا أفكر فى الطلاق أشعر كانى اتحدى هاشم .. أنى  
لا أريد الطلاق فقط لأنى لا أطيق زوجى .. ولا لأنى أخونه ..  
ولكن لأنحدى هاشم .. لأقنعه بأنى سأطلق حتى لو لم يعدنى  
بالزواج .. لأقنعه أنى لست فى حاجة الى وعد منه ، حتى  
أطلق ..

وشعرت برغبة وفكرة الطلاق تلح على .. ولكن هذه  
الرغبة لم تحل دون استمرارى فى التفكير .. كنت أحس بخطورة  
ما أفكر فيه .. ولكن احساسى بالخطورة يسوقنى امامه ..  
لا أستطيع أن أنظر خلفى .. أنى منساقه بكل عقلى الى التفكير  
فى الطلاق ..

ووصلت الى البيت ، واستقبلنى زوج أمى مهلا ، واحضننى  
بين ذراعيه وقبلنى فوق جبينى ، وهو يقول بلهجة العسكرية :  
— والله كبرت يا ميتو .. وحانت خلفى ..

انه يحبني منذ تزوجت .. لانه لم يعد مسؤولا عني ..  
واستقبلتني امي في لهنة ، وهي تصيح :  
— اتأخرت كده ليه يا ميتو .. ما فيش نزول البلد اليومين  
دول .. لازم تستريحى فى السرير على طول ..  
واخوتى الصغار يلعبون حولي ، وانا لا اراهم الا كخيال .  
وكلام كثير يقال ، لى ولا اسمعه ..  
انى افكر فى الطلاق ..  
لا استطيع ان اكف عن التفكير فيه .. وكلما اصطدم تفكيرى  
بعقبة ، بررتها لنفسى ..

كنت اقول لنفسى .. كيف اطلب الطلاق ، وانا حامل ..  
فترد نفسى قائلة .. هذا افضل بدل ان يولد الطفل ليعيش  
مع ام خائنة واب مخدوع .. انك تطلين الطلاق من اجل طفلك .  
وكنت اقول لنفسى .. الامضل ان انتظر الى ان يولد الطفل  
.. فترد نفسى قائلة .. ابدا .. الان افضل .. حتى لا يقيدك  
الطفل فى معنى الطلاق ..

ولم يكن تفكيرى فى الجنين الذى احمله هو كل ما يخطر  
لى وانا مستسلمة لتفكيرى فى الطلاق ..

ابدا .. كان الجنين آخر ما افكر فيه .. كان فى بطنى ،  
ولكنى لم اكن فى هذه السن استطيع ان اقدر خطورة ما انا  
مقدمة عليه بالنسبة له .. ولا ان اقدر قيمة عواطفى نحوه ..  
كان كل تفكيرى فى هاشم ..

كانت المقارنة بينه وبين زوجى ، تشعرنى بالفارق الكبير  
بينهما .. فى المركز .. فى المظهر .. فى الشخصية .. فى  
الرجولة .. فى كل شيء .. فاذا كنت استطيع ان يكون لى رجل  
مثل هاشم ، فلماذا اتزوج رجلا كمبد السلام .. واذا كنت قد

تزوجته فلماذا استسلم لتدري .. لماذا لا اغامر .. انى صغيرة  
.. وحلوة .. وفى عمرى متسع للمغامرة ..

وكنت مغرورة ..  
حبى لهاشم ملائى غرورا ، وقوة ..

ولم اكن اعرف انى مغرورة ..

ولكنى كنت اعرف انى قوية ..

ولكن ..

كيف اطلق .. كيف اجبر زوجى الذى يحبني على طلاقى ..  
ان يطلقنى بلا سبب .. ثم كيف اقتنع عائلتى بالطلاق ؟  
لا ادري ..

ولكن لا بد ان هناك وسيلة ما ..

واتصل بى زوجى بعد يومين من السويس وطلب منى ان  
اعود اليه .. ولكنى رفضت .. قلت له انى تعبانة .. ولن احتمل  
السفر الى السويس ورجة السيارة طول الطريق . وصدقنى  
المسكين الملهوف على الجنين الذى فى بطنى .. وصدقتنى امي  
.. ولم اذهب اليه .

ذهبت الى هاشم ..

وفى هذه المرة لم استطع ان اقاومه .. كنت فى حاجة اليه  
.. كنت فى حاجة الى شيء عنيف يلهينى .. شيء اعنف من  
افكارى .. واعنف من هذا المخلوق الذى يعيش فى داخلى ..  
وكان هاشم يستطيع دائما ان يكون اعنف من كل شيء .. ولكنه  
عندما هم ان يضربنى فى هذه المرة ، كما عودتى .. قلت له  
فى توسل :

— لا .. ماتضربنيش .. علشان خاطرى ..

كأنى كنت اريد ان احتفظ بشيء من اجل هذا المخلوق الذى

يعيش فى داخلى .. كنت أريد أن أبدو أمامه محترمة ..

ولكن هاشم ضربنى ..

ونسيت كل شئ ..

عشت فى كل لحظات الجنون ..

ثم أفتت ..

وأناق مسترخيا بجانبى ..

وعندما أفتت ، أناقت معى كل افكارى دفعة واحدة ..

وأدرت رأسى بعيدا عنه .. أفكر .. أفكر ..

واستدار لى بعد برهة ، وعاد واخفى بين ذراعيه .. فى

رقعة .. وهدهوء .. وقال فى صوت حنون صاف .. وأتفاسه

منتظمة كخبر الجدول العذب :

— أنا يا حبك قوى يا أمينه ..

ورفعت اليه عينى فى نظرة سريعة .. كانت المرة الاولى التى

ينطق فيها هذه الكلمة .. أحبك .. وقالها فى صدق .. وعمق ..

كل خلجة من وجهه تقولها .. وصدقته .. وعندما صدقته ..

انفتح أمامى طريق مفروش بالورد .. طريق ينطلق النور على

جانبه ..

ودسست وجهى فى عنقه ، وضففته الى صدرى .. الى

قلبى .. بكل حنانى .. بكل ما املكه من طاقة عاطفية ..

وهيست ، وهىستى تقفز فوق شلال عواطفى :

— وأنا كمان يا هاشم .. يا حبك قوى .. قوى ..

واستراح كل منا فى صدر الآخر .. وفوق ثغرينا ابتسامتان

هادئتان كقراشين نامتا على أوراق الورد ..

وعدت أفكر .. وفى تفكيرى حلاوة .. وهدهوء .. كأنفاسه

وأتفاسى .. ووجدت نفسى أقول له رغم ارادتى ، وكأنى لم أعد

أحتمل أن أخفى عنه شيئا :

— هاشم .. أنا حامل ..

وقفز رأسه من فوق الوسادة ، وقال وقد اضطرب صوته

وضاع منه الحنان :

— بتقولى إيه ؟

وأدرت رأسى اليه ، وقلت وعينى فوق انفه الكبير :

— أنا حامل ..

قال كأنه انزعج :

— بتكلمى جد ؟

وهزئت رموش عيني بالإيجاب ..

قال وهو أشد انزعاجا .

— من أمى ؟

قلت :

— فى الثانى ..

قال فى غيظ :

— أما مجنونة صحيح ..

ونظر فى عيني صامتا .. كأنه ينتظر منى شيئا أقوله ..

وفى نظرانه شئ غريب .. كأنه يتحفز للدفاع عن نفسه .

ولم أقل شيئا ..

وأراح رأسه على الوسادة .. ولمحت سحابة من الحبرة تمر

على وجهه .. وتمتم فى صوت خفيض :

— وما لك مستعجله كده ؟

قلت وأنا انظر اليه سعيدة بحيرته :

— يعنى كنت عايزنى أعمل إيه ؟

قال :

— كان لازم تحتاطى .. انت لسه ما بقالكيش خمس شهور متجوزه .. لسه ما ستقرتيش فى جوازك .. كان لازم تستقنى لغاية ما تستقرى .. لغاية ما تنظمى عيشتك ، لغاية ما تبني حياة كويسة لابنك .. مش معقول انك من يومين تقوليلى انك عايزه تتطلقى .. والنهارده تقوليلى انك حامل ..

ونظر كل منا فى عينى الآخر .. وفى عيوننا تساؤل لا نريد أن نفسح عنه .. والحيرة تكسو وجهه .. وسعادتى بحيرته تزداد .. وكنت سبب حيرته .. وكان يحس انى أعلم سبب هذه الحيرة .. انه يريد أن يسكننى من حملت .. ولكنه لا يستطيع أن يفصح عن سؤاله .. وأنا لا اجيبه ولا اريحه .. وقلت وأنا ادعى الغضب :

— واشمعى أنا اللي احتاط ..

ونزع ذراعه من تحت رأسى ، واعتدل جالسا فوق السرير وقال وعيناه ضائعتان فى فراغ الغرفة :

— علشان انتى اللي بتحبلى .. الراجل ما بيحبلى .. والمشكلة مشكلتك .. مش مشكلة جوزك ..

وقفز من جانبى ، وبدأ يرتدى ثيابه ..

ونظرت الية فى عتاب .. وأنا لا زلت راقدة فى الفراش نصف عارية .. كان قاسيا فى كلمته .. وقاسيا عندما فكر زوجى .. لا يمكن أن يكون زوجى وحده هو المسؤول ..

والتفت الى وهو واقف امام المرأة .. بشد رباط عنقه .. وقبضه مهدل فوق ساقيه العاريتين .. وجلباه معقودان فوق عينيه .. وهم أن يتكلم .. على طرف لسانه سؤال اعرفه جيدا .. ولكنه لم يتكلم ..

ولا أنا ..

ولا ادرى لماذا لا نستطيع ان نواجه الموضوع ببساطة .. ربما لأن كلينا يحترم المخلوق الذى يتكون فى داخلى .. ويخاف عليه .. يخاف عليه من كلمة الحرام ..

واكمل ارتداء ثيابه .. وأنا لا زلت راقدة فى الفراش .. وخطا نحوى وعلى شفقتى ابتسامة لا مبالية يحاول أن يبدد بها افكاره .. مخاوفه وحيرته ..

وجلس بجانب جسدى على حافة الفراش وقال وهو يمسح بيده على كفتى العارية ، ويتنسم لى ابتسامة كبيرة تهتز بحيرته :

— أنا مضطر أنزل قبلك .. تأخرت على العيادة ..

وكنت أعلم أن فى وقته متسما لينتظرنى الى أن أرتدى ثيابى ، واذهب قبله .. ولكى كنت أحس بما يعانى به .. كنت أحس بحيرته ، وقلقه ، وحاجته الى أن يخلو بنفسه .. ليفكر .. وأنا أيضا كنت فى حاجة لأن أخلو بنفسى لأفكر .. فهزرت رأسى أوافقه على أن يتركى قبل أن أتركه ..

وعاد يقول فى حنان مهتز .. كأنه حنان مفتعل :

— مين الدكتور اللي شافك ؟

قلت وأنا ابتسم فى خفى ، كأنى أحسست ساعتها أن ليس من حق طبيب غيره أن يراى :

— الدكتور صادق فوده ..

قال :

— مدهش .. ده استاذ كبير ..

ثم انحنى وقبلنى قبلة سريعة على خدى .. ورفع رأسه .. وظل برهة ينظر الى بعينين مشفقتين كأنه يواسينى فى

مشكلتى .. ثم عاد الى براسه وقبلنى فوق شفتى .. قبلة طويلة هادئة ..

وقام من جانبي قائلا :

— خدى بالك من نفسك .. وكلمينى بالليل فى التليفون .. بعد العيادة .. حاسبتكى ..

وابتسمت له ابتسامة كبيرة أقبل بها انفه الكبير .. وخرج ..

وتركتنى أفكر .. وتفكيرى يفتح لى ابوابا كبيرة من الامل .. ويصل بى الى قمم عالية من السعادة .. انه يحبني .. أنا متأكدة اليوم أكثر من أى يوم مضى من انه يحبني .. حب استطيع أن أضع فوقه كل حياتى .. أن أغامر بكل عمري .. أن أطلق زوجى ..

وقلت لنفسى .. ربما كانت مشكلتى مع هاشم انه عرفنى وأنا متزوجة .. لو انه عرفنى قبل أن أتزوج .. وأحبني كل هذا الحب .. فمن يدري .. ربما كان قد تزوجنى .. كل ما احتاج اليه اليوم أعرفه وأنا حرة ..

أحمله كل مسؤوليتى ..

أملأ عليه كل حياتى ..

وبعدها .. سيتزوجنى ..

ولكنه لا يريد الزواج .. انه يقول انه لم يقرر ان يتزوج .. ولا يهمك يا بت .. انه كلام يقوله كل الرجال .. انه غرور الرجل الذى تغذى على تهافت البنت عليه بلا مقابل .. بلا زواج .. ولكن فى لحظة ما .. تنور شهامة الرجل .. ويضعف أمام حبه .. ويضيق بالتشرد .. ويتزوج .. وأنا فى انتظار هذه اللحظة ..

بل يجب أن أسعى الى هذه اللحظة ، وأن أضع خطة للوصول اليها .. وأنا ذكية .. استطيع أن أعتد على ذكائى .. وجمالى .. وحب ..

ولكن ..

أولا ..

كيف استطيع أن أتخلص من هذا الزوج .. المسكين .. لا أدري ..

لا أدري إلا اننى يجب أن أحاول .. وأحاول كل شيء .. وقمت من الفراش ، ودرت فى انحاء الشقة وأنا بميصى الداخلى ، وقدمائى حافيتان .. وعينائى تقبلان الجدران .. وقطع الاثاث .. وأشعر بقوة غريبة .. قوة تملؤنى ثقة فى نفسى ، وتحررنى من شخصيتى الضعيفة .. أصبحت قادره على كل شيء .. نسيت لحظات الضعف التى تمر بى .. لن أكون أبدا ضعيفة بعد اليوم ..

وابتسمت للجدران وقطع الاثاث .. كاتى أودعها .. اننى لا استطيع أن أقيم فى هذه الشقة بعد أن أتزوج هاشم .. انها صغيرة .. لا تليق بالكتور هاشم ، ولا بحرر الدكتور هاشم .. ثم من أدراى بالنساء اللاتى جئن قبلى الى هذه الشقة .. بل ربما لا يزال هناك نساء يجئن الى اليوم وأنا هناك مرمية فى السوييس .. ولسعنى صاروخ من الغيرة .. ولكنى ابتسمت لنفسى أطبنتها .. ابتسامة قوية أتوعد بها كل النساء اللاتى يلاحقن هاشم .. وجرى خيالى يبحث عن شقة أخرى واسعة .. مطلة على النيل .. فى عمارة لبيتون .. وأطعم أوبيسون .. وسرير « كابتونيه » .. والجدران فى لون الورد ..

وبدأت ارتدى ثيابى ، وأنا طائرة على اجنحة خيالى ..

وعدت الى البيت ..

هائمة ..

وزوج امى فرح بى ..

بالجنين ..

وامى تعود وتوصينى بأن استريح فى السرير رحمة  
بالجنين ..

واخوتى الصغار يلعبون حولى واراهم كالخيال ..

وافكر فى هاشم ..

وفى الساعة التاسعة كلمته فى التليفون .. وسمعت صوته  
يقول مبتسما :

— تاتى مره ما تشغيلى مخى للدرجه دى .. النهارده  
ما عرفتش اشتغل خالص .. العيان اللى كنت باكشف عليه نص  
ساعه .. خد منى ساعه ..

الى هذه الدرجة يحبنى ..

اصبحت مشكلتى مشكلته ..

وقلت فى دلال :

— انا شغللك بايه يا هاشم ..

وقال وانا ارى ابتسامته فى خيالى :

— مش عارف .. اما نتقابل ابقى اقولك ..

وتحدثنا طويلا ..

الاول مرة يطول حديثنا الى هذا الحد ، ولا يتلفظ للذهاب  
الى اصدقائه بعد انتهاء عيادته ، كما عودنى ..

شئ جديد ..

كل هذا الحب .. وكل هذا الاهتمام ..

ربما اعتقد أن الجنين له ..

وابتسمت فى سعادة .. وخبث ..

وانتهى حديثنا على لقاء فى الغد ..

وزوج امى يشخط فى اولاده ..

وامى تصلى صلاة العشاء ..

ورفعت راسى فى ابتهاج ..

يارب .. الطلاق ..

— ٥ —

عندما تريد المرأة ، تستطيع دائما أن تفعل ما تريد .. لا شئ  
يستطيع أن يصدها .. لا شئ يستطيع أن يقهرها .. الا الزمن .  
وقد فعلت فى حياتى كل ما أردته .. لم يستطع أحد أن يقف  
فى طريقي .. فبحت كل من حاول أن يصدنى أو يعدل راسى ..  
وكل الذين فبحتهم ناس احبونى .. اعطونى قلوبهم فشققتها  
بسكين من شهواتى .. وخضت فوق جراحهم .. الى أن وجدت  
فى آخر الطريق صخرة هائلة .. مخيفة .. فظيعة .. اسمها  
الزمن .. يقف فوقها هاشم كالشبح .. لا يستطيع أن امسك  
به .. لا يستطيع أن اتاله .. لا يستطيع أن انبجه ..

وكل الذين فبحتهم ، لم اتعبد أن انبجهم .. لم اتن فبجهم  
.. فقط فبحتهم لاشئ طريقي .. الوحيد الذى تمنيت فبحه هو  
هاشم .. تمنيت أن امزق لحمه قطعاً صغيرة ، وارميها للكلاب  
.. ولم استطع .. انه لا يزال واقفا هناك .. كالشبح ..  
اراه ونا مفتحة العينين ، واره وانا مغمضة العينين ، وأمد  
يدى لأخذه ، فأسمع ضحكته الساخرة ..

و .. ولكن ..

لماذا أقول هذا الكلام الآن وأنا لا زلت في بداية قصتي ..  
ربما الآن وأنا في البداية تطل على النهاية .. ربما الآن أعيش  
في النهاية ، بينما البداية لم تعد سوى ذكرى .. ذكرى أيام  
مهما امتلأت بالدموع إلا أن فيها حلاوة .. حلاوة شسباني ..  
وحلاوة الأمل .. وحلاوة ثقتي في نفسي .. وحلاوة نصف الحقيقة  
التي نراها في شبابنا .. ثم نكبر .. ونكبر .. وكلما كبرنا كبر  
ما نراه من الحقيقة ، إلى أن نراها كلها .. ونصف الحقيقة أجمل  
وأروع من الحقيقة كلها .. الحقيقة كالقمر .. نصفه منير رائع ،  
ونصفه الآخر مظلم مخيف ..

أني أعيش الآن في التصف المظلم المخيف ..

وكنفت أعيش في النصف المنير وأنا أفكر في الطلاق من زوجي  
.. وكان النور الذي يشع من حولي .. نور الزهو بنفسي ، ونور  
افتتاني بجمالي وشبابي .. يخفي عني بشاعة تفكيري .. يخفي  
عني حتى احساسى بالأمومة التي تتحرك في احساسى ..

ولم يكن هناك سبب للطلاق إلا أنني أريده .. ثم يكن زوجي  
يحول دون لقائي بهاشم .. ولم يعدني هاشم بالزواج حتى أطلق  
من أجل مستقبل أفضل .. ثم .. في بطني جنين .. وزوجي  
يحبني ..

ولكني أريد الطلاق ..

وكان يجب أن أخلق سببا ..

لا لأقنع به نفسي ..

أني لست في حاجة إلى اقناع نفسي .. يكفي أنني لا أحب  
زوجي .. ولكن .. لأقنع به أمي ..

وقد أقمت في بيت أمي شهرا .. وكل يوم يتصل بي زوجي



فى التليفون ويلح على ان اذهب اليه .. فارفض محتجة بمرضى .  
وخوفنى على الجنين .. ويأتى الى القاهرة كل اسبوع ، ولا يكاد  
يصل حتى يجدنى فى السرير .. مدعية المرض .. ويجلس  
بجانبى وهو ينظر الى بعينين ملهوفتين ، فاروى له كل ما اعرفه  
عن تفاصيل فترة الوحم .. وأنا لم اتوحم .. لم أشعر بشئ  
من كل ما سمعته .. لم تنقلب معدتى ، ولم اشته شيئا اكله ..  
ولا كانت تضايقنى رائحة الدخان .. لا شئ ابدا .. كائننى  
لست حاملا .. كنت فقط ادمى كل ذلك كلما جاء زوجى الى  
القاهرة .. الى حد انى حرمت عليه ان ينام بجانبى ، او يقبلنى ،  
بحجة انى لا اطيع رائحته .. من الوحم .. ويرضخ المسكين  
لاوامرى ، ويبتسم قائلا :

— ده باين عليه طالع واد متعب .. زى امه !

ناقول لآخف عنه :

— زى أبوه !

ويستلئ غرورا ، وينفث صدره كالديك الرومى ، كأنه  
يرى ابنه ، ويراه شبيها له .. ثم ينصرف لينام فى احد الفنادق .  
فلم يكن فى بيت امى سرير ينام فيه الا سريري .. وأنا احرمه  
من سريري .. المسكين ..

وقد لاحظت امى مغالاتى فى التدلل على زوجى . ولاحظت  
قسوتى فى معاملته .. ولحظت انى اخرج كل يوم تقريبا .  
كلما عاد زوجى الى السويس ، وأبقى فى البيت كلما جاء الى  
القاهرة .. وبدأت تشك فى الأسباب التى ادعيها لابقى فى  
بيتها ..

ولكنها لم تتكلم .. او انها تتكلم بعينها فقط .. تنظر الى  
بعينين ثابتتين كأنها تحاول ان تكتشف سرى .. وخفت من عينها

.. وبدأت انتقل الى فصل ثان من المسرحية التى امثلها .. بدأت  
ادعى الوجوم .. والشroud .. وأبقى فى غرفتى دائما .. وحيدة  
.. وكلما دخلت على امى وجدتنى ساهمة .. أتهد .. كائننى على  
وشك البكاء ..

وتنظر الى وتسكت .. وعيناها تثقبان صدرى تحاولان ان  
تكتشفا سرى ..

وفى يوم عدت من لقاء هاشم ، ووضعت على وجهى قناع  
الوجوم والزهرق قبل ان ادخل البيت .. وأسهرت الى غرفتى .  
وخلعت ثيابى ، وجلست فى سريري ورأسى بين يدي .. كائننى  
اتكلم .

وتركتنى امى فترة طويلة ، ثم جاءت الى وجلست بجانبى .  
وقالت وكلماتها تخرج من تحت أسنانها كأنها تحاول ان تضغط  
على نفسها حتى لا تصرخ :

— مالك يا ميتو ..

وقلت وأنا لا أنظر اليها :

— ولا حاجه يا ماما ..

وسكتت برهة ، ثم قالت وصوتها يرتعش :

— تسمحنى تقولىلى انتى بتروحنى فين كل يوم والثانى ؟

قلت :

— ولا حنه .. بامشى .. بافضل امشى من غير ما اعرف  
انا رايحه فين ..

ثم رفعت عيني اليها واستطردت كائننى اصرخ :

— من زهقى يا ماما .. انتى مش عارمه فى ايه .. عمرك  
ما سللتى نفسك بنتى بتحس بايه .. عمرك ما سللتى نفسك  
اذا كنت انا سعيدة ولا بائسة .. خلاص .. جوزيتنى ورميتينى



.. ما بقتش اهلك .. زى ما اكون كنت بلوه وانزاحت من عليكى ..

وارتسم الجزع على وجه امى وقالت فى لهفة :

— ايه بس اللي حصل يا ميتو ..

قلت وقد بدات احس بعينى تحرقانى من شدة ضغطى عليهما حتى ابكى :

— اللي حصل ، حصل من زمان ، من يوم ما جوزيتنى ما تتصوريش انا متعذبة اد ايه يا ماما .. خلاص مش قادره استحمل .. مش قادره اعيش معاه .. مش طايقاه .. مش طايقاه ولا يوم زياده ..

وشهقت امى وهى تخطب بيداها على صدرها :

— ده كلام حد يقوله يا بنتى ..

وافلحت فى استدرار دموعى ، ورميت نفسى فوق صدرها ، وقلت وانا اتشج :

— خلصينى يا ماما .. وحياتى عندك تخلصينى .. زى ما رميتينى انقذينى ..

وازاحتنى امى من على صدرها ، وقالت وهى تنظر فى وجهى :

— انا مش فاهمه حاجه ايدا .. احكىلى .. خلىنى افهم ..

قلت وانا ابحت عن مندىلى لاجف دموعى :

— كان لازم تفهمى من زمان .. جوزيتنى واحد اكبر منى بعشرين سنه .. وشكله وحش .. ويلدى .. ودمه ثقيل .. وريحة بقة سمك ويطارخ .. و ..

وقاطعتنى امى قائلة :

— هو انا جوزته لك من غير ما تشوفيه .. ما قلتيش الكلام ده من الاول ليه ..

قلت فى حدة :

— كنت صغيره .. وكنت باسمع كلامك .. يعنى الحق على اللي سمعت كلامك ..

قالت :

— بس الراجل ما يتعيش بشكله .. وما كفاش شمينا ريحة بقة ..

قلت صارخة :

— مش بس شكله .. ده راجل تقن .. يقرف .. ما بيستحمش الا مره كل شهر .. وما بنعرفش نتكلم انا وهو كلمتين على بعض .. وايه .. عمرك ما سالتينى حماتى عامله معايا ايه .. تصورى يا ماما انها قافله على كل حاجة فى البيت بالمفتاح .. لو حبيت اطلع حقة جينه من الفريجدير لازم استاذنها .. ما اطلبش حاجه من السفرجى الا لما يروح يقول لها .. بتعاملنى زى ما اكون كلبه فى البيت ، بتوكلها وتلبسها علشان يلعب بيها ابنها .. و ..

وعادت امى تقاطعنى :

— بكره الفيلا تخلص ، وتقعدى فيها لوحداك .. وتسريحى من خلقه حماتك ..

وعدت اصرخ وانا اضرب وسائد السرير بقبضة يدى :

— وايه عرفنى انها مش حاتيجى تقعد معايا ..

وقالت امى فى لهجة حازمة :

— ما تقدرش .. فى الحالة دى انا اللي حاتكلم ..

قلت وقد عادت دموعى تنهمر :

— حتى لو قصدت لوحدي .. مشى حاقدر .. انتى  
ما تتصوريش يا ماما انا عايشه فى السويس ازاي .. عايشه  
مسجونة فى اوده واحده .. ما بقدرش أخرج من اودتى لغاية  
الصالة .. باحس انى تهت .. باحس انى غريبه .. وكل اهل  
السويس بيكرهونى .. وانا باكرهم .. من اول ما رحلت هناك  
وانا بافكر فى الطلاق ..

واتسمعت عينا ابنى كانها ذعرت ، وقالت فى صوت منفعل :  
— ما تجيبيش الكلمه دى على لسانك .. وما تنسفش انك  
حامل .. بدل ما تفكرى فى الطلاق ، فكرى فى البنت ولا الولد  
اللى حاجتيه .. واستحملى علشان خاطره ..

ونظرت اليها بكل عيني وقلت كانى اتحداها :  
— واشمعى انتى ما استحملتيش علشان خاطرى ..  
اشمعى انتى اتطلقتى من بابا ..

ولم تستطع ابنى ان تواجه عيني .. نكست عينيها ، وقالت  
فى صوت حزين متهدج :

— انا استحملت كثير علشان خاطرك يا بنتى .. استحملت  
ثلاث سنين .. وكنت مستعدة استحمل اكر ..  
قلت ببجاجة :

— وعازانى استحمل انا كمان ثلاث سنين وبعدين اطلق ..  
طيب ما اطلق من دلوقتي احسن .. والحق اتجوز جوازہ عدله ..  
وقالت فى صوت خفيض :

— أبوكى ما كانش زى عبد السلام ..  
وارتفع صونى كانى اذافع عن ابى :  
— على الأقل ابويا بنى آدم .. راجل شكله حلو وبينهم ..  
انها انتى مجوزانى حيوان ..

وقامت ابنى من جانبى ، كانها لدغت ، وقالت وهى تخرج من  
غرفنى :

— انتى عصبية اليومين دول يا ميتو ، بعدين نبقى نتكلم ..  
وخرجت وانا انتظر خلفها بمينين ملؤهما التصميم ..  
لقد اعلمت الحرب ..

ويجب ان استمر فيها ..  
الحرب فى سبيل الطلاق ..

وشعرت بثقل هذه الحرب على صدرى .. وطريق التحدى  
العنيف والتصميم الأعمى يمتد امامى .. ورأسى كخليفة النحل ..  
يملؤه الطنين .. كلمات وصور تقفز فى خيالى واحاول ان امسك  
بها لأعد مشهدا بينى وبين زوجى ، او بينى وبين ابنى ..  
فلا أستطيع ..

وتعبت .. تعبت اعصابى .. وقعت لأحداث هاشم فى  
التليفون نعله يريحنى .. نعله يسكت هذا الطنين فى رأسى .. انه  
الوحيد الذى أستطيع ان الجأ اليه فى هذه الأيام .. الجأ اليه  
بكل افكارى ، وكل احساسى .. وهو الوحيد الذى يجب ان  
يقف بجانبى فى أزمى .. انى أقبل كل ذلك من أجله .. ولائى  
أحبه .. ولكن هاشم كان مشغولا بمرضاه كعادته .. وكان على  
موعد مع اصدقائه بعد العيادة .. فالتقى الى بكلمتين سريعتين ،  
كانه يلتقى بقطعة عظم الى كلبه المدلل ، وتركنى بعد ان وعدنى بأن  
يلتقانى غدا ..

وعدت الى سربرى ذليلة .. مقهورة .. ان هاشم لا يحس  
بى .. لا يحس بكل هذه الزواجر التى تهب على رأسى .. لا يحس  
بطريق الشوك الذى أسير فيه حافية القدمين ، لأصل اليه ..  
انه لا يحس بى الا عندما يتألى .. فقط عندما يتألى .. ساعتها

احس انه لى كله .. احس انه يشعر بكل قطعة منى ، بكل نفس من انفاسى .. وبعدها .. يضيع منى .. يضيع بين مرضاه واصدقائه .. ويتركى وحدى .. كأنه انتهى منى الى الابد ..

وقضيت الليل احاول أن اقنع نفسى بأن اعدل عن الطلاق .. على الأقل اترك نفسى لقدرى دون أن اتعمد شيئا .. اترك نفسى لله يدير شئونى .. وكانت تمر بى لحظات يخيل الى انى اقتنعت .. ولكن لا يلبث عنادى وأطماعى أن يظلمتى فاعود افكر فى الطلاق ، وارسم طريقى اليه ..

وذهبت الى هاشم فى اليوم التالى .. واستوقفتنى اى قبل أن اخرج ، وقالت وهى تنظر الى بعينيها الثابتتين :

— رايحه فين ؟

قلت فى برود وتحد :

— خارجه ..

قالت وهى تخفض من صوتها حتى لا يسمعها زوجها :

— عارفه انك خارجه .. وعاليزه اعرف رايحه فين ؟

قلت وأنا افتح الباب :

— مش عارفه .. حاتمشى فى البلد .. ويمكن افوت على صاحبتى ناهد ..

ثم خرجت .. وتركتها واقفة مبهوتة والالم يطل من عينيها .. ووصلت الى شقة هاشم فى الساعة الرابعة تماما .. وضغطت على جرس الباب .. ولم يفتح لى احد .. انه لم يأت بعد .. ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى اصل فيها قبله .. ربما كانت المرة الثانية أو الثالثة .. وابتسمت ساخرة من نفسى وأنا اذكر الايام التى كان يأتى فيها قبلى ، واتعمد أن ادعه ينتظرنى .. لاثيره .. ويضربنى ..

ووقفت بجانب الباب المظلم .. مسكينة .. ذليلة .. وكلما سمعت صوت المصعد ، أو كلما فتح باب من ابواب الشقق المجاورة ، أدت وجهى الى الحائط ، حتى لا يرانى احد ويرى ذلى ..

وجاء هاشم فى الساعة الرابعة والربع .. وقال فى لهفة صادقة ، وهو يميل على خدى يقبله ، ويخرج سلسلة مفاتيحه من جيب بنطلونه ، ويفتح الباب :

— أنا آسف يا أمينة .. تصورى انى كنت فى العيادة لغاية دلوقت .. ولسه ما تغدتش .. يدويك خلصت آخر عيان وجيت على طول ..

ولم ارد عليه ..

لا أريد أن ألومه .. ولا أريد أن أحاسبه .. ولا أريد أن احذثه عن مشاكلى .. كل ما أريده هو أن يمنحنى لحظات استريح فيها من أفكارى ..

ولكن هاشم كان متعبا فعلا ..لقى بنفسه على الأريكة ، واغمض عينيه المجهدتين كأنه على وشك أن ينام ..

وحاولت أن اجرد الى الكلام ..

ولكنه يرد على بكلمات مقتضبة تخرج من بين جفونه المغضبة ..

وتركته ، وقمت أدور فى أنحاء الغرفة .. أحرك المقاعد بلا سبب .. وأقلب فى الكتب الطبية ثم ألقيتها باهمال .. وافتح الراديو ثم أغلقته .. وأرفع منفضة السجائر ثم ألقيتها بعنف كأنى احاول أن أحطمها .. وهو يفتح عينيه وينظر الى ، ثم يعود ويغمضهما .. ثم قال فى صوت منهوك :

— اسكنى يا امينه .. انا تعبان .. سيبينى شويه لغاية  
ما استريح ..

ولم ارد عليه ..  
داومت على ازعاجه ..  
وصرخ :

— بالقولك تعبان .. اسكنى ..

ورفعت الوسادة الملقاة فوق أحد المقاعد ، وقذفته بها ،  
وأنا أقول مدعية الغضب وبين شفتى أحلى ابتسامتى ..  
أغريه بها ..

— وأنا ذنبى ايه ما شفكش الا وانت تعبان .  
والتقط الوسادة .. واحتفظ بها بجانبه .. وقال وهو ينظر  
الى فى غيظ :

— امينه .. أرجوكى .. ربع ساعه بس ..  
ولكنى لم أرحمه ..

رفعت الوسادة الأخرى وقذفته بها فى وجهه وأنا أقول :

— ولا دقيقه .. اعتبرنى عيانه من بتوعك .. واقعد كلمنى ..

وانفتحت عيائه الى آخر وسمعها ، كأنه يهم بأن يقتلنى ، ثم  
التقط الوسادة وقذفنى بها .. فى عنف .. بكل قوة ذراعيه .  
واصطدمت بوجهى فى قسوة ، خيل الى معها أن رأسى يكاد  
يطير من فوق عنقى .. وساح شعرى فوق عينى ، وسمعته يقول  
فى غيظ :

— انتى يا فيش فى قلبك رحمة ..

وثرث ..

أو على الأصح افتعلت ثورة ..

ورفعت منفضة السجائر فى يدى كأنى أهم بأن أقذفه بها .

فهب من جلسته ، وأسرع ، الى ، وانتزع من يدى منفضة السجائر  
.. ثم أمسك بشعرى .. بكل أصابعه .. بكل قسوته .. وحاول  
أن يوقعنى على الأرض ..  
وصرخت :

— هاشم .. حاسب بطنى ..

وتوقف برهة .. كأنه يقرر ماذا يفعل بى .. وأصابه  
كلها لا تزال قابضة على شعرى .. ثم جثنى من شعرى الى  
الغرفة الأخرى ..

وأذاب كل تعب فى جسدى ..

وقال وهو راقد بجانبى ينظر الى سقف الغرفة ، وقد انتظمت  
أنفاسه ، ويده ملقاة فى حنان ورفق فوق بطنى المنتفخ :

— تعرفى .. أنا ساعات بيتيلى أنه ابنى ..

والتفت اليه كأنه فاجأتى ..

كانت المرة الأولى التى يطرق فيها هذا الموضوع بصراحة ..  
لقد مضى شهر أو أكثر منذ أبلغته أنتى حامل ، وكلانا يتجنب  
الحديث عن الجنين .. كلانا لا يريد أن يعرف ابن من هذا ..

وقلت كأتى صدمت :

— ما تقولش كده يا هاشم .. بعيد الشر ..

وقال كأنه لم يسمعنى .. ولا يزال ينظر الى السقف كأنه  
يحلم :

— تصورى لو كان ابنى .. ده أنا اتجنن .. أموت ..

قلت وأنا سعيدة بأحلامه :

— ليه ؟

قال وقد التفت الى لافتة سريعة كأنه دهش من سؤالى ،  
ثم عاد ينظر الى السقف :

— لية ازاي .. تصوري انى ابقى عارف انه ابني ، واشوفه  
عايش مع راجل تانى ..

قلت. وأنا ابتسم ابتسامة صغيرة كأنى اطمئننه :

— مش حايعيش مع راجل تانى ..

والتفت الى بسرعة ، وقال :

— ازاي ده ؟

قلت فى هدوء :

— علشان حاتطلق ..

واستدار الى بكل جسمه .. ووجهه قريب جدا من وجهي  
.. وانفه الكبير يصطدم بانفى .. وشفتاه تتنفسان فى شفتي  
.. وقال فى صوت رزين عاقل :

— اسمعى يا امينه .. اسمعيني كويس .. انتى لازم

تنزلى اللى فى بطنك ده .. لازم تسقطى نفسك .. و ..

وقاطعته وأنا ابتعد عنه كأنى لدغت منه ، وقلت فى حدة :

— ما تقولش كده .. مالكش دعوه باللى فى بطنى ..

قال :

— اسمعيني بس يا امينه .. ما تقبش انانيه .. و ..

وعدت اقاطعه :

— تبقى دكتور وتقول كده يا هاشم .. لو جت لك واحده

ست وقالت لك سقطنى .. تسقطها ..

قال وهو يتهد كأنه يستعين بالصبر :

— عارف انى دكتور .. وعارف ان الدين يمنع ، والطب

يمنع ، والقانون يمنع .. انما فيه حاجه ربنا مش ممكن يرضى

بيها ، وهو انك تخلفى فى ظروف زى ظروفك .. تخلفى وانتي

مش عارفة ابن مين اللى حاتخلفه .. وتخلفى وانت عارفة انك

حا تطلقى : وحياء ابنك تشتد .. والطب يسمح بالاجهاض  
لما تكون الام مريضة ما تستحملش الحمل ، وانتي ظروفك كلها  
مريضة ، ما تستحملش الحمل .. حتى القانون .. ما فيش  
قاضى عادل ممكن يوافق على انك تخلفى .. و ..

وقاطعته فى تحد :

— من مفضلك اسكت .. انت خايف من المسؤولية ..

قال وهو بيتسم فى يأس :

— أنا مش خايف من المسؤولية .. ما فيش مسؤولية على

.. انما أنا باكلبك بضميرى .. ويعقل .. واحب أقول لك

انك انانية .. بتفكرى فى نفسك بس .. لو فكرت فى اللى

حاتخلفه .. لو فكرت فيه لحظة واحدة بس كنتى تسمى

كلامى ..

وقلت وأنا اقوم من جانيه وأبدأ فى ارتداء ثيابه بعصبية :

— طبعاً بانكر فى نفسى .. افرض انى مت وأنا باسقط

نفسى ..

قال فى هدوء :

— مش حاتموتى .. انتى صحتك كويسه .. لو كان حيجرى

لك حاجه ، كان اول واحد يخاف عليكى أنا ..

قلت :

— انت ما بتخافش على .. انت بتخاف على نفسك ..

على كل حال اطمئن .. ده لا ابنك ، ولا ابن جوزى .. ابني أنا

.. وأنا حره فيه ..

وقال وهو ينظر الى فى زهق :

— انتى مجنونه .. وملحوسه .. وغبيه .. وانانيه ..

وما فيش فايده انك تفهمى .. والحق على أنا اللى خايف عليكى ..

وابتدا يرتدى ثيابه هو الآخر ..

ووقفت أضافحة قبل أن أخرج ..  
وحاول كل منا أن يحتفظ بغضبه ..  
ولم نستطع ..

ابتسم كل منا للآخر .. وفتح لي ذراعيه ، لارتمى بينهما ..  
وأضمه بكل قلبي .. وقلت وأنا أتلقى قبلته على خدي :  
— ما تبقاش تقول لى انى غبية يا هاشم .. الكلمه دى  
بتزعلنى ..

قال وهو يضغطنى اليه كأنه يعتذر لى :

— أنا كمان غبى .. كل واحد فينا له ناحية ذكاء وناحية غباء  
.. تعرفى ايه أذكى حاجه فيكى ..

قلت وأنا أنظر اليه بعينين ضاحكتين :  
— ايه ؟

قال مبتسما :

— بوستك .. شفايفك ..

ثم انحنى بىلقى قبلتى الذكية ..

وخرجت وأنا سعيدة .. وأكثر سعادة من أى يوم آخر  
بالجنين الذى يتحرك فى أحشائى .. ابنى أريده ليحترق فيه  
هاشم .. ليظل طول حياته يتسائل اذا كان ابنه أم لا .. أريده  
كسلاح أتحداه به .. وأثيره به .. وأقوى به عليه ..

ولكنى عندما عدت الى البيت وجلست مع أمى بعد أن وضعت  
على وجهى قناع التجهم والشرود ، قلت وأنا أدعى الإصرار :

— ماما .. أنا حاسقظ نفسى ..

وخطبت أمى على صدرها من قسوة المفاجأة ، وقالت :

— مين اللى شار عليكى الشنوره المهيبه دى ..

قلت :

— ما حشش .. انا لازم أسقط نفسى ..  
قالت وهى تنظر الى كأنها تنظر الى مجنونة :  
— ليه .. ايه اللى جد ..

قلت :

— ما فيش حاجه جدت .. انا ما دام حاطلق يبقى لازم  
أسقط ..

ونسيت أمى حرصها على الا يصل صوتانا الى سماع زوجها ،  
وصرخت :

— مش حاتطلقى .. ومش حاتسقطى .. فاهمه .. دلح  
البنات ده آخرته مش كويسه .. وأنا كلمت عبد السلام فى  
التليفون ، وزمانه جاى .. أما أشوف آخرتك ايه ..  
وجاء زوجى من السويس ..

وعقدنا مؤتمرا .. أنا ، وأمى ، وهو .. وقالت له أمى  
كل ما شكوته لها .. شكواى من أمه .. ومن أهل السويس  
.. ولكتها لم تقل له ابنى لا أحبه ، ولا اطيعه .. وعبد السلام  
يتلقى الشكوى بقلب ملهوف على .. ويدافع عن أمه حيثما ..  
ثم يعد بأن يريحنى من كل ما أشكو منه .. ثم قال وعيناه  
مخلصتان :

— ما يصحش تزعلنى نفسك اليومين دول يا ميتو ..  
ما تتسيش انك حامل .. ولازم تحاسبى على ابننا ..  
وصرخت :

— مش عايزاه .. أنا حاسقظ نفسى .. يغور هو وأبوه ..  
وحفظت عينا عبد السلام كأنه اختنق ..  
وقالت أمى وهى تنظر اليه كأنها تستعطفه :  
— ما تسمعش كلامها يا عبد السلام .. دى عصبيه ..  
والحمل تاعبها ..

واطمان عبد السلام ..

ولكنى داومت على تهديده باجهاض نفسى .. كنت اذا جلست معه او مع امى اصررت على الاجهاض .. وكلما ذهبت للقاء هاشم اصررت على ابقاء الجنين .. كائنى اتحدى هذا وذاك .. او اتدلل على هذا وذاك ..

وقد بقى زوجى فى القاهرة ثلاثة يام .. والكلام لا يكف عنى .. امى تتكلم .. وعبد السلام يتكلم .. وخالاتى الخمس يتكلمن .. وزوج امى يتكلم .. وأخيرا اضطرت مجبرة على ان اعود معه الى السويس .. ليكف الكلام عنى .

الوحيد الذى وقف بجائى هذه الأيام كان أبى .. لم يتكلم .. هز كتفيه عندما استدعته امى ليشترك فى أحد المؤتمرات التى تتسلى العائلة بعقدتها على حسابى .. وقال :

— ما دام مش عايزاه .. خلاص تطلق ..

هكذا بكل بساطة ..

وأسرعت امى بتوصيله الى الباب .. وزوج امى يودعه بنظرة احتقار ، كأنه يتهمه بالاتحلال ..

وما كدت أصل الى السويس حتى أشعلت فى البيت نارا .. لم أكن أدري انى أستطيع ان أكون قاسية الى هذا الحد .. وقحة .. مجرمة .. لم أكن أدري انى أحمل فى صدرى كل هذه الطاقة المدمرة .. لقد جننت عبد السلام ..

وجننت أمه .. لم أترك لهما ساعة واحدة يعيشانها فى هدوء .. أقيم ثورة لكل صغيرة .. وأصرخ فى وجهه .. طلقنى .. مش عايزاك .. مش طايتاك .. وأحرم عليه فراشى .. وحجرتى .. وأهين أمه أمامه .. وأجبره على ان يسافر بى الى القاهرة فى اوقات عمله .. وأتركه عندما نصل لأقابل هاشم

.. ثم أعود معه تحت ضغط امى .. والمسكين يعتقد أن كل ذلك بسبب ازيمات عصبية تصيبنى نتيجة الحمل .. امى اقتنعته بذلك ..

ووقفت يوما فوق الدولاب ورميت نفسى على الأرض ، أمام عينيهِ ، لأقتل ابنه .. وصرخ يومها المسكين ثم بكى .. ولكن صراخه لم يفرغنى ، ويكاوله لم يثر شفقتى .. أثار قرفى .. ولم يسقط الجنين ، ظل فى مكانه ، سليما .. كأنه يتشبث بى ، ويتشبث بالحياة ..

ولم تكن هذه القوة التى أواجه بها زوجى وأمه ، دليلا على انى اكتسبت شخصية جديدة قوية .. أبدا .. لم أشعر بأنه أصبحت له شخصية .. كل ما شعرت به انى تجردت من كل شيء .. تجردت من الحياء .. تجردت من المنطق .. تجردت من الشفقة .. تجردت من كل المقاييس .. من كل المبادئ .. وكنت وأنا اثير فى البيت كل هذه الزوابع المفتعلة ، أشعر بالخوف .. خوف كبير .. خوف من نفسى ، وخوف على نفسى .. وأشعر بدمائى تجرى باردة مثلجة فى عروقى ، كدماء الثعابين .. وأنظر الى مرأتى ، فأرى وجهى أصفر ممتعنا ، كائن سأموت .. كائن ميتة .. ولا أستطيع أن أواجه زوجى أو أمه وأنا هادئة .. لا أستطيع أن أرفع عينى ، الى عيني أحدهما .. انما أبقى بعيدة ، منزوية ، اثير فى نفسى ، وأتمسك اسباب الثورة ، الى أن أثور فعلا ، وأخرج عليهما كالمجنونة ، لافتعل زوبعة جديدة ..

وزوجى وأمه يتحملان فى صبر ، من أجل الجنين الذى أحمله فى بطنى .. وينظران الى فى اشتاق كائن مجنونة ... ومرت ثلاثة شهور ..

أصبحت فى السادس ..

بطنى كبير مدلى حتى يصل الى ركبتي ..

وتأخر زوجى يوما فى مكتبه .. وفجأة .. بلا سابق تفكير ..  
قمت وارتديت ثيابى .. وسألتنى أمة قبل أن أخرج فى صوت يرتعش خوفا منى :

— الى أين ..

وقلت دون أن التفت إليها :

— خارجه ..

وخرجت ..

وركبت سيارة أجرة من سيارات السويس ، وأمرت السائق أن يسافر بى الى القاهرة ، وأنا أحمل فى راسى تصميمها هائلا بأن تكون هذه آخر محاولة أحصل بها على الطلاق ..

ووصلت القاهرة فى الساعة الثامنة مساء .. ونزلت من السيارة فى ميدان الأوبرا .. وأخذت أسير فى الشوارع .. وكنت أحاول أن أضيع الوقت الى أن ينتهى هاشم من عيادته فى الساعة التاسعة .. ولكنى تعبت قبل أن تصل الساعة الى الثامنة والنصف .. البطن الثقيل الذى أحله اتعبنى .. فأتصلت بهاشم فى التليفون ، وقال فى عجلة بمجرد أن سمع صوتى :

— جيتى امتى ؟

قلت :

— دلوقتى .. ولازم اشوفك حالا ..

قال :

— مش ممكن .. ده أنا لسه قدامى كثير ..

قلت :

١٣٤

— بس أنا فى الشارع .. وتعبانة .. مش لاقية حته أروحها .. وما اقدرش أروح قبل ما اشوفك ..  
قال فى عجلة :

— طيب روحى الشقة وخلي عم محمود البواب يفتح لك ..  
إذا ما رضيتى خليه يكلمنى فى التليفون ..  
قلت فى استسلام :

— حاضر ..

وركبت تاكسى الى الزمالك .. ووقفت أمام عم محمود البواب فى استخفاء ، وطلبت منه كئى استجديه أن يفتح لى شقة الدكتور هاشم .. وإذا أراد أن يتأكد ، يستطيع أن يحدث الدكتور بالتليفون ..

ونظر عم محمود الى بطنى المنتفخ ، وقلب شففيه فى امتعاض ، ثم قام فى تكاسل دون أن يتفوه بكلمة ، وتقدمنى الى المصعد .. وفتح لى باب الشقة ، وتركنى أدخل ، ثم قذفنى بنظرة جارحة .. وأغلق الباب ورائى ..

ودخلت الى حجرة النوم .. والقيت نفسى على السرير .. كنت متعبة .. محطمة .. وحاولت أن أنام .. ولكنى لم أنم .. أذناى معلقتان بصوت أسلاك المصعد الذى ينبعث من شبك المطبخ .. كلما دارت الأسلاك .. ظننت أن هاشم سيدخل بعد دقائق ..

ولكن هاشم تأخر كثيرا ..

الساعة العاشرة ، ولم يصل ..

وقمت وصنعت لنفسى فنجان قهوة .. لم أكن أريد أن أشرب القهوة .. إنما كنت أريد أن أسلى نفسى بشيء أصنعه .. وجلست فى الصالة الخارجية ، وأمامى فنجان القهوة ..



وجاء هاشم فى الساعة العاشرة والنصف ..  
واسرع الى ملهونا ، وجلس بجانبى وقال وهو يضع ذراعيه  
حول كفتى :

— ايه .. حصل ايه يا امينه ؟

وانهمرت دموعى فجأة .. دموع التعب .. والضياع ..  
ووجدت نفسى اسقط من فوق الأريكة ، واركع تحت قدمى هاشم ،  
ويطنى مدلى امامى ، كأن الجنين يركع أيضا تحت قدميه ..  
ورفعت اليه عينى ودموعى .. وقلت فى توسل :

— انا لازم اطلق يا هاشم .. لازم .. لازم .. خلاص ،  
مش قادره .. ما تسبنيش أرجع السوييس تانى .. ما تخليهمش  
يرجعونى تانى ..

وقال فى صوت خنون وهو يحتضن وجهى بكفيه :

— طيب بتعيطى ليه يا امينه .. كل حاجه ممكنه .. بس ..

قلت اقاطعه وانا اتشجن :

— ما فيش بس .. ما تحاولش تقول حاجه .. مش حا اسمع  
.. مش حاسم ..

قال وهو يبتسم لى كأنه يشفق على :

— خلاص .. اطلقى .. انا ما كنتش موافق .. انما ما دام  
حالتك بقى كده .. موافق ..

ثم رفعتنى من على الأرض ، وأجلسنى بجانبه ، واخذ يشرب  
دموعى بشفتيه فى قلات سريعة هادئة .. ثم قال :

— بس .. حاتطلقى ازاي .. يمكن ما يرضاش يطلتك ..  
قلت :

— لازم يرضى ..

وهز رأسه وسكت ..

ثم قال بعد برهة :

— وغكرتى حاتعملى ايه بعدما تطلقى ..  
ونظرت اليه كأنى اسأله نفس السؤال .. ثم أحنيت رأسى ،  
وقلت :

— ما فكرنش .. اما اطلق الأول ، وبعدين أفكر ..

وهز رأسه صامتا ..

لم يقل شيئا ..

لم يعدنى بشيء ..

كأنه ليس سبب كل مصيبتى .. كأنى لا اطلق من أجله ..  
كأنه لا دخل له فى قصتى ..

وأخذت أروى له كل ما حدث لى فى السوييس .. وهو  
يستمع صامتا .. ثم قال :

— مش تقوى تروحي بأه .. الساعة بقى اتناشر ..

قلت :

— لا .. مش دلوقت ..

قال وهو ينظر الى فى تعجب :

— بس انتى اتأخرتى قوى ..

قلت :

— ما تخافش .. مش حاتقول لك خلىنى عندك ..

قال وهو ينظر الى فى شفقة :

— انا مش خايف منك يا امينه ..

انا خايف عليكى ..

قلت والدموع تعاودنى :

— ما تخافش على .. انا عارفة باعمل ايه ..

والأخذت أبكى ..

واقترب يشرب دموعى .. فى رفق .. واخفى بين ذراعيه  
.. فى هدوء .. ليس ثائرا ولا مجنونا ككل مرة .. كأننا نحن  
الاثنين نلعب الكشينة فى صمت لتتلهى عن تفكيرنا ..

وابقيته معى حتى الثالثة صباحا ..

ثم خرجنا ..

ولأول مرة أركب سيارته بجانبه .. بل أول مرة أركب معه  
المصعد .. نزلت معه ؟ وركبت بجانبه .. ولم أشعر بحرج  
والسيارة تشق بنا شوارع القاهرة .. بالعكس ، كنت أطل  
من نافذة السيارة ، وأتمنى أن يراى كل الناس .. مزهوية ..  
متباهية .. بجانب الدكتور هاشم ..

وظلمت منه أن يوصلنى الى بيت خالتى سعدية التى تسكن  
بجانبنا فى مصر الجديدة .. وكانت تعيش مع بنتيها .. وزوجها  
مات ..

وسألنى هاشم فى دهشة :

— مش حاتروحى عند ماما ؟

قلت :

— لا .. كده أحسن ..

قال :

— ليه .. ناويه تعملى ايه ؟ ..

قلت :

— بعدين حاتعرف ..

ووصلت الى بيت خالتى ..

وتفاصيل الخطة التى وضعتها تملاً رأسى ..

وضغطت الجرس بيد مثلجة ، وكل ما فى داخلى يرتعش

.. ومرت فترة خيل الى انها سنة .. ثم اضيئت الأنوار داخل  
البيت .. ثم سمعت صوت خالتى يرتجف من الخوف :

— مين ؟

وقلت فى صوت هامس :

— أنا امينه .. ميتو ..

وفتحت خالتى شراعة الباب ، وما كادت تلمحنى حتى فتحت  
الباب بسرعة .. واحتضنتنى بين ذراعيها ، وهى تقول :

— ميتو .. حبيبتى .. دى الدنيا مقلوبه عليكى .. كنتى

مين يا بنتى ..

ولم أرد عليها ..

القيت نفسى على أول مقعد ، ووضعت رأسى بين يدى ..

ويكيت .. استطعت أن أبكى ..

واسرعت خالتى نحو التليفون ، وهى تقول فى جزع مخلوط

بالفرحة :

— استنى يا بنتى لما أطمئن مامتك .. حالتها حال .. اصلنا

افتكرنا ان بعيد الشر عملت فى نفسك حاجة ..

وأدارت قرص التليفون وصرخت فى فرحة خالصة :

— مينو عدى .. اطمئنى ياخنى .. سليمة الحمد لله ..

حاتيجى ديوقة .. لا .. ما بلاش .. ده احنا فى عز الليل ..

ما تعمليش فى نفسك كده يا حبيبتى هى حاتفضل عندى والصبح

يجلها حلال .. خدى كلامها علشان تطمئنى ..

ثم انشأرت لى خالتى لاقترب من التليفون وهى تضغط على

شفتها بأسفاتها كأنها توصينى بأمر خيرا .. ثم همست ..

— طمئنها يا بنتى .. ما تزعجهاش ..



وأمسكت سماعة التليفون ، وما كادت أمى تسمع صوتى ،  
حتى صرخت :  
— دى عملة تعملها يا بنتى .. كده برضه تفضحيننا فى  
وسط الناس .. كتنى فين لغاية دلوقت ..

قلت وأنا أنشج :  
— كنت ماأطرح ما كنت ..

وصرخت فى حدة :  
— قوليلي كتنى فين ..

قلت وأنا أتعبد أن أرفع من صوت نشيجى :  
— مش حاقول لكم كنت فين .. الا لما تطلقونى ..

ثم قذفت بسماعة التليفون فى وجه أمى ..  
وارتميت على المقعد ، وأنا أبكى ..

وخالتي تربت على ظهري فى حنان ، وتقول :  
— مش كده يا بنتى .. دى برضه أمك ولازم تظمن عليكى ..

— ٦ —

.. ثبت ليلتها عند خالتي سعدية .. ثبت بجانبها على  
فراشها .. وقالت لى أن زوجى عبد السلام اتصل بأمى من  
السويس فى الساعة التاسعة مساءً ، وأبلغها خبر اختفائى ..  
وانتظرت أمى حتى الساعة الحادية عشرة ، وعندما لم أصل  
الى بيتها ، ولا الى بيت واحدة من خالاتى .. بدأت تجن ..  
وعادت واتصلت بعبد السلام فى السويس ، ولكنه أبلغها انى  
لم أعد بعد .. وبدأ كلاهما ، عبد السلام فى السويس ، وأمى

في القاهرة .. يتصلان بأقسام البوليس والمستشفيات سلاح الحدود ، على أصعب في حادث .. ولكنها لم يصلا الى شيء .. وأمي المسكينة .. وخالاتي الخمس حولها .. ولا شيء يطمئنها .

وقالت لي خالتي متعديّة أنها عادت من عند أمي في منتصف الليل ، ولولا أن ابنتها مريضة لما تركتها أبدا .. فالمسكينة حالتها يرئى لها .

ولم يرق قلبي لحال أمي .. بالعكس شعرت أن الجزء الأول من خطتي قد نجح ..

وابتسمت لي خالتي ابتسامة كبيرة ترشوتني بها ، ثم قالت كأنها صديقتي :

— توليلي بأه .. كنت فين اغاية دلوقت ؟ ..

قلت وأنا أدير ظهري لها :

— مش حاقول الا لما تطلقوني ..

قالت وهي تربت علي كفتي :

— خللي الطلاق على جنب دلوقت .. وتوليلي كنتي فين .. أنا خالك الصغيره واكثر واحده تقدر تفهيك ..

قلت في اصرار :

— مش حاقول ..

قالت :

— قوليلي ومش حاقول لحد .. ولا حتى لما تمك ..

قلت :

— مش حاقول .. مش حاقول الا لما أطلق ، واذا ماطلقتوني مش خارج مطرح ما كنت ..

وعادت خالتي تلح ..

وقلت وجفوني تنسدل فوق عيني :

— والنبي سيهني دلوقت يا طنط .. أنا تعبانه .. حاموت من التعب ..

وكنت فعلا متعبة ..

ما كنت أغض عيني حتى نمت .. وبطنى المنتفخ راقد أمامي ، وعين خالتي تلسعني في ظهري ..

وحلمت حلما عجيبا .. حلمت اني أجرى في طريق مظلم

مخيف .. أحمل بطنى الثقيل .. وشبح هائل يجري خلفي ..

لم أستطع أن أتبين وجه الشبح تماما .. كنت أحيانا أرى فيه

ملامح زوجي .. وأحيانا أرى فيه ملامح زوج أمي .. وكنت وأنا

أجرى أحاول أن أصرخ منادية هاشم .. هاشم .. هاشم

.. ولكن صرختي محبوس .. لا أستطيع أن أصرخ .. أفتح

فمي ولا يخرج مني صوت .. وظللت أجرى .. وأجرى ..

وخطواتي ثقيلة .. والرعب يملؤني ثم لححت أنوارا كثيرة ..

مضيئة في نهاية الطريق .. كأنها حفلة زفاف .. ورأيت هاشم

جالسا على مقعد كبير .. يرتدي حلة سهوكنج .. وحوله باقات

الورد .. كأنه في الكوشة .. ونظرت الى المقعد الذي بجانبه ..

المخصص للعروسة .. فلم أجد عليه أحدا .. ليس بجانب

هاشم عروسة .. وجريت أكثر لأجلس في مقعد العروسة ..

ولكن الشبح لحق بي ، وأمسك بطرف ثوبي .. وأخذ يشدني

.. يشدني بقسوة .. وأنا أصرخ .. هاشم .. هاشم .. ولكن

هاشم لا يدعني .. ويثقت حوالبه في انتظار عروسته ..

ولا يراني .. اني أخاف أن تسبقني اليه عروسة أخرى .. والشبح

يشدني .. والرعب يملؤني .. لقد أمسك الشبح بكفتي ..

يهزني ..

وفتحت عيني كأنى أريد أن أتأكد لنى أحلم ، فالتقيت بوجه  
أمى ، وإقفة بجانب الفراش .. متجهة الوجه .. مرتدية ثوبا  
أسود كأنها أعلنت الحداد على ..

وكانت تهزنى من كتفى وهى تقول :

— ميتو .. ميتو .. قومى .. اصحى ..

ورفعت عيني إليها ، ثم عدت وأغمضتها قائلة :

— سيبينى يا ماما .. أنا تعبانه .. عايزه أنام ..

وقالت أمى فى صوت حازم :

— هو أنتى خلينى حد ينام .. قومى دلوقت ، وإيفى أرجعى

نامى .. قومى بأقول لك ..

وعدت وفتحت عيني ، وقد تخلصت من بياها حلمى ، ثم  
اعتدلت جالسة فى الفراش ، وأنا متعبة .. متعبة فعلا وقلت  
وأنا أدعك عيني بأصبعى :

— ده أنا حلمت حلم وحش قوى ..

وقالت أمى فى لهجة باترة :

— مش عايزه اسمع أحلامك .. عايزه اسمع حكايتك ..

قلت كأنى أرجوها :

— استنى على شويه يا ماما لما افتح عينيه ..

وجلست أمى على حافة الفراش ، وقالت وهى تنظر الى

بكل عينيها :

— استئينا ..

قلت وأنا أتمطى وأحاول أن استعيد برودى :

— هى الساعة كام دلوقت ..

وأجابت خالتى وهى واقفة بجانب باب الغرفة :

— الساعة سبعة ونص يا حبيبتى ..

قلت :

— ياه ... ده أنا ما لحقتش أنام ساعتين ..

وقالت أمى وهى تكاد تنفجر :

— مش مهم .. اتكلمى ..

وقالت خالتى سعيدة :

— استنى عليها يا فوزية يا اختى .. البنت عذمانه وماالحقتش

تمام .. قومى يا حبيبتى اغسلى وشك بشوية ميه ، وتعالى ..

ثم التفتت الى أمى قائلة :

— قومى يا فوزية يا اختى تشرب القهوة فى الصالة ..

وظلت أمى تنظر الى بعينين واستعنتين غاضبتين كأنها تصغنى

بعينيها .. وتجاهلت نظرتها ، وقمت على مهل لأدخل الحمام ،

وقامت أمى خلفى ، وهى تقول :

— أما أشوف آخرتها مع البت دى إيه ..

وتعمدت أن أغيب فى الحمام .. غبت أكثر من نصف ساعة

.. وطرقت خالتى على الباب مرتين تتعجلانى .. وأنا ألتكأ

أكثر .. ثم خرجت الى أمى ، وقد استعدت كل ذكائى ، وكل

برودى .. وجلست على المقعد المواجهة لها .. وقد زاد وجهها

احتقاناً ، وزادت عيناها غضياً ..

وأمرت خالتى بتهيأ أن يدخلوا الى غرفتهما .. ثم جلست

معنا ، قائلة :

— اسمعى يا فوزية يا اختى .. أنا مش عايزاكى تزعلى

نفسك ، ولا تزعلى ميتو .. كل حاجة ولها حل ..

وقالت أمى وهى لا تزال تصغنى بعينيها :

— اتفضلى اتكلمى يا بنت ميتو ..

قلت فى برودة :

— عايزانى أقول ايه ؟ ..  
وقالت أمى بعد أن رفعت عينيها الى السقف كأنها تستجير  
بالله منى :  
— عايزاكى تقولى لنا حكايتك ..  
قلت فى هدوء وأنا أهزأ كفى ، وكلتسا يدى فوق بطنى  
المنتفخ :  
— ولا حاجة .. عايزاه أطلق ..  
قالت وهى تشد أنفاسها من صدرها :  
— عارفين انك عايزه تطلقى .. اللي عايزه أعرفه .. كفى  
فين امبارح لغاية الساعة ثلاثة الصبح ..  
قلت وأنا ادير عنها عيني :  
— مش حالقول إلا لما أطلق ..  
وقالت أمى صارخة :  
— لا حاتقولى .. حاتقولى غصب عن عينك ..  
وقالت خالتى بسرعة :  
— هدى نفسك يا فوزيه يا اختى .. مش كده أمال ..  
وسكتت أمى ، والعذاب يتردد فى صدرها مع أنفاسها ..  
ثم قالت وهى تحاول ألا تصرخ مرة ثانية :  
— والتبى ما كفتيش مكسوفة من نفسك وانتى دايره للصبح  
ويطنك قدامك .. ده لو ما كانتش العيل اللي فى بطنك كان  
زمانى حطاكى تحت رجليه وياهرسك هرس .. أعمل ايه فيكى  
بس يا اخواتى ..  
قلت فى برود :  
— طلقينى ..  
وانفجرت أمى مرة ثانية .. وخالتى تهدها .. والكلام

لا ينتهى .. ساعة .. ساعتان .. ونحن نقول ونعيد نفس  
الكلام الذى رددناه فى الشهور الأخيرة ، منذ أعلنت طلب الطلاق  
.. وأنا مصممة دائما على ألا أفشى سرى .. ولا أقول أين  
كنت ليلة أمسى ..  
وأخيرا تأملت أمى من على مقعدها ، وشددتني من يدى بقوة ،  
قائلة :  
— تعالى معايا ..  
ثم التفتت الى أختها قائلة :  
— سيبينا لوحدنا شويه يا سعدية ..  
ثم دخلت بى الى غرفة النوم ، وأغلقت الباب وراءنا ،  
وقالت :  
— اتعدى يا بنتى ربنا يهديكى ..  
وجلست على السرير ..  
وجسست بجانبى ملتصقة بى ..  
وأجسست ساعتها اتنى أريد أن أضع رأسى على كتفها  
واستريح من عنادى .. أريد أن أقبلها .. وأقبلها .. ثم أبكى ..  
وقالت وهى تربت على مخذى فى خنان :  
— اسمعى يا أمينة .. أنا مستعدة أطلقك .. وأقدر أطلقك  
فى أربعة وعشرين ساعة .. بس قبل ما أطلقك لازم اقتنع ..  
ومشر حاتقنع الا لو عرفت كل حاجة .. قوليلى يا أمينة ..  
انتى بهعرفى حد ..  
قلت وأنا أرفع حاجبى مدعية البراءة :  
— قصدك ايه يا ماما ؟ ..  
قالت وهى تنظر الى وعلى شفيتها ابتسامة مرة :  
— قصدى بتحبى حد ..

وأدرت رأسي عنها ، وقلت :

— ألا .. ما بحبش حد ..

قالت :

— توليلي يا بنتي .. ده مش عيب .. كل البنات بيحبوا ..

وأنا غلطت معاكى وجوزتك صغيرة ، قبل ما تتفتحي وتشوفي

الدنيا .. ولو خبيتى واحد تانى ، يبقى لك حق ..

ونظرت إليها ، أحاول أن أصدقها .. وأنا أشعر بقلبي

ينفخ بين ضلوعى .. ثم فجأة أحسست بدموعى تنهمر صامتة

على وجهتى قبل أن أستطيع مقاومتها .. وأخفيت رأسي صامتة ..

كشفتنى دموعى ..

وظلت الابتسامة المرة على شفתי أمدى وقلت :

— أقدر أعرف اسمك ..

ورفعت إليها عيني البتلتين بالدموع وقلت فى حدة :

— لا .. مش ممكن .. مستحيل ..

ولفت أمدى ذراعها حولي ، وضمتني إليها ، قائلة :

— ده أنا مامتك يا أمينة .. إذا ما كنتيش حاتقوليلي ..

حاتقولى لين .. انتى عمرك ما خبيتى عنى حاجه ..

وملت برأسي على كتفها .. أريد أن استريح .. رأسي مصدع ،

من قلة النوم وكثرة الكلام .. وقلت :

— مش حاتقول يا ماما .. مش حاتقول ..

قالت :

— مش بس أعرف مين هو ده اللي حاتتهد الدنيا علشاناه ..

قلت :

— بكرة تعرفينه ..

وسكتت برهة ، وقالت وهى لا تزال تحضننى ، ورأسي

لا يزال على كتفها :

— ووعدك بالجواز؟

قلت وأنا أمسح الدموع من فوق خدي :

— يوعدننى بالجواز ازاي وأنا متجوزه ..

قالت :

— يعنى ما اتفتقوش على انك تطلقى وتتجوزوا ..

قلت وأنا لا أرفع وجهي إليها حتى لا ترى عيني :

— ازاي بس يا ماما .. هى تجاره ..

قالت :

— آمال عايزه تتطلقى ليه ..

قلت :

— علشان باحبة .. وعلشان مأكده اتى لو ما كنتش

متجوزه ، كان اتجوزنى ..

قالت :

— ما يمكّن واد صغير من شعبان اليومين دول ، يخرب عليكى ؟

وبعدتين تنورى عليه ما تلقهوش ..

قلت وأنا أرفع رأسي إليها محتجة :

— ده مش واد صغير .. ده راجل عنده خمسة وتلاتين

سنة ..

ونظرت الى أمدى كأنها تحاول أن تدخل بعينيها فى رأسي ؟

وقالت :

— وده اللي كنتى معاه امبارح للغاية الساعة تلاته ؟ ..

وانقضت من جانبها .. ابتعدت عنها .. وقلت وأنا أفعل

الغضب :

— يا خبر .. ازاي تقولى الكلام ده يا ماما .. ده ما حطش  
ايدى على لغاية دلوقتى ..  
— امال كنتى مع مين ؟  
قلت مى حدة :  
— ما كنتش مع حد .. ومش حاقول كنت فين ..  
قالت :  
— باه بعد ما تقوليلى ده كله .. مش عايزه تقوليلى كنتى  
فين .. ليه ؟  
قلت :  
— علشان لو ما اطلقتش ناوية ارجع مطرح ما كنت ..  
وبالحديث يعرف طريقتى .. وتبقى مضحكة ..  
قالت :  
— ومين حايبيك تعملى كده .. انتى فاكده نفسك سايبه ..  
قلت فى تحد :  
— ما حدش ساعتها حايقدر يمنعنى .  
قالت وهى تتفهد :  
— انا احلف انك كنت مع الراجل اللى بتقولى عليه ده ..  
قلت فى بحاجة :  
— لو عرفتية ، حاتعرفى انه مش من الصنف ده .. مش  
ممكن يقعد مع واحده متجوزه لغاية الساعة تلاته ..  
قالت :  
— طيب مش تعرفينى بيه ..  
وسكت .. لم اتكلم .. وعقلى يدور فى راسى ..  
وعادت تقول :

— يا بنتى هدى سرى ، ربنا يهدى سرك ..  
وقلت وقد بدأت أتردد فى تصميمى :  
— ما اقدرش يا ماما .. ما اقدرش أبدا .. ده لو عرف  
انى قلتك .. ولا حكايتنا اتعرفت ، يبطل يكلمنى ..  
وقالت وهى تنظر الى فى توسل :  
— يا بنتى ده انا اخاف عليكى اكثر ما تخافى على نفسك ..  
واحلف لك بمعزتك عندى .. وانشأ الله يا رب اعدمك واعدم  
ولادى كلهم ، لو نطفت بكلمة .. قولى يا بنتى .. وما تنسيش  
انى حاساعلك ، وانا الوحيدة اللى حاقت جنبك ..  
ولا زلت مترددة ..  
صامدة ..  
وقالت امى وهى تزفر انفاسها وقد ضاقت بصمتى :  
— يبقى خلاص .. ماليتش دعوه بيكى .. وروحى شوفى  
مين حايطلقك .. واعملى اللى انتى عايزاه ..  
وهبت ان تقوم من جانبى ، فتشبعت بها وانا انظر اليها فى  
استجداء ، وقلت فوراً :  
— اسمى هاشم ..  
ونظرت الى امى فى تعجب وقالت :  
— هاشم مين ؟ ..  
قلت وانا احنى راسى :  
— الدكتور هاشم ..  
وتحفظت على صدرها كأنها ذعرت وقالت :  
— الدكتور هاشم عبد اللطيف ؟  
وهزبت راسى بالاجاب ، وعيناي منكستان فى خفر ..  
وقالت امى وهى تطوف بعينيها فوق وجهى :



— بس ده نص ستات البلد بييجروا وراه ..

ورفعت رأسي وقلت في حدة كأنها لدغتنى :

— وأنا أحسن من نص ستات البلد ..

وقالت أمي :

— وبيقولوا عليه ما بيتجوزش ..

قلت :

— اللي أعرفه أنه بيحبني .. متأكده انه بيحبني ..

قالت :

— من امنى ؟ ..

قلت :

— من حوالى سنه ..

قالت وقد راقت ابتسامتها .. ابتسامه فيها كثير من

الدهشة ، وكثر من الزهو :

— وعرفتيه ازاي ؟ ..

وبسرعة استطعت أن أخلق كذبة كبيرة .. قلت لها اني

التقيت به في النادي .. وعرفتني به إحدى صديقاتي .. واتصل

بى بعدها بالتليفون .. وقد خرجت معه عدة مرات .. في

سيارته .. ويحدثني دائما في التليفون .. و ..

لم أقل لها شيئا من الحقيقة ..

ونظرت إلى أمي وقد غلب زهوها بى دهشتها منى .. وقالت

كأنها تهنتنى :

— أما انتى حقة بنت .. كل ده وما اعرفش ..

ثم سكنت برهة وقالت :

— وهو عارف أنك حاتطلقى ..

قلت :

— أيوه ..

قالت :

— وما قالش حايعمل ايه بعد الطلاق ..

قلت كائى الومها :

— مش ممكن يا ماما .. ده انسان كويس .. ومش ممكن

يطلق واحده علشان يتجوزها .. اتما هو فاهم انى حاتطلق

لاننى ما بيحبش جوزى .. ولان جوزى راجل مش كويس ..

اتما انا متأكدة انى لو اطلقت ، حاييجوزنى ..

قالت كأنها تحقق معى :

— اتأكدتى ازاي ؟

قلت :

— هاشم دايمًا يقول لى انه لو كان قابلنى قبل ما اتجوز

كان اتجوزنى .. ودايمًا يقول لى انه ما يقدرش يستغنى عنى

أبدا .. وأنا عارفه انه مش ممكن يكذب .. ما غيش سبب

يخليه يكذب .. وزى ما قلتى ، نص ستات البلد بتجرى وراه

.. يعنى مش محتاج انه يقول لى الكلام ده الا اذا كان بيحبنى

صحيح ..

وسرحت أمي بعينيها .. وابتسامه كبيرة على شفيتها ..

كأنها تحلم .. كأنها تتصور نفسها حماة الدكتور هاشم ..

وتتصور نفسها وهى تباهى به كل صديقاتها .. تتصور نفسها

فى قصر كبير بيته من طموحها الساذج ، وأطعمها الرخيصة ..

وعادت تقول لى فجأة كأنها استيقظت من أحلامها :

— والنبي يا بنتى أنا مش مصدقه ده كله .. الدكتور هاشم

حته واحده !!

قلت وأنا ابتسم لسذاجتها وأتعالى عليها بذكائى :

— تحبى أكله فى التليفون قدامك .

قالت وهى تمصص شفيتها ، وتركن رأسها على كتفها :

— أتكلنى يا بنتى .. ورينى عميلك .

وقفزت من جانبها فى نشاط مرح ، كائى على وشك أن أقوم أمامها باستعراض راقص ، أبرز به مواهبى .. وخرجت الى الصالة ، وعدت حاملة التليفون ، وخالتى سعيدة تصيح ورائى :

— اتفقتم على ايه ؟

قلت :

— ادى احنا بنتكلم ..

ثم أغلقت الباب ورائى ، وجلست بجانب أمى ، وأدريت قرص التليفون ، وهى تنظر الى فى ترقب ، والفضول يشد عينيه .. وكانت الساعة تد بلغت الحادية عشرة والنصف .. وهاشم فى عيادته . وما كاد يسمع صوتى حتى قال :

— عملتى ايه يا أمينه .. ايه اخبارك ؟ ..

واذن أمى بجانب أذنى فوق السماعه !

وقلت :

— العيله كلها مقلوبه على .. انها اطمين يا هاشم .. كل

حاجه حاتمشى زى ما احنا عايزين ..

وسكت هاشم قليلا كأنه لم يفهم ما أقصده .. ثم قال :

— بس خليكى عاقله .. ما تتجنننشى .

قلت :

— اطمين .. أنا عارقه أنا بياعمل ايه .. ما تشغلش بالك ،

خلى كل عتلك للعيانين بتوعك .. وسيب كل حاجه على ..

وسكت هاشم مرة ثانية .. كأن هناك شيئا يريد أن يفهمه .. ثم قال فى صوت متردد :

— ابقى طمئنى ..

قلت فى رقة :

— حاضر ..

ووضعت سماعة التليفون ، والتفت الى أمى .. وعيناها واسعتان بهورتان .. وعلى شفيتها ابتسامتها الكبيرة تهنتى بها على عبقرىتى .. ثم قالت كأنها قررت أن تبدأ العمل فوراً ، — المهم دلوقتى نخلص من الراجل عبد السلام ده .. الحقيقه يا بنتى انتى معفورة فيه .. ده راجل ما ينطقش ..

ثم قامت وخرجت من الغرفة ، وأنا وراءها ، وقالت وهى تسير نحو اختها فى خطوات قوية حاسمة :

— ما فيش فايده يا سعيديه .. ألينت لازم تتطلق ..

وهكذا انتقدت أمى لى .. تنازلت عن مبادئها واستسلمت لظهورها وأطاعها .. ولم تكن تدري عندما انتقدت الى انى سأجرها معى الى طريق الوحل .. طريق العذاب ..

ومالت رأس أمى على رأس خالتى ، ووضعتا خطة العمل .. اتفقنا على أن يتصلا بعبد السلام فى السويس ويقولوا له انى كتبت عند خالتى طول الليل .. وأن خالتى لم تكن تدري لأنها كانت عند أمى .. ثم تطلبان منه أن يأتى حالا الى القاهرة ..

وصدق المسكين الملهوف كل شيء ..

وعدت مع أمى الى بيتها ..

وعادت تسألنى ونحن فى الطريق :

— مش حاتقولى كنتى فمين امبارح ؟

قلت وأنا أبتسم :

— لا .. لما اطلق الأول ...

وسكنت امى ..

والواقع أن من أسباب اصرارى على عدم ذكر المكان الذى كنت فيه ، أن خيالى لم يكن قد أسعفنى حتى اليوم بكذبة معقولة أقولها .. ولم أكن أستطيع أن أقول لأمى الحقيقة .. ووصلنا البيت ..

ونمت بمجرد وصولى .. نمت نوما هادئا مريحا ، كائى وصلت الى شاطئ الأمان بعد رحلة طويلة .. وجلست امى مع زوجها ، وأخذت تحاول اقناعه بأن يوافق على طلاقى من زوجى .. قالت له كل الأسباب التى تبرر الطلاق .. نصنفها أسباب اختلفتها ونسجتها من خيالى .. وضعف الرجل الطيب .. ولكنه ظل مترددا .. وظل يبحث عن باب يصون لى زواجى ...

واستيقظت من النوم ، وزوجى عبد السلام فى البيت .. ولكنى رفضت أن أقابله .. ولا حتى أن أراه من بعيد .. واقنعته امى بالأصر على لقائى ، رحمة بالجنين .. حتى لا أثور فيتأثر بثورتى .. وأخذت تقنعه بالطلاق .. وزوجها ينضم اليها حيناً ، وينضم الى عبد السلام حيناً .. وامى تأتى الى حجرى وتجلس معى لتنتقل الى ما يدور من حديث .. ثم نتحدث قليلا عن هاشم .. ونضحك .. ثم تضع على وجهها ملامح الجد ، وتخرج الى عبد السلام وتنقل له عن لسانى كلاماً ، نصفه لم أقله ..

وبقى عبد السلام فى القاهرة ثلاثة أيام .. يأتى الى البيت فى الصباح .. ثم يخرج ليتناول طعام الغداء فى الخارج .. ثم يعود فى المساء ويبقى الى منتصف الليل ، ثم يذهب لينام فى الفندق .. وخالائى الخمس مقيمت عندنا ، تقريبا ، وقد اقتنعن

بما اقتنعت به امى ، رغم أن أمى لم تطلعهن على حكايتى مع هاشم .. والكلام لا ينتهى .. والبيت هيصه .. هيصه كبيرة .. كأن فى البيت فرحا .. لا طلاقا ..

وفى اليوم الثالث فوجئت بعد السلام يفتح باب غرفتى بلا استئذان ، وقد اكتسى وجهه بالغضب .. غضب عنيف .. ودهشت عندهما رأيته .. لقد نقص وزنه .. وحدد الغضب ملامح وجهه ، فبدأ كأنه أصغر سناً ، وأقوى شخصية .. بل بدا أكثر وسامة .. ونظرت اليه والدهشة تملأ عينى .. كائى أنظر الى شخص غريب .. ليس زوجى عبد السلام .. بل خيل الى ساعتها أن بنطلونه ليس مهدلاً كما كنت أتصور .. وافقت من المفاجأة بسرعة ..

واقترب منى والغضب ينطلق من عينيه .. وامى تجرى وراءه .. والتفت اليها وقال فى صوت قوى لم أسمعه منه من قبل :

— سيينا لوحدنا من فضلك يا فوزيه هانم ..

وترددت امى .. نظرت اليه .. ثم نظرت الى .. ثم انسحبت من الغرفة ، وهى تقول :

— ما تفرغيش نفسك يا بنتى .. برضه لازم تتكلموا مع بعض ..

ثم ابتسمت لى من وراء ظهره ، وخرجت ..

واقترب عبد السلام من السرير الذى أجلس عليه ، والغضب يحيط به .. وأنا أنظر اليه وأتعجب لهذه القوة التى تفوح منه .. والتى لم أشعر بها أبداً .. بل أئى أشعر كائى أخاف .. ولم أكن أبداً أخافه .. وقال بهذا الصوت الثابت الجديد على أذنى :  
— انتى عايزه ايه ؟

قلت وأنا أنكمش في زاوية السرير :

— أنت عارف ..

قال :

— عارف أنك عايزه تطلقى .. أما لغاية دلوقتى مش عارف

ليه ..

قلت وأنا ازداد انكاشا ، وعيناي معلقان بوجهه الغاضب :

— علشان ما بحبكش ..

قال :

— وكنتى اتجوزتى ليه ؟

قلت :

— كنت فاكرك انى حاقدر احبك .

قال :

— لسه ما فاتش علينا وقت كفايه علشان تقدرى تعرفى

اذا كنتى تقدرى تحبينى والا لا ..

قلت وقد بدأت أحرر قليلا من الخوف .

— ما فيش فايده .. مش حاقدر احبك ..

وقال وانفاسه تنطلق كهحيح النار ، وعينه ازدادان غضبا :

— والعيل اللى في بطنك ..

قلت :

— مش عايزاه .. عمرى ما كنت عايزاه .. ابقى خده من

يوم ما يتولد ..

قال :

— بس أنا ما لتجوزتش علشان اطلق بعد سبع شهور ..

واذا كنت حا اخلف منك .. يبقى لازم تقعدى علشان تربى لى

الولد ولا البنت اللى حاجبييه ..

وصرخت بأعلى صوتى :

— انشا الله يارب ينزل ميت .. أنا مش طايك .. مش

طايك .. اسبح يا عبد السلام .. اذا ما كنتش حاتطلقنى أنا

حا اخونك .. فاهم يعنى ايه اخونك .. حالروح اعرف واحد

تانى ..

وقبل أن أدري ، رفع عبد السلام كفه وصنعنى صفة اشعلت

البار فى وجهى كله ..

وصرخت :

— ماما .. ماما .. الحقيقى يا ماما ..

وقال عبد السلام وهو واقف ثابتا منتصبا أمامى :

— أنا حاطلك .. مش ملشان انتى عايزه الطلاق .. انما

الآنك ما تنفعيش زوجة .. ما تنفعيش أم .. انتى ما تربيش ..

ما عندكش مبادئ .. انتى انسانه منحلة .. أنا حا اطلقك لأنى

غلطت يوم ما اتجوزتك ..

ودخلت أمى .. وصرخت فيها :

— ضربنى يا ماما .. ضربنى ..

وقالت أمى وهى تخبط على صدرها :

— هى حصلت الضرب يا عبد السلام يا أبنى .. ده أنا

بنتى عمرها ما حد ضربها ولا حظ ايده عليها ..

وصرخ عبد السلام دون أن يلتفت الى أمى ، وعينه

الغاضبتان تخفقان عنقى :

— روى انتى طالق .. طالق .. طالق ..

ثم انفع خارجا من الغرفة .. وعيناي متشبثتان به ، كأنى

كنت فى لحظة تمنى أن يعود الى .. أتمنى ألا تنتهى حكايته معه

بهذه السرعة .. أن يترك لى فرصة أخرى ..

وصاحت أمى وراءه :

— طيب استنى يا عبد السلام أما نفاهم ..  
ولكنه خرج ..

وسمعت صوت الباب الخارجى يصفق وراءه فى عنف ..  
وارتميت على ظهري أبكى ..

بكيت بحرقة .. بكل أعصابى .. لم أبك فى حياتى قدر  
ما بكيت هذا اليوم ..

وبطنى منفوخ بهتز مع بكائى ، كان الجنين يبكى معى .  
وفى سدرى بركان من الأحاسيس .. أحاسيس متضاربة  
.. قاتمة .. حادة .. تنهش فى لحمى وأعصابى .. وآثار  
صفعة عبد السلام لا تزال تحرق وجهى .. لقد أحسست بصفعته  
كما لم أحس أبدا بصفعات هاشم الكثيرة .. صفعته مزقت  
كرامتى .. أذلتنى .. ربما لأنها صفقة غضب .. وصفعات  
هاشم صفعات حب واشتهاء .. ولكن رغم ذلك أحسست كأن  
صفعة عب السلام قد كشفت لى عن حقيقة كنت أجهلها فيه ..  
اكتشفت أنه رجل .. قوى .. وشعرت بموجة عنيفة من الندم  
.. الندم لأنه طلقنى .. يا ربى .. لماذا لم يصغنى من قبل ..  
لماذا لم يضربنى .. ويضربنى .. الى أن أتيق من جنونى ..  
لماذا دللنى الى هذا الحد .. لماذا سكنت على .. لماذا تركنى  
لهاشم ..

وتذكرت هاشم ..

كانى كنت نسيت فى هذه اللحظات ..

والتفت الى أمى وهى واقفة بجانبى تحاول أن تسكت بكائى .  
وصرخت فيها بعصبية :  
— هاتى التليفون ..

وثالثت أمى فى أمى :

— حاتكلمى مين دلوقتى بس ؟  
قلت صارخة :

— مالكيش دعوه .. هاتى التليفون .

وخرجت صامئة وعادت بالتليفون .. وأدريت رقم تليفون  
هاشم ، وصرخت فيه من خلال دموعى :  
— عاجبك كده .. ادينى اطلقت .. أفضل باه وتمعالى  
انجوزنى ..

وسكت برهة ..

برهة طويلة ..

ثم قال فى صوت صارم :

— بعدين بقى نتكلم ..

ولم أحمله ..

تخفت بسماعة التليفون فوق الفراش .. وأخفتها أمى  
وأعادتها الى مكانها فى هدوء .. وقالت لى فى فضول :  
— فالك ايه ؟

قلت وأنا أعود وأبكى بكل دموعى :

— ما قالش حاجه .. سيبينى يا ماما .. وحياتى عندك  
تسيبينى لوحدى ..

وتركتنى أمى ..

وعدت أبكى وحدى فى غرفتى ..

والبيت صامت حزين ..

وخالاتى الخمس قد انصرفن ، كأنهن انتبهن من تشجيع  
الجنارة .. جنازتى !  
ونمت ..

لا .. لم أتم ..

أغمى على ..

وفى اليوم التالى صحوت وأنا أفكر فى لقاء هاشم .. وأحس  
وأنا أفكر فيه أنى أصبحت أكثر ضعفا أمامه مما كنت .. كأنى  
فقدت سدى ..

وقلت فى التليفون .. وصوتى حزين ضعيف :

— أقدر أشوفك النهارده ..

قال كأنه لا يدري بمصيرى :

— مش حاقدر وحياتك يا أمينه .. عندي كونسلتو الساعه  
أربعه .. ومش حاقدر اعتذر .. اتصلى بى بكره ..  
وأحسست بقلبي ينشق ..

هل بدأ يهرب منى ؟

لا أدري ..

ولا أريد أن أدري .. لا أريد أن أفكر ..

وقلت فى يأس واستخفاء :

— حاضر ..

واليوم يسير حزينا راكدا .. لا يحكمه شيء .. ولا حتى  
أحاديث أمى الطويلة التى تحاول أن تخفف بها عنى .. أنها هى  
الأخرى حزينة ، نادمة .. فكيف تخفف عنى الحزن والندم ..

وفى اليوم التالى ، رفض هاشم أن يقابلنى أيضا ، وقال  
بصوت وضع فيه كل صدقه :

— وحياتك .. وحياتك .. مشغول .. أنها بكره : لو النبى  
نزل لى مش ممكن ما يخلنيش أشوفك ..

وصدقته ..

اضطرت أن أصدقته ..

وقابلنى ..

وقلت لأمى أنى ذاهبة للقائه .. فى السيارة .. وقالت أمى

فى جزع :

— حاسبى يا ميتو .. انتى دلوقت فى العدة .. وعبد السلام  
يقدر يعمل فيكى اللى هو عايزه .. كأنه لسه متجوزك ..

وأبتسمت ..

أعجبتنى كلمة « العدة » .

لم تكن قد خطرت على بالى من قبل .. وفرحت بها ، كأنى  
اشتريت ثوبا جديدا أتخايل به .. وقد ظلمت الوك كلمة « العدة »  
بعد ذلك فى كل مناسبة .. كأنى أطرقع بقطعة لادن فى فمى ..  
وكان هاشم فى انتظارى ..

حرص على أن يذهب قبلى ، ليرضينى ويظهر لى أنه على  
اهتمامه بى ..

وجلس بجانبى يستمع منى الى تفاصيل ما مر بى ، ثم اكتفى  
وجهه بالجد ، وقال وهو ينظر بين يديه :

— اسمعى يا أمينة .. أنا عايز ألكمك بصراحة .. و ..  
وقاطعته قائلة وأنا أدير وجهى عنه :

— عارفه انت حاتقول ايه .. ومش عايزه اسمع ..

والتفت الى وعلى شفطيه ابتسامة ميتة وقال فى تساؤل :

— حاتقول ايه ؟

قلت وأنا لا أنظر اليه :

— حاتقول ان مش يعنى أنى اطلقت .. انك حاتجوزنى  
.. أنا قلت لك ميت مره أنى ما اطلقتش علشان أتجوزك ..  
قال :

— أنا مش عايز أضحك عليكى .. مش عايز أخدعك .. و ..

قلت :

— عارفه .. وأرجوك تسكت ..

ولكن ..

هل ففتت الأمل فى أن أتزوجه .. أبدا .. لقد جرنى هذا الأمل الى آخر الطريق .. ولكنى كنت أيامها أضعف من أن أفصح عن أملى وأدافع عنه .. وتبينت انى كنت أرهب هاشم .. كنت اعتقد انى أحترمه لأنه صريح ، ولا يكذب .. ولكنى فى الحقيقة كنت أرهبه .. أرهبه لوقاحتها التى تصل الى حد أنه يستغنى بالوقاحة عن الكذب ..

وبعد خمسة عشر يوما أرسل لى عبد السلام ورقة الطلاق ..  
فلتقى بلا شروط ..

حتى مؤخر الصداق ، وكان خمسمائة جنيه ، دفعة بمجرد أن ذكرته به أمى .. كأنه يبيعنى بأى ثمن ..

فلتقت ..

وأنا فى التاسعة عشرة من عمري .. حامل فى الشهر السابع ..

والخوف والرغبة يملآن قلبى ..

وأصبحت حرة ..

لا يقبضنى شئ إلا هذا الحمل الثقيل الذى حمله فى بطنى .. واحتريت فى الشهور الأولى ماذا أفعل بحريتى .. كنت ألتقى بهاشم كل يومين أو ثلاثة .. لقاء ساعة أو ساعتين .. وكنت أقضى الوقت فى حديث لا ينتهى مع أمى عن الطلاق ، وعن زواجى من هاشم ، والأمل الكبير الذى تبنيه على كذبتى عليها .. وكنت أحمل بطنى وأخرج لأمشى فى شارع البارون ، أنا وأخوتى ، استعدادا للولادة .. و .. والإيام تمر بطيئة

١٦٤

مملة .. وكنت أعلى هذا الملل بأنى حامل .. أو بأنى فى شهور العدة .. ولا أستطيع أن أنطلق خوفا من أن يكون زوجى — السابق — يراقبنى ، رغم انى كنت أعلم أنه لا يراقبنى وأنه لم يأت الى القاهرة منذ طلقنى ..

ولكن ..

أنه ليس الملل ..

شئ آخر ..

أنه الخوف ..

خوف أحاول أن أتجاهله .. وكلما اقترب يوم الوضع اقترب منى الخوف .. ويقترب الخوف أكثر .. أكثر .. حتى أصبح هلعاً .. هلع من أن أتحمّل وحدى مسؤولية الطفل الذى سأضعه .. بلا زوج بجانبى .. كنت أحس كأنى سأضع طفلا يتيما .. وبدأت أحس بالحياة الطويلة تمتد أمام هذا الطفل ويعيش فيها وحده .. بلا أب .. أبوه بعيد عنه .. كأنه ميت .. بل ، من يدري .. ربما لن يعرف أباه ..

وبدا أطمئنانى الى انى حملت من عبد السلام ، يهتز .. يهتز بعنف .. انى لست واثقة اليوم من أنه ابن عبد السلام .. وفى صدرى أمنية خبيثة بأن يكون ابنا لهاشم .. ان هاشم ، على الأقل ، بجانبى .. يستطيع أن يحمل معى مسؤولية هذا الطفل ، حتى لو لم يكن زوجى .. ولكن عبد السلام ذهب ..

وصحا ضهيرى صحوة مفاجئة ..

انى أتعذب ..

يعصرنى عذاب الضمير .. ويصل بى العذاب الى حد أن انتهى أن أعود لعبد السلام .. بل انى اتصلت به بالهاتفون .. وحاولت أن أكون رقيقة معه .. وحدثته عن قرب يوم الوضع

لعلى أثير حناته .. ولكنه كان جافاً معى .. وإياسنى من عودتى  
اليه ..

واستسلمت ..

للخوف ..

للعذاب ..

والجأ الى هاشم .. انه كما هو .. لا شئ يجد عنيه ..  
ويقودنى فى لحظات الى فراشه ، رغم أنه يعلم أنه لم يبق  
الا أيام ، لأرقد على فراش الوضع .. و ..

وانتقلت الى المستشفى ..

انى الد ..

وأحشائى تتمزق .. كأن الجنين يحمل سكيناً يشق به طريقاً  
لنفسه الى الحياة .. وأصرخ .. واضغط بكل أنفاسى لأطرد  
هذا الكائن من جسدى .. وأطلق عليه كل قواى .. وأتالم ..  
يا ربى .. أرحمنى .. وخيل الى أن هذا الألم ليس طبيعياً ..  
لأجد أن الله يعاقبنى .. يصب نقمته على ..

ولكن الألم لم يشل عقلى .. فى أشد لحظات الألم لا يزال  
عقلى يفكر .. ويتساءل .. ويتلف على التعرف على الجنين ..  
والتعرف على أبيه ..

وفتحت عيني ..

وحملته الى الممرضة ..

هذا الشئ الذى عذبنى ..

بنت ..

ونظرت فى وجهها بعينين ملهوفتين ..

ومن النظرة الاولى عرفت ..

انه عبد السلام ..

زوجى ..

هل نرحت ؟ ..

— لا ..

اغتظت ..

وعدت أبحث فى وجهها .. كلها عبد السلام .. لونه ..  
أنفه .. شفتاه .. بل خيل الى أنى لو فتحت فمها ، سأجد فيه  
سنة عبد السلام الذهبية ..

وعدت أبحث فى أصابع يدها .. فى قدميها ..

لا شئ من هاشم ..

ولا منى ..

وحمدت الله ، دون أن أفرح بحمده ، ورفعت عيني فرأيت  
أمامى عبد السلام ، وقد جاء ليحضر ولادتى ، وقال لى وهو  
يحمل طفلته بين ذراعيه .. ولهجته جادة كأنه يهددنى ، رغم  
ابتسامته :

— أنتى خلاص بقينى أم يا ميتو ..

والبنت لازم تتربى كويس .. ومش ممكن تتربى كويس  
الا لو كانت أمها كويسة ..

وابتسمت له ، كأنى أقول له .. يا سم ..

ولكنه كان لطيفاً ..

حمل الى باقة من الورد .. ودفع أجر الطبيب ، ومصاريف  
المستشفى ..

وامى وخالاتى الخمس يحطن بى ..

وباقات الورد ..

وكنت متعبة .. عدت ونمت ..



وصحوت فى اليوم التالى ، وشعورى بانى بلا رجل يقف بجانبى فى هذه المناسبة ، يعذبنى ..  
واتصلت بهاشم فى التليفون ، وقال منطلقا .. لا شيء يقلقه :

— بنت ولا ولد ..

قلت فى ياس :

— بنت ..

قال فى مرح :

— حلوه زى أمها ؟

قلت :

— مش حاتيجى تشوفها ..

وتردد هاشم فى ان يعدنى بزيارته .. ولكنى أقنعت به بان يأتى لزيارتى فى الساعة العاشرة مساء ، وضمنت له الا يكون أحد معى .. وقبل محرجا .. كانه يجاملنى مجاملة كبيرة ..

واذعيت النوم منذ الساعة الثامنة ..

وذهب الجميع حتى أمى ..

وجاء هاشم فى العاشرة ..

وأثار دخوله فى المستشفى همس الممرضات .. خرجن ليرينه .. وهو يقترب منى متخذا هيئة الجادة التى يتأبل بها مرضاه .. وبعد أن خرجت الممرضة التى أوصلته حتى غرفتى .. استراح من هيئة الجادة .. وانحنى يقبلنى فوق خدى .. نظر الى ابنتى فى السرير الصغير الموضوع فى جانب من الغرفة .. نظرة واحدة .. كانه لا تهمة فى شيء .. وقال فى مرح :

— انتى أحلى ..

ثم التفت الى قائلا :

— سميتها ايه ؟ ..

قلت :

— لسه .. ايه رأيك ؟

قال :

— سميا على اسم مامتك ..

قلت :

— لا .. ذنبا ايه .. ده اسم ماما بلدى ..

كنت أنانية الى حد أن أرفض إطلاق اسم أمى على ابنتى ..

وقال هاشم :

— سميا .. هدى .. على اسم بنت أختى ..

قلت :

— حاضر .. خلاص .. هدى ..

وعاد هاشم ونظر الى هدى نظرة أطول من الأولى .. كانه يبحث فيها عن شيء .. ثم عاد الى بوجه ضاحك .. وقال وهو يجلس على المقعد الموضوع بجانب سريرى ، ويميل على بوجهه حتى تلامس شفتاه شفتى :

— أنا كان لازم أجيب لك هدية .. انما انتى عارفة ان عمري ما اشترت حاجة .. ما عندش وقت أنزل ألف على الدكاكين .. ومن هنا ورايح لازم تعودى نفسك انك تشتري لى الهدايا اللى حاتمها لك ..

ثم أخرج من جيبه خمسين جنيهها ، وضعها فى يدى ..

وحاولت أن أرفض ..

ولكن رفضى لم يكن الا ترددا سريعا ..

ونظرت الى أوراق النقد نظرة سريعة وأنا احس كانه التصقت

بيدى .. احس انى أضعف من أن ألقها من يدى ..

وقلت وصوتى محبوبى

— دول كثير قوى يا هاشم ..

وكانت الخمسين جنبها اكبر مبلغ اضعة فى يدى فعلا ، حتى  
هذا اليوم .. كان زوجى لا يعطينى فى يدى أكثر من عشرة  
جنيهات كمصروف خاص .

وقال هاشم :

— ما فيش حاجة كثيره عليكى .. كل اللى عندي بتاعك .

قلت :

— بس حالقول ايه لما ..

قال وهو يضحك :

— خبيهم لغاية ما تشتري بيهم حاجة ..

والتوت اصابعى على النقود ..

والتوت كل حياتى

وتحررت بعد أن وضعت ابنتى ..

ندمت على طلاقى ، أصبح ياسا .. والياس اراحنى ..

وابنتى لم تشغلنى .. تركتها كلها لأمى .. لم اكن احتاج  
اليها الا لأتخايل بنفسى كام ، أما المضيوف .. أو عندما اضعها  
فى عربتها الصغيرة واذهب بها الى نادى مصر الجديدة ، وادفع  
أمامى العربى وأنا ألتفت حولى فى خيلاء كاتى اتباهى بثوب  
جديد ، أو تسريحة جديدة لشعرى .. لم احس بلهفة الأم ..  
ولا بجزع الأم .. ولا بوقار الأم واحترامها لنفسها .. كل ما كنت  
أحس به هو انانية الأم .. كنت احس بأن هدى ابنتى أنا .. ملكى  
أنا .. ومهما تركتها لأمى ، وحملتها مسؤوليتها فقد كنت أحرص  
بين حين وآخر على أن أشعرها بأن هدى ابنتى أنا .. وكنت  
أفعل معها مشاجرات صغيرة حول أمور تخص ابنتى أنا ..

ربما لأنى كنت لا أزال صغيرة .. أصغر من أن أشعر  
بمسؤوليتى كام .. وكانت ابنتى مجرد عروسة الهو بها ..  
وربما لأن أيامها كان مستقبلى يشغلنى عن مستقبل هدى ..  
وحبى لنفسى يشغلنى عن حبها ..

وانطلقت ..

الى آخر ما استطيعه من انطلاق ..

عدت كاتى فتاة لم تتزوج بعد .. عدت أصغر من سنى ..  
.. انتقى ثيابى كتياب الفتيات .. البس البنطلون وأركب دراجة  
الهو بها فى شوارع مصر الجديدة .. واتخذت صديقتى كلهن  
من البنات .. نذهب الى حفلات السينما الصباحية ، ونأكل  
السندويتش فى محل البابو بشارع سليمان باشا .. ولم أكن  
أسمع كلام أمى وهى تذكرنى بأنى مطلقة ، وأن المطلقات لهن  
وضع خاص فى المجتمع .. كلام فاضى .. أن المطلقة قد تختلف  
عن الزوجة ، ولكنها لا تختلف عن البنت .. فكناهما ليس لها  
زوج .. وما تستطيع المطلقة أن تفعله ، تستطيع البنت أيضا  
أن تفعله ..

كان الشيء الوحيد الذى يحد انطلاقى هو حبى لهاشم ..

كان هاشم هو الرجل الوحيد ..

وهو الشاغل الوحيد ..

أحادثه فى التليفون أكثر من مرة فى الصباح .. وأكثر من  
مرة فى المساء .. وأستأذنه قبل أن أخرج .. وأقول له تصبح  
على خير قبل أن أنام .. وأسمع كلامه .. الوحيد الذى أقول له ،  
حاضر .. حاضر .. حاضر .. وأعيش فى انتظار لقائه .. كل  
يومين أو ثلاثة .. ساعة أو سناعتين

ولكن هاشم لم يتغير

ربما التصقت بحياته أكثر .. ولكنه لم يعطنى شيئا أكثر ، كل ما اعطاه أكثر هو نمرة تليفون شقيقته التى يقيم معها وسمح لى أن أحادثه هناك بعد منتصف الليل ، بعد أن يعود من سهرة مع أصدقائه ، لأقول له .. تصبح على خير .. وفرحت بنمرة تليفون شقيقته .. وفرحت بصوتها عندما ترد فى المرات التى لا يرد فيها هاشم .. بل أنى اتعمد أن اتصل بها وأنا أعلم أن هاشم ليس فى البيت .. فقط لأسمع صوتها .. أو على الأصح لأفهم نفسى فى بيتها .. وكنت أتعهد أن أقول لها اسمى صريحا .. أمينة .. وأضع فى حديثى معها رقة وخفرا ، أكثر مما أضعمه فى حديثى مع هاشم .. ورغم الجفاء الذى كانت ترد به على .. جفاء مغلف بأدب ووقار .. فقد اعتبرت نفسى صديقتها .. بل أنى نى مناسبات كثيرة عندما كانت تأتى سيرة هاشم بين صديقاتى أو صديقات أمى ، كنت ادعى كذبا أنى صديقة أخته .. ومع مرور الأيام ، لم يعد يكفىنى ما أخذته من هاشم .. أريد أن ألقاه كل يوم ، وأريد أن أتحدث إليه وعنه طول اليوم .. ولكنه دائما مشغول .. أنه لا يزال يلقانى كل يومين .. بل أنى اكتشفت أنه يلقانى فى أيام محددة .. السبت .. والاثنين .. والخميس .. دون أن نتفق على أن يكون لقائنا فى أيام محددة .. فإذا حادثته فى تليفون العيادة ، فهو دائما على عجل .. يلقى إلى بهذه الكلمات القصيرة السريعة .. فإذا حادثته فى البيت فهو أيضا على عجل ، يريد أن ينام أو يريد أن يخرج .. ثم اكتشفت أنه يكره أن يطيل فى حديث التليفون ، كان كل من يحدثه فى التليفون مريض من مرضاه يريد أن يعرف حالته بسرعة ، وينتهى ..

ثم أنى لم أكن أستطيع أن أتحدث عنه إلا مع أمى .. وحديثى

عنه مع أمى ثلاثة أرباعه كذب .. لم أكن أستطيع أن أقول لها أين نلتقى .. ولا ماذا نفعل عندما نلتقى .. ولا ماذا نقول .. كنت أولف لها قصصا خيالية عن حب برئ ساذج ، ومستقبل سعيد باسم ..

ثم ..

لم أعد أستطيع أن احتفظ بسرى فى صدرى .. ولا بينى وبين أمى ..

قررت أن أمشى سرى ..

همست به إلى أقرب صديقاتى .. ثم إلى صديقة أخرى .. وثالثة .. ورابعة .. ولكن لا يصدقننى .. كأن هاشم شيء كبير ، لا أستطيع أن أصل إليه .. فكنت أحادثه أمامهن فى التليفون .. حتى يصدقننى ..

ولم أكن أدري عندما سأفشى سرى ، سأكتشف جانباً من حياة هاشم كان غائبا عنى .. سأكتشف أنى لست وحدى فى حياته ..

إن كل واحدة من صديقاتى حملت إلى قصة من قصصه .. مغامرة من مغامراته .. وأحدة تقسم أنه على علاقة بسيدة متزوجة .. وثانية تقسم أنه على علاقة بطالبة فى الجامعة .. وثالثة تقسم أنه يحب فتاة من نادى الجزيرة .. و .. و .. وكنت لا أصدق ..

إن رجلا مثل هاشم لابد أن تحيط به الإشاعات .. أنه إذا صافح فتاة وابتنس لها ، فلا بد أن يطلق الناس وراءه حكاية .. ولكن ..

لماذا لا أصدق ؟

أن السهولة التي تعرفت بها إليه ، والبساطة التي أخذني  
بها ، توحى بأنه رجل مغامرات ..  
وبدأت أغار ..

كان عشرات الصراير تزحف داخل قلبي ، وخلفة من النحل  
تطن في رأسي ..

وكنت أقول لهائشم ما اسمعه عنه ، فكان يضحك ضحكة  
كبيرة ، ويقول :

— ما تصدقيش .. أنتي عايزه واحد زي عايش لغاية دلوقت  
من غير جواز والناس ما تتكلمش عليه .. لو كان كلام الناس  
صحيح كان زمانى مع نص ستات البلد ..

قلت وأنا لا أصدقته :

— طيب ما تتجوز علشان الناس تبطل كلام ..

وسحب ضحكته ، ونظر الى نظرة جادة حزينة ، وقال في  
صوت جاف :

— لو كنت عايز اتجوز كنت اتجوزت ..

قلت كائى اتحداه :

— ومش عايز ليه ؟ ..

ولم يرد على .. قام من جانبي .. والتقط كتابا من كتبه  
الطبية أخذ يقرأ فيه ، كعادته عندما يكون غاضبا منى .

وفضات أن أسكت ..

لم اتكلم ..

والغبرة تقرص قلبي ، وتلف براسي ...

وقد نعدت يومها ، قبل أن أخرج من شقة هاشم ، أن أضع  
منفضة السجائر في مكان معين ، حتى إذا عدت مرة ثانية

ووجدت مكانها قد تغير ، عرفت أنه كان في الشقة .. وما دام  
كان في الشقة ، فلا بد أنه كان مع امرأة ...

وعدت ..

ووجدت منفضة السجائر قد تغير مكانها .

وقلت له وأنا أضغط على أعصابى حتى لا انفجر .

— انت كنت هنا يا هاشم ؟

ورد بسرعة :

— لا ..

قلت :

— ما جيتش هنا أبدا ، من يوم ما كنا مع بعض ..

قال في هدوء :

— أبدا ..

قلت في حدة :

— انت كذاب ..

ورفع حاجبيه في دهشة ، كأنه يتعجب لجراتى عليه ..

وسكت .. وعدت أصرخ :

— أنا متأكدة أنك كنت هنا ..

وقال في برود :

— اتأكدتى ازاي ؟ ..

قلت :

— مش حاقول لك .. إنما أنا متأكدة ..

قال :

— ما دام مش حاقولى اتأكدتى ازاي يبقى ما تسألنيش ..

قلت في تحد :

— طقطوقة السجائر أنا حاطاها بايدي هنا .. تسمح تقول  
الى ايه اللي نقلها من مكانها .. نطت لوحدها ؟ ! ..  
وابتسم ابتسامة كبيرة ، ثم اقترب مني واخذني بين ذراعيه ،  
وقال :

— انتى مبطله :

قلت وأنا انظر اليه والغضب يملأ عيني الواسعتين :  
— مبطله ليه ؟ ..

قال ضاحكا :

— انتى نسيتى ان عم محمود البواب بيطلع ينضف الشقة  
كل يوم .. وضرورى لقي الطقطوقة مش فى مكانها .. رجعها  
لمكانها .. ثم أنا قلت لك انى ساعات باجى هنا علشان أستريح  
... بس من يوم ما كنا مع بعض ما جيتش ..  
قلت :

— وطبعاً بتيجى لوحدهك ..

قال وهو يلتقط شفتى بشفتيه :

— ألا .. ساعات باجى معاكى ...

ولم أصل الى شيء ..

ولم أسترح ..

أصبحت أذهب الى الشقة كانى كلبه من كلاب الصيد .. اشم  
الوسائد لعلى أجد فيها رائحة امرأة أخرى .. وأبحث عن اعقاب  
السجائر لعلى أجد عقبا يحمل آثار شفاه .. وادخل المطبخ  
لعلى أجد بقايا كأس أو فنجال قهوة .. ثم بدأت أفتح الأدراج  
الكثيرة ، البنى لم يكن يهمنى أن أفتحها .. وافتش .. وافتش ..  
ويتركنى هاشم أفعل كل ذلك دون أن يعترض .. الى أن وجدت  
أخيراً شيئاً ..

وجدت صورة امرأة .. فى مثل سنى ..  
تحمل طفلة فى مثل سن ابنتى .. وبخلقت فيها هلمى يقفز  
الى حلقى ، وقلت فى صوت مرتعش :  
— مين دى يا هاشم ؟

وجاء ووقف وراء ظهري ثم قال بلا مبالاة :  
— دى واحدة كنت أعرفها قبل ما أعرفك ..  
واخذت أبخلق فى الصورة ..

أنا أجمل منها ..

الف مرة ..

وابنتى أجمل من ابنتها ..

الف مرة ...

وعدت أقول لهاشم :

— وما قتلش عليها ليه ؟

قال وهو يتعد عنى :

— أنتى عارقه انى ما احبش أتكم عن حد من اللى عرفتهم ..

وبقيت أبخلق فى الصورة ..

وفى هدوء أخرجت من حقيبتى قلم الكحل ، وبدأت أرسم  
فوق وجه المرأة شنباً ، وفقنا .. ثم لغمطت وجه ابنتها بالسواد  
.. ثم التيب بها فى الدرج ..  
ولم أهدأ ..

الغيرة على هاشم تسبق بى .. والقصاص التى ترويهما  
البنات عنه لا تنتهى .. وأجن عندما انصل به فى التلفزيون فلا أجد  
فى العيادة ، او فى البيت .. لا بد أنه مع امرأة أخرى .  
وفى يوم كنت فى شارع سليمان باشا أشتري بعض  
ما احتاج اليه ، ومررت من أمام العيادة .. وفجأة خيل الى أن

هاشم الآن مع امرأة .. من يدري .. ربما لم تكن الفيرة وحدها هي التي شغرت بها ساعاتها .. وإنما أحسست كان من حقى أن أفرض عليه أكثر من حقوق أى امرأة أخرى .. وأيضاً كنت فى شوق إليه .. فى شوق لأن التقى بأنفه الكبير ولو فى نظرة واحدة ..

ودون أن أفكر صعدت الى العيادة ، واستقبلنى التومرجى الملهذب ، وأشار لى بيده الى غرفة انتظار السيدات ، فقلت له بحزم :

— أنا مش عيانه .. أنا قريبة الدكتور .. وعائزه اشوفه دقيقه واحده .. مسئاله مهمه .. قول له امينه ..

وقال التومرجى فى ادب وهو ينظر الى كانه لا يصدقنى :

— اتفضلى انتظرى لغاية ما اديله خبر ..

قلت بحزم أكثر :

— لا .. خشن له دلوقتى .. هو عارف ..

وعاد التومرجى ينظر الى كانه لا يصدقنى ، ثم دخل الى غرفة هاشم ، وعاد بعد لحظات يقول لى دون أن يفقد ادبه :

— الدكتور بيرجو سيادتك انك تنتظرى لما ييجى دورك ..

وأحسست بدمائى ترتفع الى رأسى ، ونار تطفح وجهى ، وقلت وأنا ابتلع الالهانة :

— معلش .. حابى اتصل بيه فى التليفون ..

وخرجت ، وأنا أحس بقطرات العرق تبلل ثيابى .. وأتساءل .. ترى لو كنت زوجة ، هل كان يرفض مقابلتى .. وتجسم فى خيالى ساعاتها وضى بالنسبة لهاشم .. أحسست كأنى شىء يتسلل اليه فى الظلام .. وسأبقى دائماً فى الظلام .. أحسست كأنى لا أستطيع أن أصل اليه الا من الباب الخلفى .. وسأبقى

دائماً أصل من الباب الخلفى .. وتمردت .. وتمردت على هذا الوضع .. وأحسست كأنى أحاول أن أنقذ نفسى .. بل وانتقم من هاشم الذى يرفض لى بهذا الوضع .. ولكن تمردى لم يستمر سوى لحظات ..

وعدت واتصلت به فى التليفون .. وسمعته يصرخ ، بمجرد أن سمع صوتى ، وقبل أن أتكلم :

— ازأى تسبحى لنفسك تيجى العيادة .. انتى اتجننتى ..

وقلت وأنا أحاول أن أرفع صوتى على صوته :

— ازأى ما تقابلينشى ..

قال صارخاً :

— انتى عارفه كويس أنى مش ممكن أقابلك فى العيادة

الا لو كنتى عيانه .. ويوم ما حانعى لازم تستنى دورك ..

قلت وأنا أراجع :

— ده أنا كنت عايزاك دقيقه واحده ..

قال وهو لا يزال يصرخ :

— ولا تص دقيقه .. لو أمى قامت من قبرها مش ممكن

أقابلها فى العيادة .. فاهيه .. العيادة دى للعياتين بس ..

ثم ألقى سماعة التليفون فى وجهى ..

وغضب ..

ولم أكن أستطيع أن أحتبل غضبه .. حاولت .. احتملت

يوماً كلاماً لم أحادثه فى التليفون .. ولكنى لم أحتمل يوماً آخر .. ولم أحتمل تصور أن أبقي غاضبة منه ..

واتصلت به فى اليوم التالى ..

ولكنه تدلل ..

مضى أسبوع وهو يتدلل .. لا يزال غاضباً ..

وبكيت له فى التليفون ..

وعاد الى لقائى ..

وعادت الأفواه الصغيرة تشرب ..

ولكنى أغار عليه ..

أعصابى تعصرها الغيرة ..

وأحالتنى الغيرة الى امرأة .. نسيت دور الفتاة الذى كنت

أعيش فيه عقب أن ولدت هدى .. انى امرأة .. امرأة تغار ..

بكل ما فى المرأة الغيور من عنف وجنون ..

واكتشفت أن الوسيلة الوحيدة لارتاح من غيرتى هى أن

أملأ كل وقت هاشم .. ألا أترك له دقيقة واحدة تستطيع أن

تعيش فيها امرأة أخرى .. ألا أترك منه نفساً تافزاً على أن

يتمتع به امرأة أخرى ..

وكنت أفعل المستحيل لالتقى بهاشم فى كل وقت يستطيع

أن يلتقانى فيه ..

ولكنى بدأت أصطدم بزواج أمى ..

أنه يحاسبنى ..

أنه يذكرنى فى كل دقيقة بأنى مطلقة ...

وهو يمنعنى من الخروج .. وأحياناً يدخل الى وأنا اتحدث

فى التليفون ، ويشخط فى بلهجته العسكرية :

— كفايه باه .. أنا عايز التليفون ...

وأنى تساعدنى أحياناً .. وفى أغلب الأحيان أحس أنها

تسلطه على حتى يحد من حريتى ..

ولكى أتخلص من زوج أمى ، بدأت أكثر من التردد على أبى ..

وكان أبى أيامها قد طلق زوجته الرابعة ، وتزوج الخامسة ..

امرأة أصغر منه بحوالى عشرين عاماً .. سمراء .. فقيرة ..

كانت تعمل مدرسة فى إحدى المدارس الأهلية .. وأنى تقول

أن أبى لم يتزوجها ، ولكنها كانت تعيش معه منذ عامين ، فى

شقتة الخاصة .. بعد أن طلق زوجته الرابعة ، جاءت لتعيش

معه فى بيته .. بلا زواج ..

ولم أهتم كثيراً بكلام أمى .. ولم أناقش فيه أبى .. أن

حياة أبى لم تعد تصلح لأن يناقشها أحد .. أنه يعيش لمثقتة ..

يشرب كل يوم زجاجة كونيأك ، ويملا كرشه بطعام دسم ، ويتزوج

.. ويتكلم عن الجنس بصراحة ، ويطلق الكلمات الكبيرة ببساطة

ومداعباته كلها — حتى لى — مداعبات جنسية جريئة .. و ..

ويبيع كل عام خمسة أفدنة من أرضه .. ولا عمل له ..

ورغم ذلك فهو انسان طيب .. ضعيف .. ويحبى .. أنا

ابنته الوحيدة .. يحبنى أنى حد أن يحتفظ لى بغرفة فى بيته ،

رغم أنى لم أكن أقيم معه ..

حياته مختلفة تماماً عن الحياة التى تعيشها أمى مع زوجها

.. حياة ليس فيها تقاليد ، ولا روابط ، ولا مبادئ ، ولا كيان ..

ولا طابع العائلة .. ولا أحد يستطيع أن ينقذه من هذه الحياة ..

أنه فى الخمسين من عمره ، ولا أمل فيه .. ولا أمل فى إنقاذ

بقية أرضه التى يبيع فيها ..

ولم أكن أتمنى أن أعيش حياة أبى .. كنت أحبه ، واشفق

عليه .. ولكنى لا أتمنى أن أعيش حياته ..

ولكن ..

هاشم دفعنى الى هذه الحياة ..

ربما دون أن يقصد ..

بل وربما لم يكن يعلم شيئاً عن حياة أبى .. ولكنى اندفعت

الى هذه الحياة من أجله ..

بدأت أتردد على أبي كثيرا ، كحجة اتخلص بها من رقابة زوج أمي .. وأبقى معه ساعة ، أو أتناول معه طعام الغداء ، ثم أخرج إلى لقاء هاشم .. دون أن يسألني أبي إلى أين أذهب .. ودون أن تفكر أمي في أن تطمئن على بالتينون .. فزوجها يحرم عليها أن تتحدث إلى أبي إلا في المناسبات الرسمية .. كيوم زواجي .. ويوم طلاقى ..

ثم بدأت أبيت عند أبي ، بحجة أنه مشتاق إلى ابنتي هدى .. وكنت أحمل ابنتي ونقضي معه ليلة أو ليلتين .. أحاول خلالهما أن أكسب صداقة المرأة التي تعيش معه .. سواء كانت زوجته أو لم تكن .. لم يكن يهمني أن أعرف أي صنف من النساء هي .. لم أبحث في أصلها وفصلها .. كان كل ما يهمني أن أكسبها إلى جانبي ، حتى تساعدني في حيلي ، وتتستر على جنوني ، ولم أكن يابها أعلم أنني كسبت إلى جانبي شعبانا ساما نفتك السم في حياتي كلها .. ثم أصبحت أذهب إلى أبي وحدي .. أترك ابنتي عند أمي .. وأذهب لأنام عنده .. ولكني لم أكن أنام عنده .. كنت مع هاشم ..

وهاشم يأخذ كل هذا ببساطة ..  
نقضي معا ليلة مجنونة ..

ثم يعود في الصباح كما كان .. الدكتور هاشم .. الذي لا يشغل نفسه إلا بمرضاه .. وليس في عقله مكان إلا لمرضاه .. كنت أشعر أنني أستولي على حياته ..

وكنت أشعر في الوقت نفسه ، بأنني أمزق حياتي .. بأنني أجرى في طريق خطر .. وكنت أحاول أن أقاوم .. بدأت أقاوم .. ولكنها كانت مقاومة لحظات ، ثم تذوب ..

كنت قد بدأت أعود عليه ..

على هاشم ..

على هذا الجنون ..

وهو أيضا بدأ يعود على ..

وتعودي يزيدني ضعفا الية ..

ونعوده يجعله يقبل على .. أنه لن يجد فتاة مثلي .. في سني .. وفي جمالي .. ومن عائلة .. ومطلقة .. تعطيه كل هذا ..  
و ..

وأي بدأت تياس من أن أتزوج هاشم .. أنها تسألني كل يوم .. وتلح في سؤالها .. وأنا أصرخ فيها :  
— يا ملها لازم تعرفي إن فيه ظروف تمنع من أنه يتقدم دلوقت ..

وتقول أمي :

— واحنا ذبننا إيه في الظروف دي .. الناس بدأت تتكلم .. ولازم نشوف لنا حل ..

والفت لها قصة .. قلت لها أن هاشم خطبة أبوه قبل أن يموت لابنة عمه ، ولذلك فهو لا يستطيع أن يتزوج الآن .. ولكنه يحاول أن يتخلص من هذه الخطبة .. أنه لا يحب ابنة عمه .. ولا يريد لها .. و .. ويجب أن تنتظر ..

ولكن أمي ضاقت بالانتظار ..

وبدأت تبحث لي من زوج ..

وانطلقت خالاتي الخمس يبحثن معها ..

وعندما تجتمع أمي وخالاتي للبحث عن مريس .. فلا بد

أن يجدنه ..

وأنا ساكتة ..



والواقع أن جزءاً من عقلى كان ينبهنى إلى مستقبلى .. كان  
يحذرنى من حبى لهاشم .. وكنت أتمنى أن ينتصر هذا الجزء  
على .. وأن يملئ على إرادته ..

وجاء العريس ..

مدحت ..

ضابط شاب .. فى الثلاثين من عمره .. وسيم ، قوى  
الشخصية ، تفوح منه رائحة الرجولة الطيبة الهادئة .. رأتى  
من بعيد على شاطئ ميامى .. وجاء يخطبنى ..  
كل الذين خطبوني ، رأونى من بعيد .. لا أحد عرفنى من  
قريب .. وخطبنى ..

أحسست أنى سأحرم من هاشم .. ومن جنونى معه وقلت  
لامى :

— مش عايزه أتجوز دلوقتى .. أنا ما بقاليش سنه مطلقه  
.. ومش عايزه أكرر غلطتى مع عيد السلام .. يعنى يعجبك  
أتجوز وأنا باحب واحد تانى ..

وقالت أمى وعيناها تلمعان بذكائها :

— أنتى مش بتقولى إن الدكتور بيحبك ؟

قلت فى إصرار :

— أيوه ..

ثالثت وذكأها بيتسبم :

— خلاص .. لو كان بيحبك صحيح .. يبقى مش حايسيك  
تخطبنى لواحد تانى .. حايبجى جري ويخطبك ..  
وابتسمت بينى وبين نفسى .. ابتسامة هزيلة حزينة ..  
أن أمى لا تعرف هاشم ..

ورغم ذلك حاولت ..

ذهبت إلى هاشم وأبلغته أنه تقدم لخطبتي أحد الشبان ..

ونظر إلى كأنه يفحصنى ..

ثم أطرق برأسه .. وخط حزين داكن يشق جبينه .. وقال :

— عايزانى أعمل إيه ..

وأحسست ، ناعتها بأننى أنصب عليه .. احتال عليه ..  
وكلى اضطراب .. كأتى نشالة لا تزال تحت التمرين ترتعش  
يدها وهى تضعها فى جيب أول زبون .. وقلت كأتى أبرئ  
نفسى من تهمة النصب :

— بدأ .. عايزاك تسأل عليه ..

ورغم إلى عينيه كأنه يتهمنى بالوقاحة ثم قال فى تهكم :

— حاضر .. حاسل عليه ..

واقتربت منه ، وجلست على ركبتيه وقلت وأنا أقرب شفتى  
من شفتيه :

— أنت زعلت ؟ ..

قال :

— لا .. أبدا ..

وابتعد عن شفتى وقال وهو ينظر إليهما من بعيد :

— شفايفك دول ؟ بكره واحد تانى حايبوسهم ..

والقيت رأسى على كتفه ، وقلت والدموع تطفر من عيني :

— أنت اللي عايز كده ..

قال :

— أنا مش عايز أتجوز .. انتى اللي عايزه تتجوزى ..

قلت :

— غصب عنى ..

قال وهو يتنهد :

— عارف ..

ولم أسأله لماذا لا يتزوجنى ، ما دام يفضبه أن اتزوج غيره ..  
كنت اعرف رأيه مقدما .. أنه لا يخذعنى .. لا يعدنى ..  
يستغنى بوقاحتة وغروره عن الخداع والكذب ..

وقد سأل من تحدث فعلا .. كان له صديق من ضباط  
الجيش سألته عنه ..

وعلم بمحت أن الدكتور هاشم يسأل عنه .. فسأل اهلى ..  
.. فانكر الجميع انهم يعرفون الدكتور هاشم .. وسأل أكثر  
حتى التقطب أذناه الكلام الكثير الذى يتردد عنى وعن هاشم ..  
وتراجع فى خطبتي ..  
ذهب ..

ولا زلت حتى اليوم أحس بالندم والحسرة يشقان صدرى  
كلما تذكرت مدحت .. كان رجلا .. وكان وسيما .. وكان  
طيبا .. أنه خير من ارادنى حتى اليوم .. وارادنى زوجة ..  
وبعد يومين ..  
يومين فقط ..

كنت فى طريقى لزيارة ابى .. وخطر لى أن اذهب اليه عن  
طريق الزمالك .. ثم خطر لى أن أمر من أمام العمارة التى تضم  
شقة هاشم .. لا أدري لماذا .. ربما كان هناك احساس فى  
قلبى يدفعنى الى المرور من امامها .. وكانت الساعة الرابعة ..  
نفس الموعد الذى تعودت أن التقى فيه بهاشم ..  
وأمام باب العمارة ..  
وجدت سيارته ..  
وارنعمشت ..

ماذا يفعل هنا ؟ ..

وسج من ؟ ..

وأوقفت التاكسى .. وترددت .. والنار تلسعنى فى كل  
مكان منى .. فى عيني .. فى شفتي .. فى قلبي .. نار الشك  
.. الغيرة ..

وقفزت من التاكسى .. كائى أهرب من النار ..  
وصعدت ..

وضغطت على الجرس بيد ترتعش .. ودمائى كلها هاربة  
منى .. أحس بقشعريرة تسرى فوق جلدى ..  
ورغع هاشم الباب .. بعد مدة .. مدة طويلة ..  
مرتديا القميص والبنطلون ..

وقال وهو ينظر الى بوجه مكفهر ، ويسد الباب بقامته :  
— ايت الى جايك ؟ ..

قلت وأنا لا أزال ارتعش .. وصوتى يرتعش :  
— اتذر أخش ..

قال وهو لا يزال يسد الباب بقامته :  
— مش معقول يا أمينة اللى بتعمليه ده و ..

وتأطمته وأنا أحس بعينه جاحظتين :  
— من فضلك خلينى أخش ..

ورأى هاشم سحب الجنون الأصفر متجمعة فوق وجهى ،  
وتلفت الى أبواب الشقق المجاورة ، ثم كئنه خاف الفضيحة  
أراح نفسه عن الباب وتركنى أدخل ..  
وتلفت فى الصالة الخارجية ..

ثم جريت الى غرفة النوم .. كائى أجرى الى النار ..  
ورأيته ..

كانت واقفة في ركن الحجرة .. مرتدية ثيابها كلها ..  
صغيرة ليست اصغر مني .. جميلة .. ليست اجمل مني ..  
وترتعش من الخوف ..

وصرخت فيها .. وهاشم ورائي :

— :تعلمي ايه هنا ؟ ..

ولم ترد علي .. لا تزال ترتعش ..

وقال هاشم في هدوء :

— ما تزعقيش .. وكلميني انا ..

ولكني عدت اصرخ في الفتاة وانا انشب عيني في وجهها :

— اتنى مش عارفة انه بيحب واحده .. بيحبني انا ..

وجذبت هاشم من ذراعي جذبة قوية ليبعدني عنها ، قائلا :

— قللك ما تزعقيش ..

وانتهزت الفتاة فرصة ابعادي عنها .. وجرت الى الباب ..

خرجت ..

رالتفت الى هاشم وانا اصرخ :

— انت مجرم .. انت سافل .. عايز ايه اكر من كده ..

اعمل لك ايه اكر من كده ..

وسحابة حمراء تملأ عيني .. واعصابي كلها السعة من

النار ..

واخذت اطوف في الحجرة كالجنونة ، وانا لا زلت اصرخ :

— انت مجرم .. انت سافل ..

سم رنعت انية الزهر ، وحطمتها على الارض ..

ورفع هاشم كفه وصفعني صغمة قوية .. اوتعتني على

الارض .. بجانب الانية المحطمة ..

وتعلقت بساقية وهو واقف منتصب فوق جسدي الملقى تحت  
قدميه ، قلت وانا ابكي كل دموعي :

— ما تعملش في تاني كده يا هاشم .. احلفت انك مش

حاتعمل في كده تاني .. مش عايزاك تعرف واحده غيري ابدا

.. ابدا ..

وسقط بجانبى على الارض ، واخذني بين ذراعيه وقال كلمته

التي يقولها دائما :

— اننى مجنونه ..

ويجثت عن شفتيه ، كائى اريد ان اطمئن انهما لا زالتا لى ..

والقيت نفسي بينهما .. كل أعصابى .. كل تاري ..

وضعنا في لحظة جنون ..

وقلت وانا مسترخية بجانبه ، واعصابى تنهد :

— عيلت كده ليه يا هاشم ..

قال وهو يدخن سيجارته :

— انتى السبب ..

قلت في دهشة :

— انا ! ؟ ..

قال :

— مش معقول اعرف انك بتخطبى ويعد كده عايزانى اتعد

لوحدى .. كنتى عايزانى اعمل ايه .. اتعد اعيضا .. ولا انتحر ..

وسدقته ..

وايتسمت في راحة ..

وتلت انا وابسماقتى :

— ومين دى ؟ ..

قال :

— واحدة ..

قلت :

لازم أعرف مين دى ..

قال وهو يدير وجهه الى الحائط :

— زاحده مافيش بينى وبينها حاجة ..

قلت :

— واللى مافيش بينك وبينها حاجة ، جايه هنا تعمل ايه ؟

قال وهو يزفر أنفاسه فى ضيق :

— كنت متضايق .. وهى كمان كانت متضايقه ..

ثم التفت الى وقال وهو يبتسم :

— خلاص .. انسى كل حاجة ..

قلت :

— بمعنى مش حاتعرف حد تانى ابدأ ..

قال :

— ابدأ ..

قلت وأنا ابتسم له :

— وأنا كمان مش حاتخطب تانى ابدأ ..

وعندما عدت يومها الى البيت بكيت .. بللت الليل كله

بدموعى .. لا ادرى لماذا .. ولكنى كنت احس بانى ضعيفة

.. ضعيفة .. اضعفت مما كنت ..

وحافظت على وعدى ..

رفضت كل الخطاب الذين جاءت بهم امى وخالاتى .. كنت

فى الاول اتهرب بأعذار ملفقة .. ثم بدأت اتحدى .. لا اريد أن

اتزوج ..

واصبر ارى هذا فضح حبى لهاشم .. عرفته خالاتى الخمس

.. وعمرته كل سيدات العائلة .. وكلهن فوق راسى يحقرننى ..

ويؤكدس لى ان هاشم لن يتزوجنى .. ويعرضون فى كل يوم

خطيبا جددیدا .. ويذكرننى بابنتى .. ومستقبلها .... وكلام

الناس عن امها ..

وأنا أجبن ..

والنعياة تضيق بى .. والجميع ضدى .. يخفقون أناسى ..

ويخفقون حريتى ..

أصبحت اكره كل شىء ، الا لحظات لقائى بهاشم ..

كرهت حتى ابنتى .. لم أعد أطيق بكاءها .. ولا أطيق

الاهتمام بها .. وكنت أضربها .. بلا سبب كبير يستحق الضرب

.. كانت ظلومة معى ..

واعسابى تالفة ..

ثم ..

خطر لى خاطر مجنون ..

وجريت الى هاشم وقتلت له وأنا احاول ان افكر فى

هدوء ..

.. اسمع يا هاشم .. انا حاقول اتنا مخطوبين ..

وقال وهو ينظر فى دهشة :

— تقولى لمين ؟ ..

قلت :

— للناس اللى بتجننى .. انت مش عارف بيعملوا فى ايه ،

كل ساعة يجيبولى سيرتك .. وكل ساعة عايزين يجوزونى ..

لو قتلت اتنا مخطوبين ، على الأقل حايطلوا يجيبولى عرسان ..

قال فى برود :

— بس احنا مش مخطوبين ..

قلت :

— سارغة .. عارفة اننا مش مخطوبين .. انما حاقول كده ..

قال كأنه يفحص مريضاً :

— بس ده مش حايميل حاجة .. مش ممكن نقول ان احنا مخطوبين .. واحنا بتقابل بعض فى السر .. واهلك ما يعرفوا يش ، ولا أنا اعرفهم ..

قلت فى اصرار :

— حاقول اننا مخطوبين فى السر ..

قال :

— وبتكرى الناس حاصدق ..

قلت :

— ما يهمنىش الناس تصدق ، انما يهمنى انى اقول كده ، علشان ما حدش يكلمنى ..

قال :

— بس أنا مش موافق .. واللى حايسالنى حاقول له اننا مش مخطوبين ولا حاجة .. واكثر من كده .. أنا باقول اننا ما نعرمش بعض خالص ..

قلت :

— قول للى أنت عايزه .. وأنا اقول للى أنا عايزاه ..

وه زكتفيه بلا مبالاة ، وقال :

— يا ابنه اعطى .. انتى ما تقدريش تعيش فى كذبه .. ولكنك .. هجمت ..

صميت على ان اعيش فى كذبة ..

كذبة كبيرة ..

اعتقدت انى حللت مشكلتى عندما بدات اذيع بين صديقى انى مخطوبة لهاشم فى السر .. وانه ينتظر ان يفسخ خطبته الى ابنة عمه ليعلن خطبتنا .. وانتشرت هذه الكذبة .. وكبرت .. الى حد انى انا نفسى بدات اعيش فيها .. وبدات اواجه الناس بلا خوف .. وبلا خجل .. واعلن علاقتى بهاشم صراحة .. وايدت الكذبة بدلة فضية اشتريتها ووضعتها فى اصبعى .. واترك الناس يعتقد ان الدبلة الفضية هى دبلة من البلاتين .. واترك عاملات الدكاكين فى شارع سليمان باشا وقصر النيل ينظرون الى الدبلة ويقطن وايتسامة خسد كبيرة تملأ شفاههن :

— مبروك .. اتخطبتى ؟ ..

وأرد وأنا أسدل جفونى فوق عينى فى خفر :

— تقريبا ..

ويقطن :

— الدكتور هاشم .. مش كده ؟

واقول وأنا افتعل الدهشة :

— عرغم منين ؟ ..

ويظن :

.. دى البلد كلها عارفة ..

وأبتسم .. واسكت .. وفى قلبى فرحة كبيرة ، كاتى تد خلطت نغلا ..

ولم اكن ادري سر هذه الفرحة الكبيرة .. لم اكن ادري سر هذا الجازم الذى دفعنى الى اختلاق هذه الكذبة .. دفعنى لأن ابنى من خيالى بيتا من القش اعيش فيه ، لا يلبث ان يحترق بعود ثقاب واحد .. ربما لانى اياها كنت احس بالنقص وأنا أعطى نفسى ارجل لا يتزوجنى ولن يتزوجنى ، فاردت أن أعوض هذا

النقص بكذبة .. وربما لأنى كنت أرى فى عيون الناس الذين يعرفون حكايتى مع هاشم ، نظرة تجرحنى ، فأردت أن أملا عيون هؤلاء الناس بالتراب .. وربما لأنى فعلا كنت قد ضقت بمحاولات تزويجى .. والكلمات التى تثير أعصابى .. مثل حانفروح بيكى باه يا ميتو .. و .. ما تشدى حيلك يا ميتو وتجيبنى لنا عريس .. و .. عقبالك يا ميتو .. و .. و .. الكلمات التى تجتنى وتشعرسى بنقصى ، فأردت أن أسكتها بهذه الكذبة .

المهم أن هذه الضجة الكبيرة التى أثيرتها ، لم يصل منها الى هاشم سوى صدى خافت .. فهاشم لا يعيش فى المجتمع الذى يعيش فيه .. لا يذهب الى النادى .. ولا يتردد على دكاكين سليمان باشا وقصر النيل .. ولا يعيش على شاطئ ميامى فى الصيف .. أنه يعيش معظم وقته فى عيادته ، لا يرفع رأسه من فوق مريض الا ليحنيها فوق مريض آخر ... ومرضاه يحقرمونه الى حد أن واحدا منهم لا يجرؤ أن يثير أمامه موضوعا يتعلق بحياته الخاصة .. وأصدقائه لا يسألونه لأنهم يعرفون أنه لن يتزوج .. لا أنا .. ولا غيرى .. وفى المرات القليلة التى وصلت فيها الاشاعة الى أذنيه ، كان يهز كتفيه فى غرور ، ويردد الشعار الذى أطلقه على :

— يـ مجنونه .. ومش أول ولا آخر مجنونه ..

ولكن الاشاعة وصلت الى أذنى اخته وجاء يومها الى لقائى ، وهو غاضب محتقن الوجه وقال لى حدة :

— اسمعى يا أمينة .. انتى لازم تبطللى حكاية اننا مخطوبين دى .. كفايه باه ..

وقلت وأنا أتحداه :

— أنا ما بقولش حاجة .. الناس هى اللى بتقول .. ما فيش حاجة بتستخبنى .. عايزنى أسكت كلام الناس ازاي ؟

قال وهو ينظر الى فى زهق :

— أنا عارف أنك انتى اللى مطلعك الاشاعة دى .. ولازم تكذبيها ..

قلت وأنا أصرخ :

— عايزنى أكذب وأقول ايه .. أقول أنا ماشيه معاك بس .. على الأقل لما الناس تقول اننا مخطوبين أرحم من لما تقول انى الميترس بتاعتك .. عشيقتك ..

قال وهو يتراجع كأنه اشفق على حالى :

— أنا ما يهينيش الناس يا أمينة .. انت اللى تهمنى .. والكلام ده بيضرك أكثر ما بيضرنى أنا .. أنا على الأقل راجل .. ما يهينيش .. انما انتى .. أنا عايزك تواجهى الحقيقة .. وتواجهى الناس .. ما تضحكيش على نفسك .. ولا على الناس .. علشان تقدرى تعرفى اذا كنتى حاتستحملى والا لا .. علشان تقدرى تعرفى انتى ماشيه فين ورايحه فين ..

قلت :

— واذا ما استحملتش الوضع اللى أنا فيه .. حاتعمل ايه .. حانتجوزنى ..

قال وهو ينفخ من جانيبى :

— لا .. لو ما استحملتش .. لازم تسيبينى ..

قلت وأنا ابتسم ابتسامة مسكينة :

— لو كنت أقدر أسبيك كنت سبتك من زمان ..

وانهت دموعى نقاشفا ..

وامسى ..

لقد كانت تسمع كلام الناس ..

وتهز رأسها في أنسى .. ولا تعرف كيف ترد عليه .. أحيانا كانت تشاكى في كذبتى .. وتقول :

— انما لسنه ما تقدمش رسنى ..

وأحيانا تقول :

— اصل عيلته كلها واقفه في وشه ..

وأحيانا كانت تثور وتصرخ :

— ده كلام فاضى .. ما حصلش .. انتم عايزين توقفوا

سوق البنات ولا ايه ؟

ثم كانت تتوسل الى بكل دموعها .. بصراخها .. بابنتى

.. بأختى الصغيرة منها ، التى قد يؤثر كلام الناس على

على مستقبلها .. تتوسل الى أن أقبل الزواج من واحد ممن

تأتى بهم الى ، هي وخالاتى الخمس .. وأن اترك هاشم ..

وكان توسلها يفقنى من الكذبة الكبيرة التى أعيش فيها ..

كنت أحس بالفشاوة ترتفع عن عيني لأرى أمامى طريقا موحشا

مقبرا .. وأقرر في لحظة أن أنسى هاشم .. ثم أعود في لحظة

أخرى ، واتساءل .. لماذا لا أتزوج ، وأظل على علاقتى بهاشم

.. ولكن .. هذه القرارات كانت لا تبقى من رأسى سوى لحظات

.. ثم تعود الفشاوة على عيني .. وأرى نفسى في بيت القش

الذى بنته من أوهامى .. من كذبتى .. حرة .. منطلقة مع هاشم

.. والناس تتحدث عن خطبتى الموهومة إليه .. وأعود واتحدى

أنى ..

ثم ..

تدخل عبد السلام ..

زودنى السابق ، وأبو ابنتى ..

وكان عبد السلام يأتى لزيارتنا كل أسبوع تقريبا ليرى ابنته

.. وكان غالبا لا يجدنى في البيت .. كان يأتى في الصباح

فلا يبغنى .. ويأتى في المساء فلا يجدنى .. ولم أكن أهرب

من عبد السلام .. ولكن كان هذا هو حالى .. لا أطيق أن أبقي

في البيت ، ولا من أجل ابنتى .. وبدأ عبد السلام يمترض ..

انه يريد لابنته اما مثالية .. اما محترمة .. اما ترعى البنات وتبقى

معه .. وعندما واجهنى باعتراضه ، ثرت في وجهه قائلة :

— انت فاكّر نفسك لسنه جوزى ولا ايه .. ما لكش دعوى

بى .. ما حدش له دعوى بى الابايا وماما ..

ولكن عبد السلام لم يسكت ..

كان يرشو مربية ابنتى حتى يعلم منها اخبارى .. ونعيم

اذنيه على الاشاعات التى تدور حولى والتي لم تكن قد وصلت الى

السويس .. وسمع بحكاية الدكتور هاشم .. ثم حاول أن

يناقشنى فيها سمعه .. وعدت اثور في وجهه :

— انت مالك ومالى .. ايه البلاوى دي ..

وقال وهو يحاول أن يضبط أعصابه :

— .. تنسيش انك ام بنتى .. وحالفضل في حياتك طول

ما البنات عايشه .. والبنات لازم تقربى .. ولازم امها تبقى

انسانه محترمه ... اذا ما عرفتيش تربيتها اخدها اربيه انا ..

وخفت .. أحسست كأنه يمد يده لينقزع قطعة من لحمى

.. وصرخت :

— ما تقدرش .. ما تقدرش ..

وقال في ثقة وتحد :

— أقدر .. وأنا مش حالكلك بعد كده .. انما مش حاسكت

.. اتفضلى ورينى حاتريها ازاي ..

ونركمى يومها وأنا ارتعد ..

ولكنه لم يحاول أن يأخذ منى ابنتى .. كل ما فعله أنه قطع  
عنى النفقة التى كان يدفعها لى ..

كان يدفع لى خمسة عشر جنيهها فى الشهر .. وكنت فى  
حاجة الى هذه النقود .. فأبى لا يدفع لى سوى خمسة جنيهات  
فى الشهر كمصروف خاص .. ويدفع لى نفقات كسوتى .. ولم  
يكن مستعدا لأن يدفع أكثر .. ولم أكن أستطيع أن أطلب من  
زوج أمى أن ينفق على ابنتى .. كفاه أنه يتكفل بى ، وبؤوينى  
من أجل خاطر أمى . ثم انى لم أكن أنفق الخمسة عشر جنيهها كلها  
على ابنتى ، كنت أنفق جزءا كبيرا على نفسى .. على ثيابى ..  
وزيفتى ..

واحترت ..

وخصمت لى أمى خمسة جنيهات بعد أن انقطعت عنى  
نفقة ابنتى .. أصبح لى دخل خاص يصل الى عشرة جنيهات ..  
ولكنى لم أكتف ..

انى محتاطة .. الغيظ يفرينى .. أحسست كأن عبد السلام  
يريد أن يذلنى بهذه النقود .. يريد أن يخضعنى لأرادته ..  
ولكن .. لا .. لن أخضع .. لن أذل ..

وقلت لهاشم ..

قلت له وسحب الغيظ نكسو وجهى :

— أنا حارفع قضية على أبو بنتى .. تصور أنه قطع عنى  
نفقة البنت ..

وقال فى بساطة :

— يا شيخه بلالئ بهدلة .. ما فيش واحده كويسه تدخل  
المحاكم الشرعية ..

قلت فى حدة :

— امال اعمل ايه ؟ ..

قال فى نفس البساطة واللامبالاة :

— ولا حاجه .. تلاقية عايز يفضايقك .. احسن طريقه  
أنك تقنعيه بأنك مش متضايقه ..

قلت نائرة أنهمم بأنه لا يحس بمشكلتى :

— لكن أنا محتاجه للفلوس دى ..

قال وهو يبتسم :

— خديهم منى .. انقى نسييتى انى مسئول عنك ..

وكنت اعرف أنه سيعرض على هذا العرض .. بل انى لم  
أفاته فى الموضوع الا لأتلقى منه هذا العرض ..

ولم أنكلم ..

لم أرفض ..

ونم أقبل ..

وعاد يقول لى فى بساطة كأنه يتفق معى على أن أكون  
ممرضة فى عيادته :

— أنا حاديكى خمسة وعشرين جنيه .. خمستاشر للبنت  
.. وعشرة لك .. و ..

رقاطعته :

— مش ممكن يا هاشم .. وانت ذنبك ايه ؟

قال :

— ده يريحنى أكثر .. أقدر أنظم نفسى بالشكل ده أكثر ..  
ويريحك انتى كمان .. وينظم عيشتك ..

قلت :

— لا .. مش عايزه ..



قال :

— بش أحسن ما أشوفك مطلعة قداسى لى المحاكم ..  
ما تنسيش أنك بتاعنى .. وأنا مسئول عنك ..

وأديت منه عيني ، وبقيت ساكنة ..

ورضع يده تحت ذقنى ، ورفع وجهى إليه وقال وهو يبتسم  
— انتى بتاعة مين ؟

قلت من صوت خفيض :

— بتاعتك ..

وأخذت منه أول مرتب لى .. خمسة وعشرين جنيهًا ..  
ولم تكن هذه أول نقود أخذها من هاشم .. فمئذ أن أعطاني  
خمسین جنيهًا كهدية يوم ولدت ابنتى .. وهو يعطينى هدايا كثيرة  
.. كلها نقود .. ودائما يكرر أنه لا وقت عنده ليطوف بالحكاكين  
وانى يجب أن اشتري هديته بنفسى .. أعطاني مرة ثلاثين  
جنيهاً لأشتري خاتما .. وأعطاني مرة عشرة جنيهات لأشتري  
ما شاء الله ذهبية .. وأعطاني مرة خمسة جنيهات لأركب تاكسى  
.. و .. و .. أنا ضعيفة أمام النقود .. لا زلت الى اليوم  
ضعيفة أمامها .. لا أستطيع أن أشد يدي عنها .. وكنت  
أقبل نقود هاشم على أنها مرتب .. نفقة ..

هل ساءلت نفسى لماذا أقبل هذه النقود .. نظير ماذا ..  
ماذا اعطيه بدلا منها ؟ ..

أبدا ..

فلم أكن أحس انى اعطيه شيئا ..

كنت دائما أحس انى آخذ منه ..

كنت أشعر بحاجتى إليه ، أكثر مما أشعر بحاجته الى .  
رغد صور لى وهى أن هذا المرتب الثابت الذى بدأت

عاضاه منه ، قد جعلنى كانى زوجته .. ما الفرق بينى وبين  
الزوجات .. لا شيء .. الزوجة ، امرأة تعيش مع رجل وينفق  
عليها .. وأنا أعيش مع هاشم وينفق على .. ربما لم تكن حياتى  
كحياة الزوجات .. ولكن المبدأ واحد .. الأساس واحد ..  
المنطق واحد ..

لم يخطر على بالى أيامها ، أن هذه النقود ستعودنى على  
حياة لها مطالب خاصة ، لا أستطيع أن أحققها الا عن هذا  
الطريق .. طريق مد يدي الى الرجال .. لم أنصوّر انى أبيع  
بهذه النقود كرامتى .. لا .. ليس جسدى .. فجسدى قمتته  
لهاشم من زمان مجانا .. ولكنها كرامتى .. وعندما استنزف  
هاشم كرامتى ، لم تعد لى كرامة أمام احد ..  
كل هذا لم يخطر لى ..

بالعكس ..

لقد شعرت بقوة .. قوة كبيرة .. قوة أستطيع أن أستغنى  
بها عن اهلى كلهم وعن الناس كلهم .. ثم أعد ضعيفة .. لم  
بها عن اهلى كلهم وعن الناس كلهم .. لم أعد ضعيفة .. لم  
أعد خائفة .. وانطلقت فى تصرفاتى .. أكثر جراءة .. وأكثر  
وقاحة ..

وشجعتنى على احساسى بالقوة أن هاشم لم يحاول أبدا  
أن يضع لهذه النقود التى يعطينى لى ، معنى يمس كرامتى ،  
كان دائما مهذبا .. وكان يشعرنى دائما انى صاحبة حق ..  
وكان غريبا .. أنه فى الواقع لا يقيم وزنا للنقود .. أنه يكسب  
كثيرا .. وكل ما أخذه منه لا يحس به .. كأنه لا يتمب ليحصل  
على هذه النقود ..

وبدأت أنفق على نفسى وعلى ابنتى بأسراف ..

ولاحظت امى ..

وكان يجب أن أقول لها شيئا ..

قلت لها أتى أخذ هذه النقود من أبى ..

ونظرت الى أمى كأنها لا تصدقنى ، وقالت وهى تمصص شفيتها :

— من أمتى أبوكى يا ست ميتو ، بيدى لحد غلوس .. ده بتى له سنين ما شفتاش منه غير الخمسة جنيه اللي بيدفعهم لك .. قلت فى برادة :

— ده بابا تغير خالص يا ماما .. مراته الجديدة عملت منه انسان جيد .. وبتحبنى خالص .

وعادت أمى تمصص شفيتها ، وقالت وهى تتهد :

— مكن يا بنتى .. مكن ..

ومنذ أن بدأت أخذ مرتبى من هاشم ، أصبحت أخاف عليه أكثر .. أخاف أن يضيع منى ..

لقد أصبح هاشم حبى وحياتى ..

ولو ضاع منى هاشم ، فلن يضيع حبى وحده .. حياتى أيضا ..

وبدأت افرض نفسى عليه أكثر .. وأحاول أن أخذ منه أكثر .. وأغار الى حد الجنون .. كنت اذا لم أجده فى بيته أو عيادته ..

فى أى ساعة من ساعات النهار ، أنطلق كالمجنونة وأركب تاكسى .. وأذهب الى شقته .. فاذا لم أجده هناك ، أخذت أطوف

سالتاكسى فى شوارع القاهرة أبحث عن سيارته .. بل أتى أصبحت اتعمد أن أسأله عن حياة أصدقائه .. وأسأله أين تقع شقة كل منهم الخاصة ، لأبحث عنه فيها .. أو على الأصح

أبحث عن سيارته أمام بابها كلما أختفى عنى ..

وهاشم أيضا تغير منذ قرر لى هذا المرتب .. أصبح أكثر

اهمالا لى .. كأنه أصبح واثقا من حاجتى اليه .. أصبح واثقا

أتى أعبأ فى جيبه .. بين أصابعه .. فبدأ أكثر جهاء كلما

حادثنى فى التليفون .. بل أنه تعود أن يرفع سماعة تليفونه

الخصوصى فى العيادة ، حتى لا أزعجه .. وأصبح لا يلتصقنى

الا اذا لم يجد شيئا يفعل .. لم يعد يفضل على مرضاه محسوب .. أنه يفضل أصدقائه .. وكتبه .. وأخته .. وعائلته ..

فاذا ما انتقينا ، كان دائما على عجل .. يأخذنى بسرعة .. بل أصبح يرفضنى كلما عرضت عليه أن أبقى الليلة معه ، فى

المرات التى أدمى فيها أتى أتمام فى بيت أبى .

وربما لم يهملنى أيامها الى هذا الحد .. فقد كانت لا تزال

لنا ليال جميلة .. بل أتى سافرت معه الى الاسكندرية عدة

مرات ، لنقضى يومى الخميس والجمعة .. واتقنا معا فى غرفة

واحدة فى فندق العجوى .. وكان يوقع لنا فى دفتر الفندق ..

هاشم محمد عبد اللطيف وحرمة .. يحتف لقب « دكتور » ،

ويضيف اسم « محمد » .. وأنا « حرمة » .. وقد كنت أحس

فعلا فى تلك الأيام بأنى حرمة .. كنت أراه فى البيجاما ..

وكنت أراه وهو يدخل الحمام وكنت أراه وهو يحلق ذقنه ..

واتام بين ذراعيه .. أنفاسه تلفحنى ، وكرازة الثقيلة فوق

ظهرى .. وأصحو فى الليل وأقضى لحظات وأنا أنظع الى وجهه

النائم .. وأضحك لعينيه المنتفتحتين .. أنهما أكثر انتفاخا وهو

نائم .. وأضحك لأنفه الكبير المتربع فوق وجهه كتمثال نهضة

مصر .. ثم أوسد رأسى على كتفه واتام .. كل عصب فى نائم

مستريح شعبان .. وأصحو والفرحة تملأ قلبى .. ونعيش فى

قبيلات كثيرة ، حلوة ، هادئة .. ثم أقوم لأمثل دور الزوجة ..

الزوجة المثالية .. أعد له الحمام .. وأغسل له أدوات الحلاقة

.. واقف بين ذراعيه وهو يرتدى ثيابه .. وأصيب له الشاق  
ونحن نتناول الاطيار في شرفة حجرتنا .. ثم نخرج معا الى  
الشاطئ .. وأتباعي به أمام الناس .. واتعهد ان أضع ذراعى  
في ذراعه ، لألفت الناس اليها ، كائى اصرخ فيهم .. هذا  
الرجل ملكى .. ملكى انا .. وكان الرجل يتضايق كلما وضعت  
ذراعى في ذراعه .. كنت احس به وهو يحاول ان يسحب منى  
ذراعه ، بحركة مهذبة حتى لا يجرحنى .. يقتل أنه يريد ان  
يشعل - بجارة .. او ينحنى ليعبث بالرمل ، فقط ليشد ذراعه  
من ذراعى . كانه يريد ان يقول للناس .. هذه المرأة ليست  
لى .. التقينا صدفة .. ولكنى كنت اعود واصر على ان اضع  
ذراعى في ذراعه ..

كنا نعود الى القاهرة ..

ولا تكاد السيارة تتحرك بنا فى طريق العودة .. حتى يبدأ  
للحلم الجميل يطير منى .. وأواجه الحقيقة .. أواجه وحدتى  
فى غرمتى .. وأواجه ضياعى .. وحيرتى .. كانت الايام التى  
تعقب هذه اللحظات التى يأخذنى اليها هاشم ، اقضى وأمر من  
بقية الايام .. ايام يتألم فيها جسدى وهو راقد فى الفراش  
وحده بعد ان تعود على الذراع الثقيلة .. ويتألم قلبى وأنا اكتشف  
انى لست روجة هاشم .. لست سوى جريمة تزوير فى دفتر  
أحد فنادق الاسكندرية .. ويتألم فيها حبالى لانه يصطدم  
بالجدران الفارغة التى تحيط به .. يتحبط بيننا كالمصفور  
الصغير . يحاول ان ينطلق الى هاشم ..

ويعود الخوف يستبد بى ..

الخوف من ان أفقد هاشم يوما ..

أفقد حتى .. وحياتى .

والخوف هو الذى يصور لى أن هاشم قد تغير .. وانه  
يهملنى .. وانه لا يقبل على كما عودنى ..  
والخوف يدمعنى الى شئ آخر ..  
الى النهم ..

لم بعد يكفينى شئ .. أصبح كل شئ يفقد قيمته عندى  
بجهد أن أطبق عليه يدى .. أصبحت كالأناء المشبوب كل  
ما أضمه فيه يضيع .. أفقده .. أفقد احساسى به ..  
حتى النقود ..

لم تعد تكفينى الخمسة والعشرون جنيتها التى أخذها من  
هاشم .. أريد أكثر .. كنت أحس فى كل شهر أنى سأفقد هاشم  
فى الشهر التالى .. فأحاول ان آخذ كل ما أستطيعه .. وتجرات  
عليه .. ولم يكن هاشم يرفض أبدا أن يعطينى .. وظل يعطينى  
ببساطة ورقة .. ولكنى لم اطلب ببساطة .. كنت اترى حتى  
انتقى اللحظة التى اطلب فيها .. وكنت أكذب عليه ، وألقى  
الأسباب .. واكتشفت ان اتسب اللحظات التى يمكن أن اطلب  
فيها .. ونحن فى الفراش .. بعد أن يأخذنى .. وهو مسترخ ..  
مستريح .. سعيد فى هدوء .. سعيد برجولته .. سعيد  
بانوثتى .. وقد اكتشفت فيها بعد .. فى حياتى الضائعة ..  
أن هذه ليست اتسب اللحظات بالنسبة لكل رجل اريد منه شيئا  
.. لحظة غرور الرجل ، وتباهيه برجولته .

ووصل متوسط ما أخذه من هاشم الى خمسين جنيتها فى  
الشهر ..

خمسة وعشرون جنيتها ، مرتب ثابت ..

والباقى تقاتلش ..

واسرقت فى الاتفاق على نفسى .. خصوصا على ثيابى

.. ورينى .. وكان هذا الاسراف يعوضنى عن نقص احس به ويضعف من شخصيتى .. نقص احس به فى عيون صديقاتى .. فى عيون كل الناس الذين يعرفون قصتى مع هاشم .. يعرفون اتي لست تزوجته .. فقط عشيقته .. واحس بالسنتهم تفرقع وراء ظهري ، كلما مررت بهم .. كنت اريد ان اثير الحسد فى صدور هؤلاء الناس .. يحسدننى على ثيابى ، وترفى .. ما دمت لا أستطيع ان اثير فيهم الحسد على مصيرى ..

وكنت أسعد فعلا عندما المح نظرات الحسد فى عيون صديقاتى وقريباتى ، كلما ظهرت امامهن بثوب جديد ، أو حلية جديدة .. انهن يتحدثن عن جنونى .. يتحدثن عن الشرف .. عن الميادى .. ولكن عيونهن تلمع حذائى حسدا ..

نعم ..

لقد أصبحت اكره الناس ..

كل الناس ..

حتى الذين يعتقدون انى مخطوبة لهاشم ..

وكراهيته للناس تعقدنى اكثر .. وتزيدنى خوفا .. واحاول ان اهرب من الخوف ، فاندفع اكثر .. اكثر بجاجة .. واكثر وقاحة ..

ولم سكت اوى وهى ترى اندفاعى ، وترى مظاهر الاسراف التى أعيش فيها .. وشددتنى من يدى الى غرقتى .. واغلقت الباب وراءى .. وجلست على السرير : مكانها المفضل كلما ارادت ان تحل مشكلة من مشاكلها .. واجلستنى بجانبها : وقالت فى حزم :

— بيتو .. انا مش حاقدر اسكت عليكى اكثر من كده ..

جوزى كل يوم يعمل لى هليله من تحت راسك .. وخلص ما يقتشر قادره اذافع عنك ولا عن تصرفاتك ..

قلت وانا اسخر منها بوقاحة :

— اللى خلاكى ساكته لغاية دلوقتى .. يخليكى ساكته على

طول ..

قالت وهى تصنعنى بعينها :

— انا ما كنتش ساكته .. انا كنت مصدقاكى .. انها خلاص

دلوقتى مش قادره اصدق ..

قلت بلا مبالاة :

— مش قادره تصدق ايه ؟

قالت وعيناها فى عينى :

— تولى لى .. بتجيبى الفلوس مين ؟

وتبساطة وقحة قلت وعيناي ثابتتان :

— بن هاشم ..

وموجئت .. قفز حاجباها فوق عينها كأنها جناحا عصفور

مذعور : وقالت وهى تخط على صدرها :

— يا خبر .. ده يبقى مال حرام يا بنتى ..

قلت وانا اضحك على سذاجتها :

— حرام ليه .. هو لما الواحد يحب واحده ويجيب لها هديه

يبقى حرام ..

قالت ووجهها لا يزال محتقنا :

— بس دى مش هديه .. دى فلوس .. فلوس ..

قلت :

— الهدية يعنى فلوس .. لو اشتراالى حته شيكولاته يبقى

استبته اداني عشره صاع .. وهو ما عندوش وقت ينزل يشترى  
ساجه ، بيديني الفلوس اشترى بيها انا ..

تالت فى اصرار :

— دى استبها فلوس حرام ..

قلت وانا ابتسم لها :

— حرام ليه يا ماما .. كل البنات بياخدوا هدايا ..

قالت :

— تسمحي تقولى لى بيديكى الفلوس دى كلها ليه ؟

قلت بسرعة :

— علشان بيحبني ..

— لا يا شيخه .. عاشان بيحبك .. ولا علشان حاجه

تانيه ..

تالت :

— يا تقوليش كده يا ماما .. ما فيش حاجه تانيه ..

صدقينى ..

قالت :

— لا .. مش مصداكى ..

قلت :

— ماما ده راجل غنى ويحبني .. اذا ادانى بيت جنيه ..

زى ما يجيب واحد تانى هديه بجنيه ..

ومالت وهي تركز راسها فوق كعها :

— بيديكى كام الرجل الغنى ده ..

قلت وانا اطوى الحقيفة تحت لساني :

— مش دايما .. بس بيديني كثير ..

تالت :

— ويتوديهم مين ؟

قلت :

— بااشترى بيهم الحاجات اللى بتشوفيهما ..

قالت وهي تتهد كاتها استسلمت لى :

— طيب بدل ما تشترى بيهم حاجات هايفه .. ويروحوا

منك هدر .. اشترى حاجة تفضل لك .. حنة الماظ ..

ولا بروش ..

وهكذا ..

وقفت منى امى — مرة ثانية — موقفا سلبيا .. انتقدت

لى .. لم تحاول ان تعدل حياتى .. لم تحاول ان ترسم لى

بيادى اتملق بها . وقبلت الوضع .. بل انى أصبحت أعطيها

النقود التى اخذها من هاشم لتحفظها عندها .. أصبحت بنكا

لى ، وبينى وبينها حساب جار .. وكأنت امى تفرح بهذه النقود .

اكثر من فرحتى .. ربما ورثت حبي للنقود عنها .. بل انها أصبحت

تشاركنى فى انتقاء الهدايا التى اطالب هاشم بثمنها .. فتحت

عينى على اطماع اوسع من اطماعى الصغيرة .. وفى مناسبة

عيد ميلادى الثانى والعشرين .. طافت بنفسها على محلات

الجواهر ، وانتقت حلقا من الماس .. ثمنه مائتا جنيه .. ليقدمه

هاشم هدية لى .. وتركت الباقي على .. وقد دفع هاشم المائتى

جنيه فى لحظة من لحظات غروره برجولته ، وسعادته بانوثتى ..

ولكن امى كانت تحرص فى الوقت نفسه على اشغال خوفى

.. زادنى خوفا على خوف .. كانت تذكرنى كل صباح وكل

مساءً بأنى لستزوجة هاشم .. وكانت تروى لى قصص البنات  
اللاتى انقدن وراء عواطفهن وجنونهن .. ثم ضاع الرجل ..  
تزوج فجاء بنتاً أخرى .. ومن يدري .. ربما أصبحوا فى الصباح  
ناقراً فى الصحف خبر زواج هاشم من أخرى ..

وينقبض قلبى لمجرد الفكرة ..

تتلوى أعصابى ..

وأحس بنفسى كأنى معلقة فى الهواء ، وريح عاتية تلوحنى ..

وأطلعت هاشم على مخاوفى .. كشفت لى عن قلبى الذى

عصره الخوف .. وقلت لى فى تردد وضعف :

— أنا مش ممكن نتجوز أبداً يا هاشم .. ؟

قال لى بساطة حازمة :

— لا ..

قلت وأنا أنظر اليه فى لوعة :

— بس أنا ما أقدرش أعيش من غير انا ..

قال :

— يوم ما تفكرى فى الجواز .. يبقى لازم تفكرى فى واحد

غيرى ..

قلت الدموع فى عيني :

— ما أقدرش أفكر فى واحد غيرك .. أنا باحبك يا هاشم ..

قال وهو ثابت كأنه يناقش مسألة علمية :

— دينا مالوش مستقبل ..

قلت :

— واية عرفنى أنك مش حا تتجوز واحده تانيه ..

قال :

— مش حاجوز ..

قلب ردموعى على خدى .. دموع الهبط والخوف :

— واطمن ازاى ؟ ..

قال :

— أنا عبرى ما كذبت عليكى .. اطمنى ..

ولم اطمئن ..

مخاوفى تزداد يوماً بعد يوم ..

أحس كأنى فى معركة هائلة مع الند .. كل غد بالنسبة

لى وحش يريد أن يفترسنى .. وأتعلق بيومنى حتى لا يقتلبنى الى

غدى .. بل أتعلق بالساعة التى أميش فيها حتى لا تلقينى

الى الساعة التالية ..

وكنيت اعلم انى لست الوحيدة التى تطمع فى الزواج من

الدكتور هاشم .. ولست الوحيدة التى تريده بلا زواج .. أن

حوله عشرات البنات .. بنات جميلات .. وبنات من عائلات

كبيرة .. وبنات ثريات .. وأنا وحدى أقاوم كل هؤلاء البنات

.. أقاومهن فى خيالى .. كل بنت أراها فى النادى .. وكل

بنت تنشر الصحف صورتها .. تخيل الى انها تسعى للزواج من

هاشم .. فأكرهها .. ازددت كرها لكل البنات .. الكراهية

تجعل منى دون أن أدري ، فتاة شريرة .. قاسية ..

وأحرص كل صباح .. وبمجرد أن أفتح عيني .. على أن

أقرأ صفحة الأخبار الاجتماعية فى الصحف .. من يدري .. لعله

تزوج .. ثم لا اطمئن .. من يدري لعل الصحف لم تعلم بخبر

زواجه .. وأهرع الى التليفون ، واتصل به ، لأطمئن أنه لا يزال

لى .. وما آخر !

الى أن كان يوم ..

وكنيت أحداث هاشم فى التليفون ، وقال لى أنه لن يستطيع

ان يلتقاني بعد الظهر ، لانه مدعو الى الغداء عند عمه .. ثم  
سألنى .. ماذا سافعل اليوم .. واجبتة بانى ساقبى فى البيت ..  
وعاد يسألنى .. مش نازله البلد .. واجبتة بالنفى .. و ..  
ولم تطمننى لهجة حديثه ..  
كان رقيقا اكثر من المعتاد ..

واحسست انه يعتمد التاكيد من انى سابقى فى مصر الجديدة  
طول اليوم ..

وحاولت ان اتخلص من الوسواس الذى يلح على خيالى  
.. حاولت ان اطمئن .. واهدا .. ولكنى لم استطع .. فى  
الساعة الثالثة قفزت ، وخرجت من البيت .. وركبت التاكسى  
الى الزمالك .. ومررت من امام العمارة ، فلم اجد سيارته ..  
ولكن .. لعله اوقف سيارته فى مكان بعيد عن العمارة ، حتى  
لا اكتشف وجوده فى الشقة .. ودرت بالتاكسى حول العمارة ..  
وفى جميع الشوارع المؤدية اليها .. ولم اكتشف شيئا .. ثم  
هدأتى تفكيرى الى ان امر امام العيادة .. وهناك .. وجدت  
سيارته .. وبسرعة .. امرت السائق ان يعود الى شقة الزمالك  
.. والجنون يفتك بعقلى .. والنار تحرق عبنى ..

ونزلت من التاكسى ، وانا اكاد انكمى على وجهى .. ولم  
انظر المصعد .. جريت على السلالم الى ثالث دور .. والقيت  
كل ثقلى على جرس الباب .. لم ارفع اصبعى عنه .. ولكن  
احدا لا يفتح .. فاحضت اخبط على الباب بكفى ، حتى التهب  
كنى .. ثم خلعت فردة حذائى واحضت اضرب بكعبها فوق الباب  
.. وانا اصرخ :

— افتح يا هاشم .. افتح .. انا عارقه انك جوه ..  
لم يهنى ساعتها شئ ، الا ان يفتح لى الباب .. لم تهمنى

صبيحه التى اثيرها فى العمارة .. ولا صوت عم محمود البواب  
وهو يصيح من اسفل السلم :

— جرى ايه .. مين الى بيزعق ..

وفجأة فتح الباب .. وقبض هاشم على بدى بقوة ..  
وجذبنى الى داخل الشقة ، وهو يقول فى صوت خافت كالضجيج :  
— يا جنونة .. انتى عايزه تعملى لى نصيحه .. دى  
اخلاق بنت ناسى دى ..

وقبل ان يضربنى .. نزعته نفسى منه .. كانت لى لحظتها  
قوة تهدد الجبال .. قوة جنونى .. واندفعت الى داخل الشقة ..  
ورابتها ..

انها نفس البفت ..

البيت التى سبق ان ضبطتها معه ..  
وكنت قد عرفت اسمها .. مرفت ..

وقبل ان يلحق بى هاشم ، كنت قد انشبت اظافرى الطويلة  
فى وجهها .. رسمت على خديها ، وعلى عنقها خطوطا طويلة  
ينبثق منها الدم .. ثم امسكتها من شعرها .. واوقعتها على  
الارض .. ووقعت فوقها ..

ولحق بى هاشم .. اجذبنى من شعرى فى قسوة ، ورفعنى  
من فوق مرفت ثم التى بى فوق السرير .. وانا لا ازال انظر  
الى مرفت بعينى الجنونتين ، وامرخ :

— يا وسخه .. يا واطيه .. لسه بتجيله .. مش عارقه  
انه مخجوزنى .. يا .. يا ..

كلمات كثيرة لم اكن اعرف انى اخترتها تحت لسانى .. كلمات  
انقدتلى كل رقتى .. كل جمالى .. كل اتوتتى ..  
ومرفت مرفت ..

خرجت ..  
ورفع هاشم يده ، فصرخت فيه :  
— ما تضربينى .. انت مالکش حق تضربنى .. انت اللى  
غلطان ..  
ولكنه انهال بيده على خدى ..  
بلا رحمة ..  
بلا شفقة ..  
وصرخت ودموعى تنطلق :  
— اتجوزنى .. اتجوزنى .. لازم تتجوزنى دلوقتى حالا ..  
وصرخ وهو يرفع يده مرة ثانية :  
— عايزانى اتجوز واحده مجنونه ..  
وعدت أصرخ :  
— لازم تتجوزنى .. أنا ما اقبلش أكون زى اى بنت بتعرفها  
.. والا علشان بتدينى فلوس ..  
وانزل يده فجأة قبل ان يصغعنى صفعة أخرى ..  
وادار ظهره لى وسكت .. وهو يكرر انفاسه ..  
ومرت لحظات لا يبدها الا نشيجى ..  
وتكومت فى السرير ، وأنا أنظر اليه من خلال دموعى ..  
فى ترقب .. وغيظ .. وكل شيء فى ينزف .. حبى .. كرامتى  
.. انفاسى .. كياتى .. ايامى .. كل شيء ينزف .. والنزيف  
الأحمر يرتسم امام عينى ..  
ثم التفت الى وقال فى لهجة جادة وصوت عميق حزين .  
كأنى جرحته :  
— أنا ما باديكيش فلوس يا أمينة ، لأنك زى اى بنت ..  
مايفيش بنت أعرفها باديبها فلوس ولا حتى بائخرى لها هديه ..

أنا ياديكى لانى باحبك .. ولأنك محتاجه للفلوس .. ولأن  
معايها فلوس .. ويوم ما حاتسبينى هاتفضل برضه اديكى فلوس .  
طول ما انتى محتاجه ، وطول ما أنا معايا ..  
وأدست ساعتها أنه لا يعنى ما يقول .. كل ما هنالك  
أنه يدافع عن كرامتى .. لا يريد أن يحس بأنه يشتري امرأة  
بنقوده .. واكتشفت ساعتها أن هذه النقود ، لا تشيننى أنا ،  
بل تشينه هو .. تجرح كبرياءه وغروره .. كرجل يعتقد فى  
نفسه أنه محبوب من كل نساء الأرض ..  
وقلت وأنا متكومة فوق السرير وشعرى واقع فوق عيني :  
— ان كنت بتحبينى ، كان بدل ما تدينى فلوس ، تتجوزنى  
.. لازم تتجوزنى يا هاشم .. لازم .. لازم ..  
وقال فى هدوء :  
— انتى عارفة انى مش حاتجوز .. وأحسن نسيب بعض ..  
ونظرت اليه بعينين مذعورتين ، وقلت فى صوت يخرج من  
حلقى ولا بحرك لسانى :  
— تسيبنى بعد ده كله يا هاشم ؟  
ثم انكفأت على وجهى أمكى ..  
الدموع تهز جسدى كله ، كأنى اشدتها الى عيني ، من اطراف  
أصابع قدمى ..  
وقال هاشم :  
— متس كده يا أمينة .. خلىنا نتكلم بمقل ..  
ولكنى أبكى ..  
أبكى كل دموعى ..  
وجاء هاشم وجلس بجانبى .. يحاول ان يسكت بكأنى ..  
يحاول ان يجعلنى أرد عليه .. وبدأ يستح بيده على شعرى



.. ثم يطوف بها فوق كنفى .. وأنا لا أكف عن البكاء ..  
مستسمة ليده التي تلمس فوق ظهري .. ثم انحنى يقبلنى فوق  
خدى .. وهو يقول :

— كفايه يا أمينة .. كفايه يا حبيبتى .. أنا آسف ..

ولم أكن أريده فى هذه اللحظة .. لم تتفتح مسام جسدى  
ظهاى اليه .. ولكن تملكنى احساس آخر .. كنت أريد أن  
أطمن إلى أن مرفت لم تأخذ منه شيئاً .. شيئاً مما تعودت  
أن أخذه منه .. كنت أريد أن أتأكد أنها تركته لى سطيماً .. أم  
تمتصه وتلقى الى ببقاياها ..

واستدرت اليه ، والقيت جسدى كله فى أحضانها ، وأنا  
لا زلت أكن هائمة :

— هاشم .. اخص عليك يا هاشم ..  
وانحنى الى بشفتيه ..

ويد ، تنشط فوق أزرار ثوبى ..  
وأنا فى انتظار أن أتأكد ..

وهيمست وانفاسه تلفح عسى ، وشفته المجنونان تطوفان  
بوجهى .. وذراعاه تعصران جسدى العارى :

— حاتسبيني يا هاشم ..

وفال وانفاسه اللاهثة تحرق كلماته :

— أبدا .. عمرى .. لا أقدرش ..

وأطماننت ..

لم تأخذ منه مرفت شيئاً ..

ولكنى عدت الى البيت ورأسى يغلى .. ولم أكن حاقدة على  
هاشم قدر حقدى على مرفت .. كنت أريد أن أنقم منها .. أريد  
أن أحطمها .. أختفها .. وكنت فى خلال الشهور الطويلة منذ

ضبطتها أول مرة ، قد عرفت اسمها كله .. عرفت أخبارها ..  
وعرفت رقم تليفونها وعنوانها ..

وأدبرت رقم تليفونها ..

وردت على أمها .. عرفت من لهجتها .. كل الإهات لهن  
لهجة واحدة عندما يردن على التليفون .. وقلت لها :

— أنا حرم الدكتور هاشم عبد اللطيف ..

وخأت فى أدم :

— تنرفنا يا فندم ..

قلت فى جراءة وهذوء :

— زيجعت ؟

قالت وفى لهجتها لستطلاع :

— لا والله .. لسه ..

قلت :

— طيب .. لما ترجع ، حتلاقى على وشها خرابيش .. أنا

اللى خربشتها .. لانى ضبطتها مع جوزى ..

وأعدت السماعة بسرعة ..

واستخرجت ..

أمتست .. أهنى نفسى على ذكائى .. وشرى .. وانتقامى

.. ثم ضاعت لذة احساسى بالانتقام عندما اكتشفت أن مرفت

بعد أيام أن الدكتور هاشم عبد اللطيف ليس متزوجاً ..

وبقى أمامى هاشم ..

انى لم أعد أحتل ..

لم أعد أحتل حياتى معه ..

ولكنى لن أتركه ..

انه حين .. وحياتى .. فكيف أتركه ..

نعم ..

لن أتركه ..

ولكني سأخونه

ما الذي دفعني الى خيانة هاشم ؟ ..

دوافع كثيرة .. ليس أهمها أنه يخونني ..

ربما كان أهمها انشغاله عني بعمله .. وهذا الفراغ الكبير الذي يحيط بي والذي لا أجد ما أشغله به ، سوى استعراض نفسي في النادي ، وفي شوارع القاهرة ودكاكينها ... لم تكن لي هواية تصبرني على الانتظار الطويل الى أن التقى بهاشم .. لم تكن لي هواية سوى جسدي ..

ثم 'الخوف' ..

الخوف من أن أفقد هاشم يوما ، كان يجعلني اتلفت حولي ، لأنتمي الرجل الذي يعوضه عندما أفقده ..

ثم أتى أريد أن أتزوج .. ومن يدري ربما التقى برجل أحسن من هاشم بتزوجني ..

ثم تني رغم ما فعلته ، ورغم طغيان شخصيته علي شخصيتي ، ورغم حاجتي اليه .. كنت بيني وبين نفسي متبردة عليه .. أتمنى اليوم الذي أنخلص فيه من حبه .. ومن سيطرته .. بل أتى كنت أصغر أحيانا من النوم وأقرر ألا أنصل به .. كنت أثير عليه نفسي .. لماذا أجرى وراءه .. لماذا لا أتركه يجري ورائي .. لماذا أبدا أنا بالتحدث اليه في التليفون ، لماذا لا انتظر الى أن يتلفف علي ويتصل بي هو .. لماذا .. لماذا .. وكل القرارات التي اتخذها وأنا متبردة عليه ، لا تبقى سوى لحظات .. ثم أعود اليه .. لا أستطيع يدي أن تقاوم التليفون .. ولا يستطيع جسدي أن يقاوم اندفاعي اليه ..

ثم لأنه يخونني ..

أنه يخونني وهو يقسم أنه يحبني .. فلماذا لا أخونه إذا أيضا وأبني على حبه ..

وقد بدأت بخيانات بريئة ..

سافرنا أيامها الى الاسكندرية لنقضي الصيف .. وكان هاشم لا يأتي الاسكندرية الا في أيام الخميس والجمعة .. وأنا وحدي هناك بقية الاسبوع .. أقضي يومي على شاطئ ميامي .. وأترك ابنتي مع الخادمة تحت الشمس .. ثم أقوم باستعراض نفسي .. وكنت أفتن في استعراض نفسي .. أحيانا أتمشي وأنا بالمايوه ، وشعري مطلق ، وفي قدمي حذاء بكعب عال .. وأحيانا أرتدي بنطلون « بلوجينز » وقميص رجالي مشتمر الأكمام ، كأتى لا زلت في التاسعة عشرة .. ثم أجرى الى البيت ، وأبدل البنطلون بفستان .. كل يوم ثوب جديد .. يجتن .. ثم أجلس في كابين صديقتي مها .. سعيدة مطلقة في مثل سنني ، وكل صديقاتها مطلقات ، أو على وشك الطلاق .. ودائما يحيط بهن مجموعة من الشبان .. الملح شباب الشاطئ .. المهم في اجتذاب اهتمام البنات .. بينهم شاب اسمه مصطفى .. في الثامنة والعشرين من عمره .. دمه خفيف .. وكانت تحبه إحدى سيدات الشلة .. ولكنه كان يفضئني بكل اهتمامه .. ويلحقني في البحر .. ويملا الساعات التي أقضيها معه بالضحك .. وأخيرا .. رضيت أن أخرج معه .. ولكني ما كنت أركب بجانبه في سيارته حتى بدأت أفكر في هاشم .. أحسست أن هاشم جالس بيني وبين مصطفى .. لا أستطيع أن أنزع صورته من خيالي .. لا أستطيع أن أوقف عقلي عن التفكير فيه .. بل خيل لي أنني أشم رائحته .. رائحة هاشم ..

وقال لي مصطفى وهو يقود سيارته في الطريق الى أبي قير

— تعرفي تسوقي ؟ ..

قلت وأنا هاتمة وراء هاشم :

— لا ..

قال وهو يبتسم ابتسامة طفل :

— دعالي أعلبك السواقه ..

وإسـخفته .. هذه لعبة عيال .. لعبة قديمة ..

سيدعوني الأقرب منه .. ثم يدي على عجلة القيادة ويلف ذراعيه

ورائي .. ثم يتحسس كفتي .. ثم يضغطني اليه ضغطة خفيفة

.. ثم يتنهد فرصة ويقلني على خدي .. و .. و .. ماذا يظنني

هذا الطفل ؟ مبتدئة ؟ !

زعلت في زهق :

— لا .. مشي عايزه لتعلم السواقه .. ومن فضلك رجعتي ..

أنا أتأخرت ..

وقال في سخافة :

— ودم معقول .. ده أحنا لسه ما وصلناش أبو قير ..

وأمر على أن يسير في طريقه ..

ولم ألتزم .. من زهقي .. بقيت بجانبه ، وقد بدا

لي الفرق كبيرا بينه وبين هاشم .. الشخصية الفجة التي لم

تنضج بعد .. والشخصية القوية المجرمة الثابتة .. شخصية

هاشم ..

وعندما عاد هاشم في نهاية الأسبوع والتقينا في اللسقة التي

كان يستأجرها في محطة سبابا باثنا ، قلنا له كائن أغبطه :

— تعرف ان فيه واحد عايز يخطبني ؟

قال في برود :

— مين ؟

قلت :

— واحد اسمه مصطفى ..

قال :

— مصطفى ايه ..

قلت وأنا ازداد دلالا :

— مصطفى صاحب ..

وهز كتفيه وقال في سساطة :

— ما اعرفوش ..

وهذا هو كل شيء .. لم يحاول أن يسألني أكثر .. بل ..

يحاول أن يسألني في الأسبوع التالي عن أخبار هذا الشاب

الذي جاء يخطبني .. كأنه نسيه .. كأنه لا يهيم أن بقيت له

أو تزوجت .. أو كأنه كان واثقا أنني سبقي له حتى لو تزوجت ..

وغاضني إهماله ..

غاضني غزوره ..

وخرجت مع مصطفى مرة ثانية .. وثالثة .. ثم زعلت

من مصطفى وخرجت مع أسامة .. ثم مع مجدي .. ثم مع أحمد

.. كلها مغامرات بريئة .. أحمد فقط هو الذي استطاع أن

يقلني فوق شفتي .. فرق كبير بين قبلته وقبله هاشم .. قبله

أحسن بما فوق شفتي .. وقبله أحسن بها تسري في جسدي

كله ..

وكنت أسرد كل هذه الأسماء لهاشم .. وأسرد مع كل منها

نصف الحقيقة .. وأحيانا ربع الحقيقة .. أقول عن واحد منهم أنني

قابلته من كابين صديقتي .. واقول عن الآخر انه صديق لابن خالتي .. واقول عن الثالث انه ابن طنط خديجة .. ولم اكن مضطرة ان اقول شيئا لهاشم .. ولكنى كنت اقول له .. كنت احس انى ابرىء ذمتى امامه .. احس كانى اخفي من خيائتي له .. كانى ارضى ضميرى وحى ..

وهاشم يسمع هذه الحكايات ، وينظر فى عينى كأنه يعرف سرى .. ثم لا يجيب .. او يرد ردا باردا ..

بل انى سألته يوما ، كانى اريد ان اثيره :

— تولى يا هاشم .. لما الواحده تتجوز واحد .. تعمل ايه ؟  
رگان لهذا السؤال اصل من الواقع .. فقد كنت اتمنى جدبا لو تزوجنى شاب اسمه شريف .. يسكن امامنا فى سيدي بشر .. واه صديقة الامى .. واخنة صديقة لى .. غنى .. مهذب .. نال بكالوريوس التجارة .. ووسيم ..

واجابنى هاشم فى هدوئه الذى يثيرنى :

— نقتعه بانها بنت كويسه وتصلح للزواج ..

وثررت فى وجهه صائحة :

— دهنى قصدك انى انا مش كويسه وما انفعش للجواز ..

قال وهو ينظر الى فى دهشة :

— انا ما قلتش كده ..

قلت وانا انتفض من جأته :

— امال ما بتتجوزينش ليه ؟

ونظر الى كأنه يلومنى لانى اطمع فى الزواج منه .. وقال :

— انا حاجة تاتيه ..

وعدت يولها الى البيت لابكى .. خيل الى انى فعلا لا اصلح للزواج ، وان هذا ليس رأى هاشم وحده ، بل رأى جميع

الرجال .. بدليل ان احدا ممن خرجت معهم لم يغتاضنى فى الزواج ..

وانتهى موسم الاسكندرية دون ان اخرج منه بشيء ، سوى بعض تمر التليفونات ، وبعض نمر السيارات ..

ولا شىء اكثر .. لم يستطع احد ان ينسينى حبي لهاشم او يخفف منه .. ولم يستطع احد ان يحررنى من حاجتى اليه ..

وبسات فى القاهرة اكرر نفس ما كنت افعله فى الاسكندرية .. احادث الشبان فى التليفون ثم اخرج معهم .. واضيف الى

القائمة شبانا جددا .. بل أضفت اليهم ابن عمى .. وكان ابن عمى اقربهم الى قلبى .. كان انسانا شادا ، بوهيميا .. يملك

سيارة فدية مهيمة ، بينه وبينها الفة عجيبة ، ويحبها كأنها كلبة .. ولا يستطيع احد غيره ان يقودها او يفهم اسرارها .. وكان

يسافر بها الى البحر الاحمر مع شتلة من الاولاد والبنات .. وذهبت معه اكثر من مرة .. ذهبت باذن من امى ، فهو ابن عمى .. ولا يمكن لاحد ان يعترض على رؤيتى مع ابن عمى .. ولكنى

لم ارحم ابن عمى .. استطعت ان اشد قلبه .. وامطيته اكثر مما اعطيت باقى الشبان .. ليس كل شىء .. فقط تركته يقبلنى

اكثر ويحبنى اكثر .. وكنت اطمع فى الزواج منه .. بنيت فى خيالى حياة كاملة معه .. وفرحت عندما اكتشفت ان اسمى

لن يتغير بعد الزواج منه .. امينة سالم .. وسأصبح بعد الزواج .. مدام سالم .. يا فرحتى ا كانى لا زلت طفلة ! ..

وقلت كل ذلك لهاشم .. قلت له انى اتمنى لو تزوجنى ابن

عمى .. وقلت له انى ذهبت معه فى رحلات البحر الاحمر .. مع شتلة كبيرة .. ولم اقل له للبقى .. لم اقل انى اتركه يقبلنى

.. او انى ارقد على شاطئ البحر بالمياه وهو راقد بجانبى ..

وراسى على كتفه .. طول النهار .. وان كل افراد الشيلة التى  
تسافر معنا ، تتركنا وحدنا ، وتفهم ما بيننا .. لم اقل له كل  
ذلك .. انى لا اقول الاربع الحقيقة ..

وهانس ينظر الى هذه النظرة الثابتة التى لا ادرى منها ان  
كان يصدقنى أم لا .. ويبتسم هذه الابتسامة ، التى لا ادرى ان  
كان يسخر بها منى ، أم يشفق بها على ..

كل ما لاحظته ان هاشم بدا يروى لى قصصا عن بنات ..  
بنات جاءت الى عيادته .. وبنات دعى معها الى سميراميس ..  
وبنات اميركية .. وبنات .. وبنات .. ولعله كان يقول ربيع الحقيقة  
.. فلم يكن يقول لى انه بينه وبين واحدة من البنات شىء ..  
وكنتم .. وهو يروى لى هذه القصص احاول ان اقلده فى بروده ،  
وفى قلة اكترائه ، ولكنى لم اكن استطيع .. كنت احتل مرة ..  
وانفجر فى المرة الثانية .. واتهمه بأنه يخوننى .. ولانى اخونه  
.. كنت واثقة انه يخوننى .. فاجن .. وادور بالتاكسى ابحت  
عنه كلما غاب عنى ..

ولم يتزوجنى ابن عمى .. ذهب .. قبل وظيفة فى الاسكندرية  
.. ولم يعد ...

ثم ..

حملت ..

حملت من هاشم ..

ليس هناك شك فى هذه المرة فى انى حملت منه ..

ولم تكن المرة الاولى التى احبل فيها منه ..

حملت مره ... منذ سنة .. ولكنى استطعت ان اتخلص من

حبلنى فى الشهر الاول .. وقمت صديقة من فوق السرير ..

واصطدم بطنى بحاجزه .. وبقيت بعدها اسبوعا فى السرير ..

وحاولت هذه المرة ان اتع من فوق السرير .. من فوق  
الاولى .. لعبت الحبل .. استحييت بها مغلى ..

ولا مائدة ..

انى لازلت حاملا ..

ومضى شهران وانا اخفى سرى فى بطنى ..

ثم ..

قلت لهاشم ..

ورفع الى عيقتين مذعورتين ، ثم تمالك اعصابه بسرمة ، وقال  
وهو يبتسم لى :

— بسيطة .. كيرتاج ! ..

وفلت بحدة !

— طبعاً .. انت حايهك ايه ... هو انت اللى حابوت ..

قال فى هدوء :

— انتى عارقه انها عملية ما بتموتش حد ، ما دام دكتور

كويس اللى بيعملها ..

قلت :

— لا .. مش حاعملها .. اتفضل اتصرف ..

قال بمحابة من الكدر تطوف بعينيته المتفتختين :

— زى ما انتى عايزه ..

قلت والدم يرتفع الى راسى :

— انا عايزه تنجوز ..

قال :

— ونخلف بعد خمسة اشهر .. مش كده ..

قلت :

— احسن ما اموت ..

قال :

— تلك مش حاتوتى .. وما تفكريش فى نفسك بس ..  
فكرى فى اللى حاتخلفية ..

عدنا نقاش ..

نقاشا طويلا مالا كل ساعات قضيتها معة خلال الاسبوع كله  
.. وهو مصر على رايه .. يخلق فى وجهى كل الأبواب الا باب  
الطبيب الذى يجهننى ..

انى ان قلت وانا ارتعد ودموعى فوق خدى :

— طبيب تيجى معيا عند الدكتور ..

قال وهو يمسك بيدى ويضغظ عليها ونظرة اشفاق تطل  
من عينيه :

— مش ممكن يا امينة .. مانيش راجل بيروح مع الست  
فى حاله اى دى .. حتى ولو كان جوزها .. ما تبقيش صغيره ..

قلت ودموعى ترتعش فوق اهدابى :

— انا خايفه يا هاشم ..

قال وهو يضغظنى الى صدره فى حنان :

— ما تخافيش .. لو ما كفتش مطمئن عليكى ، ما كانش  
ممكن اسيبك تعملى العمليه ..

واحدست ساعاتها انى لا اريد ان ارفع راسى من على صدره  
.. اريد ان اختبئ فيه .. اريد ان ابقى هنا .. لاهدا ..  
الاستريح .. لاطمئن .. لاهرب ..  
وبكيت ..

بعد يومين ذهبت الى طبيب يهودى تقع عيادته فى اول  
شارع سليمان بلاشا .. وذهبت وحدى .. ولم اكن اعرف هذا  
الطبيب من قبل .. ولا هاشم كان يعرفه شخصيا .. بل ان

هاشم لم يرشحه لى .. رفض ان يرشح لى احد اصدقائه الاطباء  
.. وتركنى اختار هذا الطبيب بعد ان سمعت اسمه يتردد كثيرا  
فى اوساط المطلقات ، كطبيب متخصص فى عمليات الاجهاض  
.. كل - فعله هاشم هو ان دفع لى اجر العمليه مقدما .. ودفع  
بسخاء ..

ودخلت عيادة الطبيب ، ودمائى هاربة منى .. وكل ما فى  
داخلى يرتعش .. قلبنى .. معدتى .. ركبتي .. خيل الى  
انى داخلة الى سلخانة .. هنا ، ساذبح .. واستقبلتنى الممرضة  
بنظرات وقحة ثابتة .. كأنها تبدى رايها علنا فى صنف النساء  
اللاتى يترددن عليها .. واشارت لى بيدها الى غرفة الانتظار  
دون ان تتكلم .. دون ان تبسم .. كأنى لا أستحق منها كلمة ..  
ولا ابتسامة .. وتركتنى وحدى .. تركتنى طويلا ، رغم انه لم  
يكن فى العيادة غيرى .. ودقات الساعة خبطات فوق راسى  
وأعصابى .. ثم لمحت من باب غرفة الانتظار سيدة خارجة من  
غرفة الطبيب .. مستندة على ذراع الممرضة .. وجهها اصفر  
.. لا ، ليس اصفر .. ابيض .. لون الفراغ .. لون الموت ..  
وعيناها مطفأتان .. وشفتاها باهتتان جافتان ، ترتعشان ، كأنها  
تتنفس بهما .. وألقها الممرضة على مقعد عريض .. ونركتها ..  
كأنها ألقت شيئا فى صندوق الزبالة .. ثم نظرت الى نظرة  
صارمة وجمدة .. وانصرفت .. والذعر يلا عيني .. انظر الى  
السيدة التى أمامى ، ويخيل الى انى انظر الى مرآة .. ارى  
نفسى هكذا .. نصف ميتة .. وتملكنى خاطر جارف بان اهرب  
.. اهرب من هذه السلخانة .. اهرب من الذبح .. ولكنى كنت  
مشدودة الى وجه هذه السيدة الملقاة أمامى كأنها نصف ميتة ..  
مشدودة بعيني وأعصابى .. كان هناك نداء خافيا ينطلق منها

ويدعوني اليه .. نداء لا يستطيع أن أقاومه .. كقدرى ..  
كمصري ..

وجاءت الممرضة واشتارت الى قاتلة بالفرنسية :

— تسبحى ..

ونشبت بمعدى .. لا .. لن استمع .. لن اذبح ..  
ظلت الممرضة واقفة أمامى تسلط على نظراتها القوية  
الوقحة .. كأنها تشلبنى ارادتى ..

وقمت إليها .. مسلوية الارادة ..

ومشيت وراءها ، أحاول أن الحق بها لاستند عليها ، قبل  
أن أقع .. ركبتي لا تتحملانى .. وأمعائى تتقلب حتى خيل  
الى أنى سألفظ الجنين قبل أن أصل الى الطبيب ..  
واستقبلنى الطبيب ..

رجل فى الخمسين .. ألمس الوجه .. كل شيء فيه ألمس  
.. لزج .. نظراته أوتج من نظرات ممرضته .. وأخذ يسلط  
على هذه النظرات فى جراحة كأنه يفكر فى الاعتداء على ..  
كانه يشتهينى ..

وقال وهو يشير الى سرير الكشف :

— تقضى ..

وتوقفت .. حاولت أن أتكلم .. قلت له انى زوجة .. وانى  
أم الابنة فى الثالثة من عمرها .. وانى حامل .. وانى اتفتت  
مع زوجى على أن أتخلص من الجنين الآن .. و .. و .. حكاية  
طويلة كنت قد أعدتها قبل أن أصل اليه .. ولكنه لم يكن يستمع  
الى .. كأنه سمع الكثير من هذه الحكايات ، ويعلم أنها كلها  
كاذبة .. انشغل عنى فى اعداد بعض أدواته .. ثم جذبته  
الممرضة الى سرير الكشف .. وساعدتنى فى خلع ثيابى .. ثم

تقدم ليكشف على .. كان يكشف على فى وقاحة .. يتحسنى  
كانه يتلذذ بى .. كأنه ينتقى القطعة التى ياكلها أولا .. ثم ابتعد  
عنى وهو يقول :

— بكرة الساعة حداثر .. وتعالى من غير انظار ..

وخرجت من عيادته كالفرخة الدائخة التى نجت صدفه من  
الذبح .. وقضيت نهاري ولىلى خائفة مذعورة .. أقرر فى  
دقيقة الا اذهب الى الطبيب ، وفى الدقيقة التالية أعدل عن  
قرارى .. وفكرت أن أطلع أمى على مصيبتى ، لتأتى معى ..  
حتى لا تتركنى اذبح وحدى .. ولكنى خفت من أمى .. فكرت  
أن أستعين بزوجة أبى ، وكانت أيامها لا تزال صديقتى ، ولكنى  
خجلت منها .. وتحدثت الى هاشم بالنثيون ليقوى قلبى ..  
ويشد أزرى .. حدثته بدموعى لعله يشفق على .. ولكنه كان  
رقيقا .. حنوناً .. حدثنى طويلاً ، على غير عادته .. ولكنه لم  
يشفق على .. كل ما فعله أن شرح لى العملية من الناحية  
العلمية ، ليثبت لى أنها ليست خطراً ..  
وذهبت فى اليوم التالى ..

وحدى أيضاً ..

ودمائى هاربة منى .. وقد رايت نفسى فى المرأة قبل أن  
أخرج من البيت .. ولم أكن أعتقد أنى يمكن أن أكون صفراء الى  
هذا الحد ..

وبكيت فى غرفة الانتظار .. بكيت فى صمت .. فهذا الطفل  
كنت أريد .. انه طفل الرجل الذى أحبته وتمنيته .. الرجل  
الوحيد الذى أردت طوال حياتى أن يكون أباً لطفلى .. ورغم  
ذلك مانى أقتله .. أقتل هذا الطفل .. لأن ليس من حقى أن  
أجعله من بطنى .. وليس من حقى أن أكون أما له ..

والتقيت بنظرات الطبيب الوقحة ..

وسندما اعطاني حقنة البنج ، خيل الى مرة ثانية ، انه يريد  
أن ينفقني وعبي ليعتدي على .. ولا أدري لماذا تملكني هذا  
الخطر .. ولكنه خاطر جهلاً خيالي كله .. وذعرت .. خيل  
الى اني اريد أن اصرخ لانادي هاشم ..

ولا أدري هل صرخت أم لا ..

غبت عن الوعي ..

ولم اعدا أدري ما يحدث لي ..

وافقت وأنا راقدة على سرير العمليات .. ثم جاءت الممرضة  
والبستني ثيابي .. وساعدتني على الوقوف .. وسحبنتني الى  
الدرفة الخارجية .. والفتني على نفس المقعد الذي القت عليه  
المرأة الأخرى .. وتركني .. وسكين يشق بطني .. ألم حاد ..  
وبميت على هذا المقعد ، وأنا اتصور نفسي في شكل المرأة  
الأخرى .. مسكينة .. كائى بقايا آدمية القيت في صندوق  
الزبالة .. وعقلي صاح ، وجسدى مخدر ، ولا أحس فيه  
الا الألم ..  
كم بقيت ..

ساعة .. ساعتين .. ثم بدأ الألم يخف .. وبدأت استرد  
قواي .. واستطعت أن أقوم من صندوق الزبالة .. وخرجت ..  
لو يودعني أحد الى باب العيادة .. ووقفت أمام باب المضعد ..  
مستعدة الى حاجز حتى لا أقع .. هزيلة .. ضعيفة .. أرى  
كل شيء من خلال ضباب ..

وما كدت أصل الى الشارع حتى رأيت هاشم في سيارته  
منتظراً أمام الباب .. وخيل الي اني أخرف .. اني احلم ..

واهتزت رموشى بعنف لتزيع من أمام عيني الضباب .. ولكنه  
هاشم ..

ونزل من سيارته بسرعة .. وتقدم مني .. وامسك بذراعي  
كأنه يخاف على أن أقع ، وكان يخيل الى اني سأقع فعلاً ..  
سأقع من الفرحة .. فرحة المفاجأة ..

وهمس هاشم في أذني :

.. الحمد لله على السلامة ..

وابتسمت ..

وقادني هاشم الى سيارته .. وأجلسني .. ثم لف حول  
العربة بسرعة ، كأنه سائق مهذب .. وجلس بجاني وهو يقول :  
— مش قلت لك انها بسيطة ..

وعدت ابتسم له .. وقد أصبح احساسى بالتعب تدللاً عليه  
أكثر من تعبنا ..

وعدد هاشم يقول :

— داوقتي تروحي البيت ، تنامي شوية .. وبالليل تقدرى  
تروحي سينما ..

وقلت في صوت خافت :

— لا .. بلاش توديني البيت أحسن ماما تلاحظ حاجه ..  
وديني بيت بابا ..

وأوصلني هاشم الى بيت أبى .. وكان رقيقاً حنوناً طوال  
الطريق .. جعلني أضحك .. وقد كان شيء في يضحك ضحكة  
كبيرة مذبذبة .. رأيت في انتظارى .. خيل الى ساعتها اني تأكدت  
من حبه .. انه يحبني .. مهما تظاهر بالبرود .. ومهما سيطر  
على غروره .. ومهما انشغل عني .. فهو يحبني .. ونسيت  
في احساسي بحبه كل ما تحملته .. نسيت الجنين الذي قتلته



منذ لحظات .. بل خيل الى ان هذا الجنين ربط بيننا اكثر ..  
قد جمعنا الي الابد .. كائى والدته .. كائى لم اقتله .. احسست  
فعلا باحساس الام ، عقب ان تضع مولودها ، وتنظر الى زوجها  
فى امتنان كأنها تشكره لانه منحها الامومة .. خيل الى انى انظر  
الى هاشم نفس النظرة .. نظرة الامتنان .. وخيل لى انه  
ينظر الى كما ينظر الى زوجته .. نظرة تقدير وشكر .. تقدير  
لامومتى ، وشكر لانى جعلته ابا ..

ولم تكن هذه المرة الاخيرة التى اجهضت نفسى فيها ..  
اجهضت نفسى كثيرا .. اربع مرات .. خمسا .. لا ادرى ..  
لقد اصبحت عمليات الاجهاض بالنسبة لى ، كخلع الضرس ..  
واصبحت نظرات الطبيب اليهودى الى نظرات ترحيب بعد ان  
اصبحت زبونة مستديمة .. ولكن هذه المرة الاولى هى التى  
لا ازال اذكرها .. وهى المرة الوحيدة التى انتظرنى فيها هاشم ،  
وابدى لى كل هذا الحنان ، واثار فى كل هذه المشاعر الحلوة ..  
وقد عشت شهورا فى هذه المشاعر ..

حاولت خلالها ان اكون محترمة .. اقلعت عن محادثة الشبان  
فى التليفون والخروج معهم .. وتجددت آمالى فى الزواج من  
هاشم .. تجددت اكبر واعنف ..

ولكن هاشم لم يتغير ..

عاد كما كان ..

عاد بملا حياتى بالفراغ الكبير .. ويثير فى الغيرة ..  
ويهملى : لالاحقه .. ويهملى اكثر لالاحقه اكثر .. ولا يريد  
ان يتزوج .. بل لا يريد ان يقول سببا معقولا يمنعه من الزواج  
.. فقط ، لا يريد .. ويخيرنى بين ان ابقى له بلا زواج ، او اتركه  
واتزوج ..

ولم اكن استطيع ان اتركه ..

ابدا لن اتركه ..

والح عليه فى الزواج ..

ويغضب ..

يخاصمنى ..

ولكنى لا استطيع ان احتل غضبه وخصامة ، اكثر من

يومين .. او ثلاثة على الاكثر .. ثم اعود اليه ..

راعود الح عليه ..

استجديه ان يتزوجنى ..

وامى فوق راسى .. تثير فى الخوف من ان يتزوج هاشم

غبرى .. وكل تقوده التى اودعها معها ، لا تسكت لسانها ..

ثم فكرت ان استعين بأخته ..

لم اكن قد رايت أخته من قبل .. ولكنى كنت احادثها فى

التليفون .. وكنت ادعى صداقتها فى احاديثى مع الناس ..

ومع مرور الأيام ، وكثرة لقائنا خلال التليفون ، اصبحت بيننا فعلا

نوع من الصداقة .. صداقة تليفون .. كنت استألفها عن الاولاد

.. وكانت تسألنى عن ماما وبابا وعم انها لا تعرفهما .. مجرد

مجالمة ..

واعتمدت على هذه الصداقة ، وهادئتها فى التليفون دون

ان اخبر هاشم ، وفى وقت كنت اعلم فيه انه فى العيادة ، وقلت

لها بعد ان وضعت فى صوتى رنة حزن عميق :

— اقدر اشوفك يا مديحه هاشم ..

وسكنت برهة كأنها تفكر ، ثم قالت كأنها تحاول ان تخفف

منى :

— عايزه تشوفينى لوحدى ولا مع ابيه هاشم ؟

قلت :

— لا ... لوحدك ... لو سمحتى .

قالت وهى تضحك ضحكة صغيرة تواسينى بها :

— لازم حاتشكيلى من أخويا ..

قلت بعد أن ضغطت على عبنى حتى انطلقت دموعى :

— انتى ما تعرفيش عمل فى ايه .. دى شكوى كبيره ..

ومش لاقيه حد أروح له الا انتى .. ما اقدرش أروح لما ..

ما اقدرش أروح لواحد من خالاتى .. ما فيش قدامى الا انتى ..

وقالت مديحة وأنا أحس بلهفتها على :

— طيب ما تعيطيش يا أمينة .. بكره زى دلوقتى تشرفينى

.. ونقعد على راحتنا ونتكلم سوى .. أنا كل واحد بتعرف

أخويا بتصعب على .. وانتى استحملتيه مده طويله .. أنا عارفه

استحلتية ازاي .. بكره تحكيلى على كل حاجه ..

وقضيت الليل انتقى الثوب الذى سأذهب به اليها .. واعد

الكلمات التى سأقولها لها .. كلمة كلمة .. بل أعد ابتسامتى

.. ودموعى .. وكل ما احتاج اليه الأصل الى قلبها ..

وذهبت الى المعادى ، بعد أن تعمدت أن انتقى لنفسى ثوبا

مخفية ، وتعمدت أن أخفف من زينتى قدر امكانى ..

وعائلة هاشم ليست أكبر من عائلتنا .. بالعكس .. عائلتنا

أكبر وأعرق ، حتى لو كانت عائلة هاشم أغنى .. ورغم ذلك

فقد شعرت برهبة غريبة وأنا ادخل بيته .. خيل الى انى أسير

فى حلم انتظرتة طوال عمرى .. وخيل الى انى قزمة فى عالم

مسحور .. أحسست بشخصيتى تضعف ، تضيق بين هذه

الأيام الواسعة .. وهذا الهدوء .. وآيات الورد .. وقطع

الأنث الضخمة .. والأوبيسون .. خيل لى انى فى مغارة رهيبة

لاكتشاف كنز الدكتور هاشم .. وليس معنى هذا أن بيت هاشم  
أنخم بيت دخلته .. لا .. لكنها شخصية هاشم .. الشخصية  
التي تسيطر على وتملكنى .. هى التي أشعرتنى بالرهبة ..

وقادنى السفرجى النوبى المذهب الى صالون جانبى ..  
وجلسنا وأنا أدير عيني فوق الجدران ، واتلصص بهما من خلال  
الباب .. ولم أنتظر طويلا .. جاءت مديحة تحمل بين شفتيها  
ابتسامة خبيثة ، وتحمل فى يدها علبة من زجاج البكاراه ملووة  
بالشيكولاتة ..

وقبلتنى فوق خدى قائلة :

— أهلا وسهلا ..

ثم ابتعدت عني قليلا ، لم اخذت تنظر الى من خلال ابتسامتها  
الكبيرة ، ثم قالت :

— لا ، ده انتى حلوه قوى .. أول مره أخويا يبقى ذوقه

كويس ..

وارخبت عيني فى خفر ..

وجلسنا احدانا بجانب الأخرى ، على أريكة واحدة .. وقدمت  
لى الشيكولاتة .. أخذت واحدة ، وأنا أرفع عيني اليها الأملأها  
منها .. انها أصفر مما كنت اعتقد .. هاشم كان يقول لى انها  
فى الرابعة والثلاثين .. ولكنها تبدو أقل من الثلاثين .. انيقة فى  
وقار .. وأكثر مرحا مما يعبر عنها صوتها فى التليفون ..

وتبادلنا كلاما كثيرا ، استطاعت به مديحة أن تريح أعصابى ،  
وتكسب ثقتى واطمئنائى .. ثم بدأت أروى لها حكايتى مع أخيها  
.. قلت لها كيف عرفتة .. لم أقل لها انى ادعيت المرض لأذهب  
اليه .. قلت لها انى كنت مريضة فعلا عندما التقيت به .. وقلت  
لها كيف تركت زوجى من أجله ، رغم انى كنت حاملا .. وقلت

قالت بسرعة :

— ما أعرفش تسيبيه ازاي .. انما اللي أعرفه ان أخويا  
مش حايته جوز .. دى ما ما قعدت تتحابل عليه انه يتجوز من  
يوم ما تخرج وبقي دكتور .. عرضت عليه أحسن بنات البلد ..  
ما فيش فايده .. وقبل ما تموت بتلات أشهر بس ، رضى انه  
يتجوز علشان يفرحها .. خطبنا له بنت مدهشة .. جمال ..  
وعيله .. وثقافته .. وأخلاق .. وأعلنا الخطبة فعلا .. والبنت  
حبته .. وماتت المرحومة ما .. ماتت فرحانة .. وبعد ما ماتت  
بتلاثة شهور بس .. يدوبك بعد الأربعين .. انلكك على سبب  
هايف وفسخ الخطبة ، وكسر قلب البنت .. ده حرام عليه ..  
حرام ومن يومها .. ما فيش فايده يتجوز .. وما اعتقدش انه  
ينفع فى الجواز .. أخويا فيه حاجات كثير كويسه الا حكاية  
الجواز دى ..

وبكيت ..

لم أفعل البكاء ..

ولكن بكيت فعلا .. وبكل دموعى ...

ومديحة تربت على كتفى .. وتضفط على يدي .. وتمسح  
على شعري .. وهى تقول :

— انا بالقولك الحقيقة يا أمينة .. مثن عايزه أضحك  
عليكى .. لازم تسيبيه .. اتسبه .. كل حاجة بتتنسى ..

وتنهدت تنهيدة عميقة ، وقالت فى صوت خافت :

— كل واحد فى حياته حاجة اضطرت تنساها ..

ولم أستطع ان أناقشها طويلا ..

انها كآخيا .. تصدمك بالحقيقة .. بلا رحمة ..

وأخذنى الى الحمام لأغسل وجهى بعد بكائى الطويل ..

لها كيف احتملت الاشاعات التى ثارت من حولنا .. وقلت لها كيف  
احتمل سخط أمى وأبى وعائلتى .. وكيف أعرض مستقبل ابنتى  
كله للخطر من أجله .. وافضت طويلا فى الحديث عن ابنتى ..  
فهى ايضا لها ابنة .. وقد يرق قلبها لى .. ثم قلت لها انى منذ  
ثلاث سنوات وأنا رفض كل خاطب يتقدم الى .. فى انتظار  
ان يتقدم هاتين .. و .. فهو مع كلمتى ..

واسنمعت الى فى هدوء وصبر .. لم تتأطعنى .. الى ان  
قالت وأصابها تعبث بعضها فى بعض لتخفى غضبها :

— والله مش عارفه أقول لك ايه يا أمينة ..

ثم سكنت قليلا واستطردت قائلة :

— هو وعدك بالجواز ؟

ونظرت اليها كاتى الومها .. وقلت :

— تقريبا .. ولكن حتى لو ما كنش وعدنى بالجواز .. كان  
بيحبنى .. ولغاية دلوقتى يفهمنى انه بيحبنى .. وهو عارف  
آخرة الحب ايه ؟

وعادت تقول :

— انتى عايزه رأيى ..

قلت فى مسكنة :

— أيوه ..

قالت وهى تزغر كأنها ضاقت بفظائح أخيها :

— سيبه .. سيبى أخويا .. غلطتك انك فضات معاه

لغاية دلوقتى .. ما كانش حد ممكن يستحمله كل ده الا انتى ..

قلت لها وأنا أشبهق ، وقد فوجئت برأيها .. رأى قاس

يسد كل الأبواب :

— اسببه ازاي بس ..

دخلت غزفتى وارتميت على فراشى وعيناي معلقتان فى  
السقف ..

قررت أن اتسى هاشم ..

وكنت مخلصه فى محاولة نسيانه ..

صدقونى ..

كنت مخلصه فعلا ..

وكل هذه النار التى احرقته حياتى ، شسبت الانى حاولت  
نسيانه .. كل يوم من ايامى التى مرت بعد ذلك ، لويته بيدي ،  
الاصنع منه آلة حادة اقطع بها ما بينى وبين هاشم .. ولم اكن  
ادرى انى اقطع فى نفسى .. فى قلبى .. فى عقلى ..

ما هو النسيان ..

هو أن استبدل بقلبي قلبا جديدا ..

وأن استبدل بعقلي عقلا جديدا ..

وأن استبدل بجسدى جسدا جديدا ..

كنت اعتقد أن هذا هو النسيان .. وكنت اعتقد أن هذا ممكن  
.. ولكن .. لا .. ليس هذا هو النسيان .. ولا يمكن أن  
تغير على قلب جديدا ولا عقل جديدا ولا جسم جديد .. القلب  
واحد ، والعقل واحد ، والجسد واحد .. الى أن تموت ..

والنسيان هو أن تحتل جرح قلبك الى أن يندمل .. وتحتل  
جرح عقلك الى أن يجف .. وتحتل جرح جسديك الى أن يلتئم ..  
أن تحتل العذاب الهائل المريع ، شهرا .. شهرين .. سنة ..  
سنتين .. الى أن يجف العذاب .. وحتى بعد أن يجف العذاب ،  
سيترك وراءه اثرا مشوها ، كالشرخ فوق لوح الزجاج .. وتميش  
طول عمرك بقلب مشروح ، وعقل مشروح ، وجسد مشروح ..  
ليس هناك انسان استطاع أن ينسى .. أبدا .. كل

ونظرت الى الجدران القيشاني .. وادوات الزينة الانيقة المعلقة  
فوق السوفى .. كانى اودع كل شيء اراه .. وخرجت ..

خرجت وأنا اكره مديحه ..

اكرهها واحقد عليها ..

انها تستطيع أن تقول لى ببساطة .. انسيه .. لانها ليست  
هى التى ستتحمل ألم النسيان .. انها لم تفكر فى انى قد  
لا يستطيع أن تحمل هذا الألم .. قد لا انساه .. والا لكنت  
انتقت لى نصيحة أخرى غير النسيان .. ولوقفت بجانبى حتى  
تجبر اخاها على زواجى ..

ولكن ..

انسيه ..

هكذا ببساطة ..

انى اكرهها ..

واكره هاشم أيضا ..

وعقلي يغلى طول الطريق ..

الى ان وصلت الى البيت .. واندمعت نحو امى قاتلة كانى  
اصرخ :

— ماما .. أنا خلاص حاسيب هاشم .. شوفى لى واحد  
اتجوزه ..

وتالت امى والفرحة تزغرد على وجهها :

— بركة يا بنتى .. خلاص .. من بكره يجيلك العريس ..  
اهى خالتك نعيمه جاييه عريس بالدنيا كلها .. اسمه حسن  
عبد الكريم .. مهندس .. وابن باشا من بتوع زمان ..  
ولم ارد عليها ..

ما يستطيعه الانسان هو أن يزيح ذكرياته من أمام عينيه ، ويضعها  
فى مؤخرة رأسه .. وعملية الأراحة هذه هى العملية الصعبة ..  
هى العذاب الأكبر .. عذاب لا يستطيع كل انسان أن يحتمله ..  
ولم احتمله أنا ..

وكنيت اعتقد انى أستطيع احتماله .

كنت اعتقد انى يكفى أن اتخذ قرارا بأن اهجر هاشم ثم  
أتزوج .. وينتهى كل شيء .. أفيق من هذه الحياة الطلقة المهوشة ،  
لاعيش فى استقرار وهدوء .. كما تعيش ابنة عمى مع زوجها  
وأولادها .. وكما تعيش ابنة خالتي .. انى لست أقل منهما ..  
انا أجمل منهما وأذكى ، وأولى منهما بسعادتهما .. كنت اقول  
لنفسى هذا الكلام .. ثم أعود وأذكر نفسى بالمرات السابقة التى  
حاولت أن أنسى فيها هاشم وفشلت .. وأقول لنفسى .. يا بت  
مش حانتقدري .. ده انتى واقعة لشوشتك .. مش ممكن  
حاتسببيه ، ولا حانتسبيه .. ولكى أشد ارادتى ، وأعود أحاول  
أن أقنع نفسى بأنى لم أكن جادة فى المرات السابقة .. كنت  
لا أزال أمش فى بعض الأمل .. ولكننى الآن فقدت كل الأمل ..  
والياس من هاشم سيعيننى على هجره ونسيانه ..

ومر يوم ولم أتصل به ..

ولم بحاول أن يتصل بى .. ليس من عادته أن يتصل بى  
إذا لم أتصل به ..

وحاولت أن أشغل نفسى فى هذا اليوم بكل شيء يبعدنى عن  
التليفون .. التفتت بأى حتى تحمينى من نفسى .. ولعبت  
الكثبينة مع اخوتى .. وذهبت معهم الى السينما فى حفلة الساعة  
الثالثة .. ثم خرجت مع أمى فى المساء لزيارة احدى خالاتى ..  
ونمت ..

نمت وكل عقلى وكل قلبى مع هاشم .. ترى ماذا فعل فى  
هذا اليوم .. هل اشتاق الى .. هل تنبه الى انى لم احادثه  
فى التليفون .. هل قالت له أخته انى ذهبت الى زيارتها ..  
هل ذهب الى لقاء فتاة أخرى .. لعله حمد الله لانى أخليت له  
الطريق فالتقى بهرفت دون أن يخشى ملاحقتى .. والغيرة تعصف  
بى .. وتخف الغيرة حيناً لتتقلب الى شوق .. والحنين اليه  
يقرصنى فى قلبى ، ويشد من جسدى ..

وقمت فى اليوم التالى .. والفراغ يمتد أمامى .. الملل  
.. والزهد .. والخطوات البطيئة المتكاسلة .. ولكننى لن أتصل  
بهاشم .. مستحيل .. أن ارادتى قوية .. وقرارى نهائى ..  
ولكن .. لعل من حقه أن يعلم بهذا القرار .. انى لا أستطيع أن  
اهجره هكذا ، دون كلمة وداع .. ثم أنه صاحب حق على ..  
أربع سنوات من عمرى ليست شيئاً هيناً حتى أستحبها منه  
بلا كلمة .. و ..

ورفعت سماعة التليفون واتصلت به ، وسمعت صوته منطلقاً  
طبيعياً كأنه لم يشعر بأنه مر يوم دون أن أتصل به .. وقال :  
— كنتى مين .. ما تكلميش أمبارح ليه ؟ ..

قلت فى وقار وقلبى يخفق لصوته :

— وحشتك ؟ ..

قال :

— طبعاً ..

قلت وأنا أضع رنة تحد فى صوتى :

— يظهر حاوحشتك على طول ..

قال وقد هذا انطلق صوته :

— قصدك ايه ؟ ..

قلت :

— خلاص .. حاتخطب ..

وسكت ..

سكت برهة طويلة ..

وقلت وكاني شامته فيه :

— رعلت ..

قال وفي صوته حشرجة طفيفة :

— أبدا .. بس اتفاجئت ..

قلت متهمكة :

— على كل حال أنا عملت زى اختك ما وصتني ..

قال في أسي :

— أختي لها حق .. وانتى لك حق ..

وسكت قليلا ثم قال .

— ومين الخطيب المره دى ..

قلت كاني أغبطه :

— واحد كويس قوى ..

قال :

— اسبه ايه ؟ ..

قلت :

— ما اقدرش اتقول لك ..

قال :

— ما دام كويس .. مش عايزه تقولى اسبه ليه ..

قلت :

— مش دلوقتى .. يمكن اتقول لك بعدين .. المهم انى مش  
حالقدر أشونك بعد كده ..

قال وهو يتنهد :

— برضة أحسن ..

واغتظت .. كنت أريده أن يطلب لقائي ولو لآخر مرة ..  
كنت أريده أن يتوصل الى .. أن يبكى .. أن يشعرني بأنه  
لا يستطيع أن يستغنى عني .. لا يستطيع أن يعيش بدوني  
.. وربما كنت ذهبت اليه .. بل قطعاً كنت سأذهب اليه لو طلب  
لقائي ، فقد كانت كل قطعة منى تحن اليه .. ولكنه لم يفعل ..  
تركنى لقرارى ..

واعدت سماعة التليفون وأنا نادمة .. نادمة لأنى حادثته ..

وانقضى اليوم أثقل من سابقه .. وجاءت خالتي سعيدة  
لتحدثني عن العريس الجديد .. عريس لقطه .. وهو فعلاً  
لقطة .. ولكنى كنت استمع الى حديثها في برود .. ليس هناك  
أمل يحرك ذمائي ، أو يثير لهفتي .. كنت يائسة .. اكتشفت  
أنى بنسيت من نفسى منذ قررت أن أياس من هاشم ..

وجاء العريس ..

حسن ..

شاب في الرابعة والثلاثين .. استبر .. حلو التقاطيع ،  
يحمل فوق وجهه شاربا كثا كبيرا ، أكبر من سنه .. ربما اقتبسه  
من الانجليز عندما كان يتلقى علومه في إنجلترا .. وضحكت  
لشاربه عندما رايتة لأول مرة .. ولمحت الفرحة في عينيه عندما  
رأى كأنه لم يكن ينتظر ان يجدنى جميلة الى هذا الحد .. انه  
من الناس الذين لا يرون صدرى الصغير ، ولا ظهري المنسوج ،

ولا يعتقدون أن عيني الواسعتين جاحظتان ، أو أن بشرتي  
البيضاء صفراء ..

وجلست أمامه وأنا أدعى خنر العروس وهدوءها ..

وهو ثابت الشخصية .. جرىء .. لم يربك .. ولم يتلعثم  
.. رغم ترحته بي التي تبدو في عينية .. ولم تنقص لحظات  
حتى ملك الحديث كله .. وأثار ضحكات أمي .. وقهقهة زوجها  
.. وفي خلال حديثه كنت ألح عينية يتفحصاني .. يستقطن  
على ساقبي .. ويرتفعان إلى صدرى .. ويتوقفان عند شفتي  
.. وربما جرائه لم تجرحني ..

وتحسب له زوج أمي إلى حد أن أمر على أن يدعوه ليلتها  
إلى العشاء .. وفتح له زجاجة ويسكي .. وزوج أمي لا يفتح  
زجاجة ويسكي إلا في المناسبات العزيرة ..

وأمتلا الليل بالضحكات التي أثارها نكات حسن وتعليقاته ..  
وعندما هم بالانصراف أمسك بيدي وضغط عليها ضغطة  
واضحة جريئة ، ورفع إلى عيني الفرحتين بي ، ثم انحني يقبل  
يدي ..

وسرت قبلته حتى كوى ..

لا أكثر ..

وسحبته منه يدي ، وأنا أنظر إليه وأبتسم في خنر ..  
لا زلت أمثل دور العروس ..

وبعد أن خرج ، سألتني أمي والفرحة تزغرد على وجنتيها :  
— إيه رايك باه ؟ ..

قلت بلا مبالاة :

— باين عليه جُدع كويس ..

وصاح زجج أمي :

— كويس بس .. ده لقطه .. علم ومركز وعيله .. عمرك  
ما حتلاقي أحسن منه ..

وأبتسمت لزوج أمي كأني أطلتة .. ودخلت غرفتي أفكر  
في حسن .. ووجدت نفسي أقارن بينه وبين هاشم .. أنه لا يقل  
عن هاشم .. لا في المركز ولا في العيلة .. ربما يقل عنه في  
شهرته .. هاشم كطبيب أشهر من حسن كهندس  
ويختلف عنه في الشخصية .. كلاهما له شخصية تبرز في أي  
مجتمع .. ولكن شخصية هاشم أثقل في وزنها من شخصية  
حسن .. وكلاهما وسيم .. ربما لو كان أنف حسن أكبر قليلا ،  
لأصبح في وسامة هاشم ..

ولكني وجدت نفسي بعد قليل أفكر في حسن من وجهة نظر  
هاشم .. لم يعد المهم هو رأيي في حسن ، بل رأي هاشم فيه ..  
وأخذت أتصور ماذا يمكن أن يقول هاشم عن حسن .. عن شكله  
.. عن مركزه .. عن عائلته .. وهل يمكن أن يفار منه ..  
ثم أخذت أنساق وراء أحلام كالأحلام الأطفال .. تصورت نفسي  
ألتقي في سهراميس مع حسن .. وهاشم جالس في مائدة  
مواجهة ينظر إلينا في غيظ ونكد .. وأنا أميل على حسن وأضع  
رأسي بجانب رأسه ، ونضحك .. ثم أنظر من طرفي عيني إلى  
هاشم لأشرب من غيظه ومن نكده .. ثم تستطرد بي الأحلام  
.. فأتصور أن هاشم أيضا معه امرأة أخرى .. وأتصور حالي  
.. هل أستطيع أن أبتسم ساخرة .. هل أستطيع أن أهز كتفي  
بلا مبالاة .. لا .. لن أستطيع .. ربما قمت وأتصرفت ببجرتي  
أن أراه مع أخرى .. ربما صرخت .. ربما هجعت عليها وأنشبت  
أظافري في وجهها .. وأحسست بقلبي يرتعش لجسرد هذا

التصور .. أحسست بدمائى تتور .. رأسى يلتهب .. عيناى  
تشقان ظلام الغرفة الأناكد أن ما أتصوره هو مجرد تصور ..  
وأنى لم أر هاشم .. فى سميراميس مع أخرى ..

وانتهيت الى انى أصبحت افكر فى هاشم وحده .. نسيت  
حسن .. وبدأت قول لنفسى كلاما يفتعننى .. لماذا قررت ان  
أهجر هاشم الآن .. لماذا لا انتظر الى أن تعلن خطوبتى رسميا  
ثم أهجره .. قد لا تعلن الخطبة .. قد يحدث أى شىء .. فلماذا  
لا أحتفظ بهاشم حتى آخر يوم .. انى فى حاجة اليه .. وأنا  
أشعر وهو معى بانى قوية .. أستطيع على الأقل أن أتمتع  
فى الرجل الذى سأتزوجه ، ولا أرمى عليه لمجرد الخلاص من  
هاشم ..

وتملكى هذا الضعف ..

وكتبت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ..  
والبيت كله نائم ..

وتسللت على أطراف أصابعى الى التليفون ، وعدت به الى  
غرفتى ، وأدرت رقم هاشم .. فى البيت .. وسمعت صوته  
.. أنه يضع التليفون دائما بجانبه عندما يكون فى البيت .. إنه  
طبيب ..

وقلت فى صوت هاشم ، رغم أنه لم يكن هناك داع للهمس :  
— أزيك ..

وقال وهو يقلدنى فى همس :

— أزيك انتى ..

وهمست :

— أنت فاضى بكره الساعة أربعة ؟

وهمست :

— آه ..

وهمست :

— طيب حاشوفك بكره .. تصبح على خير ..

وضعت سماعة التليفون ، وقمت أتسل وأمدت التليفون  
الى مكانه ..

ولم أندم ..

استرحت ..

ونمت ..

وذهبت اليه فى اليوم التالى .. وكتبت أشعر بانى قوية  
وأنا ذاهبة اليه .. قوية فى شخصيتى ، وفى اعتزازى بنفسى  
.. قوة أستمدّها من حسن .. فلم يعد هاشم هو الرجل الوحيد  
فى حياتى .. لم أعد فى حاجة اليه لاتزوج .. انى أستطيع أن  
أتزوج غيره بسهولة ..  
وكان فى انتظارى ..

فتح لى الباب .. ووقف ينظر الى ، كأن كل حبه تجدد فى  
لحظة واحدة .. ولا أدري لماذا شعرت ساعتها بأنه مهتز ..  
فيه شىء مهتز .. وابتسمت له ابتسامة قوية كأنى أشفق عليه  
.. أتعطف عليه ..

والقى نظرة سريعة على أصابع يدى ، كأنه يبحث فيها عن  
شئ .. فلم يجد فيها سوى دبلة الفضية .. واتسعت ابتسامته  
.. ثم أخذنى بين ذراعيه .. وضمنى اليه فى حنان عجيب ثم  
أشعر به منه من قبل .. كأنه يستريح فى صدرى .. ثم أبعدنى  
عنه وابتسامته لا تزال تملأهمة .. وقال :

— انتى صحيح اتخطبتى ..

وهزئت رأسى وقلت :



— تقريبا ..

قال وهو ينظر في عيني كأنه يبحث عن الحقيقة :

— تقريبا يعني أية ..

قلت وأنا أبتسم في تدلل :

— يعني كان عندنا إمبراح لغاية نص الليل ..

وأدار لي ظهره ، وقد انهار وجهه حتى خيل إلى أن انه  
سيمع من مكانه ، وتقدم من المكتبة الصغيرة والتقط كتابا ،  
أخذ يقلب فيه كعادته عندما يغضب ..

وقلت في لهجة قوية :

— هاشم .. ما تعملش كده .. لازم تشجعني على اني  
أخطب .. وأتجوز .. انت عارف اني مش ممكن أعيش بالشكل  
ده على طول ..

قال وهو يحاول أن يسترد بروده وغروره :

— يعني عايزاني أعمل أية ؟ ..

قلت :

— عايزاك تبقى لطيف معايا ..

قال :

— لو كنتي عايزاني أشجعك على الجواز يبقى لازم ماكتش  
لطيف معاكي .. لازم أخليكي تكرهيني ..

قلت وأنا أقترب منه :

— انت عارف ان عمري ما حاكرك .. ولو حاولت تخليني  
أكرهك ، حاتعلق بيك زياده .. لو كنت عايزني أتجوز بصحيح  
خليك لطيف معايا لغاية ما أتجوز .. لغاية ما أقدر أستغنى  
عك ..

قال وهو يلقي الكتاب من يده وينظر في عيني :

— واقدر اكون لطيف ازاي وانتي كنتي قاعده مع واحد تاني  
لغاية نص الليل ..

وقاطعته وأنا أنصق به :

— بتغير على للدرجة دي يا هاشم ..

قال وهو يشيح بوجهه مني :

— مش غيره .. مبدا .. مبادئ يا أمينة .. لازم تعرفي  
ان مش ممكن تكوني لرجلين في وقت واحد .. الجواز اللي  
فاتت ، استحملناها لأنك كنت متجوزه غصب عنك ، ولأنك  
أتجوزتي قبل ما تشوفيني . انما الدور ده بتتجوزي بارادتك  
.. ما لكيش عذر .. ولا لي عذر ..

قلت وأنا أطوق عنقه بذراعي :

— عذري اني لازم أتجوز وعذرك انك مش عايز تتجوز ..  
ورفع يديه ليزيح ذراعي من حول عنقه .. وهو يقول :

— ده مش عذر .. ده موضوع تاني .. ده ..

وقبل أن يتم ، أسكتة بشفتي ..

ذابت بقية كلماته فوق لساني ..

وذبت في قبلته .. ذبت .. كاني لم أقبله منذ مائة سنة ..  
وكل قطعة مني تتمسح فيه .. وجسدي الذي شققه العطش ،  
يشرب ..

ولكن هاشم تغير

ليس عنيفا ..

لا يضربني ..

أخذني برفق واحترام .. كاني شيء كبير محترم .. وفي  
عينيه نظرة ضعيفة مبتهلة .. كأنه يودعني .. أو كأنه يأخذ

شيئا لم يعد من حقه .. أو كأنى أصبحت أقوى منه لجرد أن  
رجلا آخر تقدم ليخطبني ..  
انى لا أريده هكذا ..  
لا أريد أن أكون أقوى منه .  
لا أريد أن أكون محترمة ..

أريده عنيفا كما تعودته .. يضربنى .. يمزقنى .. يلوى  
خصلات شعري بين أصابعه .. وفى عينيه هذه النظرة التى  
تخيفنى . كأنه سيخفنى .. سيشرب دمنى .. سيأكلنى ..  
و ..  
وانشبت أظافرى فى كتفه العاري .. بكل حدتها .. فصرح  
.. وضربنى ..

ورغم ذلك .. فبعد أن انتهت هذه اللحظات عدت أمتنع  
باحساسى بالقوة .. قوتى عليه .. وتمتعت بنظريته للضعيفة  
وهو يسألنى فى لهفة :  
— حاقدر أشوفك تانى ؟ ..

وقلت ونا ابتسم ابتسامة واثقة فيها خيلاء :  
— مش عارفه لسه ..  
وخرجت وأنا أدب الأرض بكعب خذائى العالى فى خيلاء  
كأنى فتحت عكا .. كأنى إمبراطورة زمانى ..  
وقد عدت اليه ..

عدت مرات كثيرة ، وأنا اتعلل بأن خطبتى الى حسن ثم  
تعلن بعد .. ويوم تعلن لن أذهب اليه .. سأقطع ما بينى وبينه ..  
وحسن يتردد على البيت كل يوم ، يحل شاربه الكث تحت  
أنفه ، ويحل فى يديه هدية .. ولكنه يأتى وحده .. المفروض  
أن تأتى معه أمه ، أو أبوه ، أو احدى أخوته البنات ، حتى نبدا

فى اتخاذ إجراءات الخطبة .. أبوه مسافر .. أخته دخلت  
المستشفى ..

ولم اصدق كل هذه التعللات ..  
وانخفت ..

خفت أن يكون قد سمع شيئا عن حكايتى مع هاشم ..  
ومنذ أن جاء ورايته لأول مرة ، وأنا أسأل نفسى هذا السؤال  
.. هل يعرف شيئا .. وطماننتى مواظبتة على التردد على البيت ،  
واستمراره فى مشروع الخطبة .. ولكنى عدت أخاف ..  
والخوف يضعفنى أمام هاشم ..  
الى أن كان يوم ..

وجاء حسن كعادته .. وبعد أن جلس مع العائلة كلها بعض  
الوقت ، نظر الى نظرة طويلة ، وعلى شفثيه ابتسامة باهتة .  
ثم التفت الى أمى قائلا :  
— أقدر أقعد أنا وميتو لوحدا شوية ؟ ..

والتفتت أمى الى زوجها ، ثم ترددت قليلا ، وقالت :  
— وماله يابنى .. ده حقا ..

وكانت أمى حريصة حتى هذا اليوم على ألا تتركنا وحدنا  
أبدا ، حتى تدخل فى وهم حسن أننا عائلة محافظة .. ولكنها  
اضطرت أمام نظرة حسن الجادة ، أن تذهبن لطلبه ..  
والتفتت الى حسن وقال :  
— تحبى نقف فى الفرانده شوية ؟

وهزرت راسى بالموافقة ، وخرجت الى الشرفة وتلبنى  
يرتجف ، واستندت على حاجزها ، أطل على الشارع ، وجاء  
حسن ورائى ووقف بجانبى .. وأشعل سيجارة .. وصمت قليلا  
.. ثم قال ودخان سيجارته يتخلل شعرات شاربه الكث :

— أنا حاكلك بصراحه يا ميتو .. مشى حا اخبى عنك حاجة ..  
واللى يخلينى اكلك بصراحه ، انى فعلا اتمنى اليوم اللى  
نتجوز فيه .. أنا حاسس من دلوقتى انى باحبك .. وباحبك  
قوى كمان ..

ورفع اليه عينى الواسعتين ، ثم خفضتهما ، دون ان اتكلم  
.. لم أجد شيئا اقله ..

واستطرد حسن قائلا :

— أنا اى واخواتى ، معارضين فى جوازنا ..

ورفعت راسى اليه فى لفنة عنيفة ، كأتى ضقت بخوفى  
وارتجافة قلبى ، وقلت والدماء تتجمع فى راسى :

— أنا كنت حاسة بكده .. واحب اقول لك من دلوقتى  
اننا مش ممكن نتجوز الا اذا كانوا اهلك موافقين .. وييجوا  
يخطبونى كلهم ..

وقال كأنه يعتذلى :

— أرجوكى يا ميتو .. استحملى كلامى للآخر .. لازم  
نتكلم بصراحه .. ومن غير زعل .. أنا حاسس انك تقدرى  
تفهمنى اكثر ما اهلى يقدروا يفهمونى ..

وعدت اطل من فوق حاجز الشرفة ، وقلت :

— انتفضل اتكلم ..

قال :

— اننى عارفة الامهات ، وعظيمة الامهات .. امى كانت  
الاول بتعارض لانك سبق اتجوزت ولانك مخلقة .. وطبعاً هى  
فاهمه ان ابنتها صغير وما يصحش انه يتجوز واحده مطلقه .  
واحسست انه يشتمنى ، ولكنى بقيت صامته .

وعاد يقول :

— وطبعاً ده كلام فاضى .. وأنا عارف انى اقدر اقنع امى  
.. وعارف ان امى مستعدة تضحى بكل آراءها علشان سعادتى  
.. انها فيه موضوع تانى ..

وعدت ارفع راسى اليه ، وعاد قلبى يرتجف ، وقلت وأنا  
احاول ان اضع على شفتى ابتسامة ساخرة :

— خير ..

وقال وهو يدير عينيه عنى :

— سمعت انك تعرفى .. او كنت تعرفى الدكتور هاشم  
عبد اللطيف .. وفضلت تعرفيه مده طويله ..

ومسقط قلبى فى قدمى ..

ويقتت كما أنا ، اطل من فوق حاجز الشرفة ، دون ان التفت  
اليه ، وقلت وأنا احس بشوكة فى زورى :

— سمعت من مين ؟

قال كأنه يواسينى :

— بن اخواتى البنات .. والحقيقة ناس كثير عارفين  
الحكاية دى ..

والتفت اليه والدموع تنبثق من عينى ، وقلت :

— انت عايز الحق .. ايوه كنت اعرفه .. قعدت سنتين  
اعرفه .. وكان مغروض نتجوز .. ومتجوزناش .. وسببته  
.. وما كانش ممكن انى اقبل اتخطب لك الا اذا كنت سببته ..  
وغلبتنى دموعى ..

بكيت من الغيظ .. بكيت من خوف الفشل ..

ونظر الى حسن فى حنان ، وقال كأنه يريد ان ينتهى من  
الموضوع حتى آخره :

— اقدر اعرف ما تجوزتوش ليه ؟ ..

قلت بسرعة :

— لأنه سافل .. زى اى واحد بيعرف بنت ولا بيتجوزهاش ..

قال فى هدوء :

— كنتى بتحببيه ؟ ..

قلت بحدة وأنا أنظر إليه فى غضب :

— طبعا كنت باحبه .. أمال كنت حا اعرفه ليه ..

قال وهو لا يزال هادئا :

— ولسته بتحببيه ؟ ..

قلت وأنا أزداد حدة :

— لا .. لو كنت لسته باحبه كان زمانى لسه معاه .. قلتك

سبته .. وكفايه يا حسن .. كفايه .. انت مالكنش حق تحقق معايا .. أنا مش واحده خافتك ولا ضحكت عليك .. احنا لسه ما تجوزناش علشان تعذبني بكلامك .. أنا قلت لك على كل حاجه ، وبعد كده انت حر ..

وهممت أن أتركه .. ولكنه أمسك بيدي فى رفق ، وقال :

— أنا آسف يا ميتو .. انما كان لازم أقولك كل اللي فى

قلبي .. أنا أترددت كثير قبل ما أفتحك فى الموضوع ده .. بقالى سبعة أيام ما بنمش .. وأنا مقدر صراحتك .. ماتقدريش تعرفنى أد إيه أنا استعداد لاني اعترفت لى بكل حاجه .. الاعتراف لوحده معناه أنك أحسن بنت فى مصر .. معناه أنك ست الستات كلهم ، وأشرفهم .. وائتى عارفة ائى عشت فى انجلترا .. ماتيش مقول ولا شيخ طريقه .. وعارف أن كل بنت ضرورى فى حياتها راجل قبل جوزها .. ومش عيب .. انما أنا عايزك تسيبيني أفكر يومين .. فيه حاجه لازم اتخلص منها قبل ما آخذ قرارى .. و ..

وقاطعته قائلة فى حدة :

— فكر زى ما انت عايز ..

وهممت أن ادخل الى الغرفة .. ولكننى تفكرت زوج امي

.. فتوقفت وقلت له ، وأنا امسح دموعى :

— حانقون لما وجوزها ايه !

قال :

— حا أقول لهم ائى لسه باقتع امي ..

قلت :

— من فضلك ما تقلهمش حاجة .. روح دلوقتي حالا ..

ومش ضرورى ترجع ..

وقال وهو يبتسم ابتسامة حزينة :

— حاضر ..

ثم دخلنا معا الى الغرفة .. وامى تبخلق فى وجهى لتقرا

فوقه ما تبادلناه من حديث ..

وصاح حسن امي وزوجها وقبل اخوتي الصغار .. وخرج

معتذرا بأنه على موعد .. وصاح زوج امي ورائى بلهجته العسكرية :

— مالك ايه ؟

قلت وأنا ادخل غرفتي :

— بعدين مايا تقولك ..

ودخلت غرفتي ..

ولحقت بى امي ..

وقلت لها ما قاله لى حسن .. قلت لها ان امه واخوته

معارضين فى زواجه منى ، لاني مطلقة .. ولان عندي ابنة ..

ولاني اعرف هاشم ..

دقت أبى على صدرها ، وقالت :

— طار الرجل ..

ثم التفتت الى بكل عينيها قائلة :

— وقلتى له اية على سى هاشم بتاعك اللى مهبب عيشتنا ،  
وخارب بيتنا ..

قلت رانا انظر الى السقف :

— قلت له اتى كنت أعرفه وسبته ..

وعادت تدق على صدرها قائلة :

— وده اسمه كلام ده .. كان لازمته ايه تقولى له انك  
كنت تعرفى هاشم .. اذا كانت الناس فاضحاكى ، مش ضرورى  
تنفضحى نفسك ..

قلت وانا لا زلت انظر الى السقف :

— كده أحسن ..

وصرخت والدموع تنطلق من عينيها :

— ولا أحسن ولا حاجة .. أعمل اية بس ياربى .. يا رب

حرام .. حرام .. حرام تميل بخت البنت بالشكل ده ..

ثم خرجت تمنسح دموعها ..

وانا لا زلت انظر الى السقف ..

هل كان الأفضل لى أن أنكر علاقتى بهاشم .. وأصر على  
الإنكار .. لعله كان يصدقنى ، ويكذب كل الناس .. أم كان  
الأفضل هو ما فعلته .. هو أن أعترف .. اتى لم أعترف  
بلا تفكير ، بل فكرت بسرعة .. فى لحظة خاطفة كان عقلى قد  
تجرك واتخذ قرارا بالاعتراف .. وكنت معتمدة على أن الاعتراف  
قد يفتح حسن بأن علاقتى بهاشم كانت بريئة ، نظيفة ، بدليل اتى  
أعترف بها ..

هل صدق حسن براءتى ..

هل يعود ..

لا أدري ..

ولكنى بينت ساعتها اتى بعث مستقبلى كله لهاشم ..  
اتى لم أعد أستطيع أن أتزوج .. لا يكفى أن أكون جميلة ، وأن  
تكون أبى وخالاتى الخمس حتى أستطيع أن أتزوج فى أى وقت  
أشاء .. وامتلأت بالحقد .. الحقد على هاشم .. لقد بعته  
مستقبلى وربما مستقبل ابنتى ، وهو لم ييمنى شيئا سوى هذه  
اللحظات القصيرة ، وهذه النقود التى يعطيها لى ..

وشعرت كأنى أفيق .. أفيق الى الهوة السحيقة التى ترديت  
فيها .. وتصورت نفسى كأنى أنشبت أظفارى فى جدار أملس  
لأنسلقه وأصعد الى وجه الدنيا .. الى النور .. الى المستقبل ..  
لا ..

لن أعرف هاشم بعد اليوم ..

كفانى ..

ورغم ذلك .. اتصلت به فى التليفون صباح اليوم التالى ..  
كان اليوم فارغا ، وانتظاري القرار الذى سيتخذه حسن يقتلنى  
.. فاضطرت أن أحادث هاشم .. كأنى أريد أن أطمئن الى أنه  
لا يزال حيا حتى أقتله .. ولم أقل له ما جرى بينى وبين حسن  
بالمس .. خفت أن يشمت فى .. أن يفرح .. اكتفيت أن  
أحادثه حديثا باردا .. ولم أحدد معه موعد لقاء .. كنت قد  
صممت ألا أذهب اليه ..

ومر يوم ولم أسمع شيئا عن حسن ..

واليوم الثانى ..

وفى اليوم الثالث اتصل بى فى التليفون ..

كان رقيقا مهذبا وفى صوته رنة الم .. وحدثنى عما سمعته من الناس ، وكذبت له كل ما سمعته .. انت عارف كلام الناس يا حسن .. يعنى هم كانوا معانا يا حسن .. الناس ما يصدقوا يلاقوا حكاية يتكلموا فيها يا حسن .. أصل علشان هاشم مشهور الكلام كثر حوالى يا حسن ..

وحسن يبذل كل جهده ليصدقنى .. وليخرج من حيرته .. واستمر حسن يحدثنى فى التليفون كل يوم .. أحيانا مرتين وثلاث مرات فى اليوم .. انه يحبني .. لا شك انه يحبني .. رامى واقفة بجانبى تتلقى منى نشرة الاخبار .. ويطمئن قلبها حيناً .. وتبأس حيناً .. وطوال هذه المدة لم أذهب الى لقاء هاشم ..

كنت خائفة على نفسى من لقائه .. خائفة أن يطير منى حسن .. ولم يكن حسن وحده يكفى ليشغلنى عن هاشم .. أبدا .. انى لا زلت أفكر فى هاشم كل يوم .. كل دقيقة .. وقلبى وجسدى يتمزقان لهفة عليه .. ولكن المعركة كانت تعينى على الابتعاد عنه .. المعركة التى أخوضها لاسترد حسن .. واسترد ثقتى فى نفسى .. فى ذكائى .. فى جمالى .. فى قدرتى على التحكم فى مستقبلى ..

وعاد حسن .. عاد يخطبنى .. وضغط على امه وأخوته البنات ، حتى جئن معه ...

وحددنا موعد اعلان الخطبة فى الأسبوع التالى .. وامتلأ رجبى إسمى بالفرحة .. وزغردت خالاتى الخمس .. وقهقه زوج أمى قهقهته العسكرية .. وخيل الى أن شارب حسن ما هو إلا رذاذ ضحكة كبيرة تجهدت فوق شفتيه ..

واستعنت ثقتى فى نفسى .. كل ثقتى ..

ثقتى بأن مستقبلى بين يدى .. ملك ذكائى .. أستطيع أن أتصرف فيه كيف أشاء .. مهما فعلت .. مهما قال الناس عنى .. وفى نفس اليوم الذى جاء فيه حسن وأمه ليخطبنى ، وبعد أن انصرنا اتصلت بهاشم فى التليفون .. وذهبت الى لقائه فى اليوم التالى .. ترى .. لو لم يعد حسن ليخطبنى ، هل كنت أعود الى لقاء هاشم ؟ لا أدري ..

ولكن يخيّل الى أنه لو كان حسن قد صمم على العدول عن الخطبة ، لكان ألقى على درسا ينبهنى الى خطورة الطريق الذى أسير فيه .. ولامتلات حقدا على هاشم الذى أضاع مستقبلى .. وهجرته .. ولكن .. لأن حسن عاد ، فقد ازدادت استهتارا .. وازددت اندفاعا فى جراتى .. وفى خطيئتى .. المهم ..

ذهبت الى هاشم ، وأنا لا زلت انتحجج بينى وبين نفسى بأن الخطبة لم تعلن بعد ، وأنا يوم تعلن ، فسأكف عن هاشم .. بضعة أيام أخرى .. ثم ينتهى هاشم من حياتى ..

واستقبلنى هاشم ، ونظرة ضعيفة مسكينة تطل من عينيه المنتفختين .. كان يتألم .. ويقاوم حتى لا يبدو عليه الألم .. كان يعرف أنه لم يعد الرجل الوحيد فى حياتى .. هناك آخر .. وشعرت بالسعادة ، وسرت القوة فى شخصينى ، وأنا أرى النظره الضعيفة تطل من عينيه ..

يبدو أنني لا أستطيع أن أكون سعيدة ولا قوية ، إلا إذا  
كنت لرجلين في وقت واحد ..

وقال هاشم وهو يتنهد :

— أحنأ مش لازم نشوف بعض بعد كده ..

قلت في استهتار ساخر :

— ما تخافش كلها يومين ومش حاشوفك أبدا .. يا ترى  
حاتقدر تعيش من غيري يا هاشم ؟

وهز كتفيه والام مرتسم فوق شفثيه :

— مش عارف حاميش ازاي .. أنها متأكد أني مش

حالموت ..

وضحكت :

— بعد الشر عليك من الموت ..

وقضيت ساعة معة أو ساعتين .. وأنا أميرة .. أنا المسيطرة  
.. أنا القوية ..

وكل يوم لقاء ..

أخذ منه كل ما يستطيع ، وأكثر مما يريد .. كأنني أريد أن  
أعترضه حتى لا أترك فيه شيئا بعدى ..

إلى أن أعلنت خطبتي ..

أقمنا حفلة عائلية صغيرة .. بدوت فيها جميلة .. جميلة ..  
أجبل مما تعودت أن أبدو .. ربما كان سر جمالي يومها هو  
فرحتي بنفسى ..

والثوب « البروكار » الذي كنت ارتديه ، اشتراه لي هاشم  
عندما سافر إلى دمشق في العام الماضي .. والخلق الماسي  
الطويل الذي يندلى من أذني اشتراه لي هاشم في عيد ميلادي  
.. والخاتم ذو اللؤلؤة الواحدة اشتراه لي أيضا هاشم ..

وشيبي الداخلية كلها .. قطعة ، قطعة .. اشتريتها من نقود  
هاشم .. وكنت أحس بكل ذلك .. أحس بأن هاشم معي في  
حفلة خطوبتي .. بل أحسست أن حسن لم يخطبني وحدى ، بل  
خطبني أنا وهاشم .. مع بعض .. أو .. على بعض ..  
وضحكت لهذا الإحساس ..

وأخذنا حسن بعد الحفلة الصغيرة إلى الهيلتون لنسهر هناك ،  
ومعنا أمي وزوجها .. واعتذر أبي وزوجته ، لأنهما لا يحبان  
السهر في المحال العامة ..

ودعاني حسن في اليوم التالي لنسهر سويا .. في ملهى  
تاصد خير ، وحاولت أمي أن تعارض .. حاولت أن تبدو سيدة  
محافظة على التقاليد لا تسمح لابنتها أن تخرج وحدها مع رجل  
إلا بعد مئة القران ، حتى لو كان خطيبها .. ولكن أمي لم تستطع  
أن تصر على رأيها ، فهي تعلم أن حسن يعلم عن ماضي الكثير ..  
وهيس حسن في أذني :

— أحنأ لازم نظهر مع بعض كثير ، علشان الناس تنسى  
الحكاية القديمة ..

وخرجت معة ، ومعنا صديق له وزوجته ..

وحسن انسان مرح .. يرقص .. ويشرب .. ويضحك  
كثيرا .. وضحكته تهز شاربه هزات سريعة ، فتجعلك تضحك  
معه .. وهو جرىء في كلماته .. جرىء في لمسات يده ..  
أن يده لا تكف عني .. أجدها فوق يدي .. ثم أجدها فوق فخذي  
.. ثم أجدها على كتفي .. وأجدها تعبت بشعري .. وأجدها  
تسح على ظهري وهو يرقص معي .. لا أستطيع أن أتخلص  
منها .. أني أفضي السهرة كلها ، أزيح يده عني ..

وعندما أوصلني بسيارته بعد قضاء السهرة ، مال على

ليقبلنى .. لم يكن يريد قبلة هادئة .. قبلة على خدى .. أو على  
يدى .. كان يريد قبلة كبيرة .. وفوجئت به فوق شفتى ..  
لا يريد أن يتخطى عنهما .. وأنفاسه تهب على كنفخ النار ..  
وأعصابه كلها مشدودة حولى .. واضطرت أن أكون عنيفة  
لأزيجحه عنى . وأنا أكاد أصرخ :

— مش كده يا حسن .. ما تبقاش مجنون ..  
وفتحت باب السيارة ، ونزلت بسرعة ، كانى أهرب ..  
وابتسمت له .. كانى أرطب أعصابه بابتسامتى ..  
وكل ذلك لم يغضبني من حسن ..

لم أكن أحبه .. قطعاً انى لا أحبه .. ولكنى كنت أستطيع  
أن أحتله .. ولكن ما لم أحتله منه هو أنه لم يستطع أن ينسى  
هاشم .. كان يذكرنى به دائماً .. كان يقطع ضحكته العالية  
ويهمس فى أذنى .. النهارده شفت الدكتور بتاعك .. ثم يندمج  
فى حديث مع أصدقائه ويعود الى هامسا .. كنتى بتروحي معاه  
فين .. ثم يشرب من كأسه ويعود يهمس .. فيه واحد قالت  
لى النهارده اذك مش ممكن تنسى هاشم .. انه مسيطر عليكى  
.. ساكنك من جوه .. و .. و ..

وقد ذكرت به كل ما أستطيع أن أذكره عن علاقتى بهاشم ..  
وأصر دائماً على أنها كانت علاقة بريئة .. وكنت أجيب على  
بعض أسئلته السخيفة .. وأتجاهل البعض الآخر .. ولكنه  
لا يكف عن الحديث عن هاشم ..

وكان حسن يتركنى ، وببجرد أن يتركنى أجد نفسى أفكر  
فى هاشم .. أفكر فيه بكل قطعة منى .. كان حسن يتركنى  
لهاشم ..

ومنذ أن أعلنت خطوبتى وقد امتنعت عن لقاء هاشم .. حادثته

فى التلفزيون مرة أو مرتين .. وذكرت له الأماكن التى أسهر فيها  
مع خطيبى ، فقط لأغيظه .. ولم أطلب منه شيئاً .. ولا هو  
طلب منى شيئاً ، فقط قال فى هدوء والم :

— أرجوكى يا أمينة تبنى تقولى حاتسهرى فين ، علشان  
ما اسهرش فى نفس المكان ، ونخرج بعض ..

وقالت وقلبى ملهوف عليه :

— حاضر ..

ولكنى لم أكن أحادثه فى التلفزيون كل يوم حتى أقول له أين  
أسهر هذا المساء .. كنت أريد أن أعود نفسى على الحرمان  
من صوته كما حرمت من لقائه ، وربما كنت أستطيع .. كان  
يمكن أن أقتل من هذه المحادثات التلفزيونية الى أن تنقطع .. لو أن  
حسن ساعدنى .. ولكن حسن لم يساعدنى .. بالعكس ..  
انه يذكرنى دائماً به .. بهاشم .. يفكرنى بأنى لازلت أحبه ..  
بأنى لا زلت فى حاجة اليه .. يذكرنى به وأنا معه .. ثم يتركنى  
له بعد أن يوصلنى الى البيت ..

ولم أستطع أن أقاوم طويلاً ..

ذهبت الى هاشم ..

دبلة الخطوبة .. فى أصبعى !

اتصلت به فى التلفزيون ، وقلت :

— عايزاك ضرورى ..

قال :

— خير ..

قلت :

— ما قدرش أقول لك فى التلفزيون ..

قال :



— احسن بلاش نتقابل يا امينه ..

قلت فى حدة :

— انت فاكرا انا عايزه اذكك علشان حاجه .. ابدا ..  
لولا انها مسألة مهمة ما كانت ممكن افكر انى اشوفك ..  
واسنسلم ..

ولقينى روجه متجهم .. وبوزه شبرين .. كأنه يضع نفسه  
فى حالة يستطيع بها ان يدافع عن نفسه ..  
لا داعى للتفاصيل ..

لقد استمرت علاقتى بهاشم وانا مخطوبة لحسن .. واستمر  
هاشم يدفع لى مرتبى الشهرى .. والتنايش .. وربما رضى  
هاشم ان تستمر علاقتنا الانى افنعت به أنه لو تركنى الآن فسأتعلق  
به اكثر .. ولن أحتمل ان أعيش بعيدا عنه .. ولكنى اكتشفت  
يومها شيئا جديدا فى هاشم .. اكتشفت انه يخافنى .. أو على  
الاصح يخاف الفضيحة .. وقد كان يعتبرنى مجنونة .. ويخاف  
ان ينطلق جنونى اذا عاندنى ، فانسبب له فى فضيحة تهز مركزه  
واحترامه .. لذلك رضى ان يستسلم لى الى ان يوصلنى الى  
باب زوجى ، كما كان يقول ..

وكنت فعلا امنى نفسى بأن اقطع علاقتى به بعد ان ادخل  
بيت زوجى .. بعد كُتب الكتاب .. وقد فشلت فى ان اقطع  
علاقتى به بعد اعلان الخطبة .. ولكن ما هى الخطبة .. انها  
مجرد كلام .. انها شيء لا يربطنى بحسن .. انها مجرد فترة  
تفاهم .. بل انى الى الآن لا اعتبر انى اخون حسن .. انى لم  
اصبح زوجة بعد حتى احاسب على خيانتة .. اما بعد كُتب  
الكتاب فسأصيح زوجة ، ويومها يستطيع ان يحاسبنى الناس ،  
واستطيع ان احاسب نفسى اذا خنته ..

واقنعت نفسى بهذا الكلام .. واصبحت اخرج مع خطيبى  
حسن .. واتسلل لالتقى بهاشم .. عشرات الحيل كنت ابتدعها  
لالتقى به .. وكل حيلى تجوز على حسن .. وكلاهما — حسن  
وهاشم — سعدان بى .. كل منهما يأخذ نصيبه .. وأخذ منه  
نصيبى .. وانا قوية .. اشعر بشخصيتى كاملة ثابتة .. قوية  
على حسن ، هاشم .. وقوية على هاشم بحسن .. وسعيدة  
بقوتى .. كنت ايامها فى منتهى السعادة .. سعادة سوداء ..  
سعادة مدنسة .. ولكنها سعادة ..

وقد حدث فى هذه الاثناء حادث صغير اعتقد انه كان له فى  
حياتى اثر كبير .

كنت فى زيارة ابنى ، واستقبلتنى زوجته مرحة اكثر مما  
تعودتها .. فترددى قميص نوم فوقه روب دى شامبر ، مشغولين  
بالدانيل .. وابتهامة كبيرة تقفز فوق شفتيها وتطل من عينيها  
.. وسألتها وانا دهشة لحالها :

— مالك يا فايزه .. ايه الذى مفركك كده ؟ ..

ونظرت الى والفرحة تلمع فوق خديها :

— أقول لك ولا تقوليشى ..

قلت وانا لازلت غارقة فى العجب :

— قولى ..

فالت كأنها نزعرد :

— أصلى امبارح اتجوزت ابوكى ..

وخطبت على صدرى وانا اضحك قائلة :

— انتم كتتم لسه ما تجوزتوش ..

قالت وهى تعوم فى ضحكة رنانة :

— لا .. أصلى انا اتجوزت ابوكى حته حته ..

قلت فى دهشة :

— حته حنه ازاي ؟ ..

قالت كأنها تروى قصة عمرها :

— شوقى يا ستى .. باه انا عرفت أبوكى وهو منجوز البلوه  
الى كان متجوزها .. وقعدت معاه سنتين من غير جواز ..  
وبعدين كنبنا ورقه واحده .. ورقه عرفيه .. وفضل أبوكى  
شايلى الورقه معاه .. وطبعما ما سكتش بعد كمان سنه ..  
خليته طلق مراته .. وكتب الورقه الثانيه .. اديتها لابويا ،  
وجبت قعدت مع أبوكى .. يعنى اتجوزنا جواز عرفى .. وبرضه  
ما سكتش .. فانت كمان سنتين .. وأمبارح بس كتب على  
شرعى .. هو انا كنت أقل من مين .. ده ضفر رجلى بعمر  
السنت اللى اتجوزهم كلهم .. ما عدا مامتك طبعما .

ونظرت الى زوجة أبى وأنا مبهوره ، كأنها فتحت لى عالما  
جديدا مستورا . لم اسمع عنه من قبل .. وبسرعة وجدت  
نفسى أفكر فى هاشم .. لم يخطر على بالى من قبل أن أتزوج  
هاشم حته حته .. وكنت اسمع عن الزواج العرفى  
.. ولكنى كنت اسمع عنه كما اسمع عن الحشيش ، وعن  
الأميون .. أشياء موجودة ولكنها ليست موجودة فى حياتى  
.. فقط اسمع بها .. ولكنى اكتشفت أن الزواج العرفى يمكن  
أن يوجد فى حياتى .. انه موجود فعلا وأبى قد تزوج عرفيا ..  
واكتشفت أيضا أن الزواج العرفى قد يبدأ بورقة واحدة .. ثم  
ورقتين .. ثم زواج شرعى .. حته حته ..

وعدت أنظر الى زوجة أبى ، مبهوره الأنفاس .. كأنى أنظر  
الى ساحرة .. الى سيدة عظيمة .. شاطرة وامتلات عيناى  
الواسعتان بالسند .. حسدتها على شطارتها .. وعلى ذكائها ..

ترى . لو كنت حاولت أن أتزوج هاشم بورقة واحدة .. ثم  
ورقتين .. هل كان قد انتهى بى الأمر الى أن أصبح زوجته  
الشرعية ؟

من يدري ..

واخذت أستزيد زوجة أبى من التفاصيل .. عصرت منها  
كل ما تعرفه عن الزواج العرفى ، وعن الطريقة التى اتبعتها  
لتقنع أبى بها .. وتركتها وقد أصبحت مثلى الأعلى بين النساء ..  
وكان هذا المثل الأعلى كفيلا بأن يدمر ما بقى منى ..

ولم أحاول بعدها مباشرة أن أقنع هاشم بالزواج العرفى  
.. صرح ابنى كنت أتمنى أن أتوجه أكثر من أى شىء فى  
الدنيا .. فلم يكن زواجى به هو مجرد نظرة الى المستقبل ،  
بل كان أيضا تصحيحا للماضى الذى عشت فيه .. كنت زواجى  
به براعتى من كل خطاياى .. يغسل قلبى وجسدى .. ولكنى  
رغم ذلك ، لم أحاول فى مبدأ الأمر أن أفتح له موضوع الزواج  
العرفى .. انما كنت أحاول أن اكفى بنصيبى .. اكفى بحسن  
.. واحمد الله .. ولكنى لم أستطع أن أنزع فكرة الزواج العرفى  
من راسى .. كنت أقضى ساعات طويلة وأنا اتصور أن هاشم  
كان من الممكن أن يتزوجنى زواجا عرفيا .. على الأقل بورقة  
واحدة ، يحتفظ بها معه .. فهو لن يخسر شيئا بهذه الورقة ..  
ويستطيع أن يبرقها فى أى وقت يشاء .. ويستطيع أن ينكر  
زواجه بى أمام الناس اذا أراد .. ولكنها تحمل لفظ الزواج ..  
انها على الأقل ترضى كبريائى .. ترفعنى عن مستوى البنات  
اللاتى يعرفن هاشم .. ويمكن بعد ذلك أن تصبح الورقة  
ورقتين .. ثم تصبح زواجا شرعيا .. بعد أن يكون هاشم قد

تعود على نوع من الحياة الزوجية .. واطمان الى .. وشفى  
من غروره .. تماما كما فعلت زوجة ابي ..  
وكنيت أحاول أن اطرد هذه الأفكار من رأسي ..  
ولكنها تعود الى ..

وفى كل يوم أرى أفكارى أوضح من اليوم السابق .. وفى  
كل يوم أقسو فى يوم نفسى لأنى لم أعرض على هاشم فكرة الزواج  
العرفى قبل أن أعلن خطبتي على حسن .. وأندم على العمر  
الطويل الذى فات وأنا جاهلة ، مغفضة العينين ، لا أدري أن  
هناك طريقا للزواج اسمه الزواج العرفى ..

وهذا الاحساس دفعنى دون أن أدري الى التهاون فى اتخاذ  
الحيل التى تعودت أن ألجأ إليها حتى لا أثير شك حسن فى كلما  
ذهبت الى لقاء هاشم .. فاندفعت فى لقائه ، أكثر جرأة ..  
وتهاونت حتى فى ملاحظة نظرات الشك التى بدت تطل من عيني  
حسن .. وأسئلته الكثيرة السخيفة التى يوجهها لى .. ثم أم  
أحاول أن أكتشف سر تغير معاملة حسن لى .. لقد أصبح  
يعاملنى كأنى عشيقته لا خطيبته .. ويقبلنى قبلات وقحة ..  
ويطالبنى بأشياء لا يمكن لرجل يحترم خطيبته أن يطالب بها ..  
بل انه عرض على ذات ليلة ونحن عائدان من مسهرتنا ، أن  
يصحبنى الى شقة أحد أصدقائه .. وغضبت يومها .. ثرت ..  
وكدت أصغعه على وجهه .. ونزلت من السيارة ، وتركته يجرى  
ورائى ، ويقبل يدى وهو يعتذر لى ويؤكد أنه لم يكن يقصد ..  
شيئا ..

الى ان كلُّ يوم ..  
وكنيت مع هاشم فى شقته فى الزمالك .. وكنيت قد قلت

لحسن انى ذاهبة الى زيارة ابنى .. واطمأنت الى انه سينام بعد  
الغداء كماكانه ..  
ثم تركت هاشم ..  
وما كنت أخرج من باب العمارة حتى وجدته امامى ..  
حسن ..

فى سيارته ..  
وقفت أنظر اليه ودمائى تتسحب منى .. وقشعريرة تسرى  
فى بدنى .. وهو يطل من نافذة السيارة ، ويتسهم ابتسامة  
تسيل من تحت شاربيه الكث .. كأنه فرح لأنه ضبطنى .. كأنه  
يقبها على بذكائه ..

ولا أدري هل فكرت ساعتها أم لم أفكر .. ولكنى وجدت  
نفسى أندفع الى سيارته ، وأفتح بابها ، وأجلس بجانبه ثم قلت  
فى برود :  
— من فضلك وصلنى البيت ..

ونظر الى مى دهشة ، واهتزت ابتسامته تحت شاربيه ،  
كأنه فوجئ ، يتصرفى .. ثم قاد سيارته فى صمت ..  
واستمر الصمت بيننا فترة طويلة الى أن وصلنا من الزمالك  
الى شارع رمسيس .. ثم ألقفت الى وقال ، وشاربيه مسدل  
فوق شفثية وعلاجات الجذ تكسو جبينه :  
— اسمعى يا ميمى .. أنا ..

وقاطعته قبل أن يتم ، وأنا لا أنظر اليه :  
— احنا لازم نحب بعض يا حسن .. أنا لستة باحب هاشم ..  
.. وهو مستعد .. تجوزنى ..

وارتفع حاجباه ، وقال وقد انقلب موقفه من الهجوم الى  
الدفاع :

— از این ده .. هي المسائل سهله بالشكل ده يا مينو ..  
قلت :

— كل حاجة صريجه سهله .. وانا بالكلمك بصراحه ..  
قال وقت بدا بنهار :

— واشعنى عايز يتجوزك دلوقتى ..

قلت مى سرعة وبرود :

— لانه ما استجملش ان واحد تانى يتجوزنى ..

قال : الالم ينضج من عينيه :

— يعنى انا كنت لعبه فى ايدىكى .. لعبت دورى .. ورميتينى

... مش كده ..

قلت وقت بدات اشفق عليه :

— أبدا يا حسن .. انا ما كنتش فاكهه ان هاشم بيحبى

للدرجه دى .. ما كنتش منتظره أبدا انه حايفكر يتجوزى ..

قال : كانه على وشك ان يبكى :

— بس انا حزينك انا كمان يا ميتو .. وفكرت اتجوزك قبل

ما يفكر ..

وفكرت لحظنها ان اعدل عن خطئى .. ان افيق من جنونى

.. ان اقبل عيب حسن .. وان اسأله الصفح .. ولكن كان من

المستحيل ان اعدل .. كنت منساقه فى خطئى بدافع مجهول ..

.. كانى القى نفسه فى البحر .. فى النار .. وقتلت ..

— انا أسفه يا حسن .. مش عارفه أقولك ايه .. بس

كده احسن ..

ولعل ما حدث كان هو الاحسن فعلا .. لعل حسن لم يكن

ليصفح عنى أبدا بعد ان رآنى خارجة من العمارة .. من شقة

عشيقى .. وربما كان خوفى من الا يصفح عنى حسن : هو الذى

دفعنى الى التمسك بخطئى .. بكذبتى .. رغم الحاج حسن ..  
رغم توسله .. رغم دموعه التى بللت شاربه ..

وقد كان حسن نبلا ..

لم يقتل شيئا لاهلى ..

كل ما قاله انا لم تفاهم ، واننى انا التى طلبت فسخ

الخطية .. رانسب .. رفض ان يسترد هداياه .. بل رفض ان

يسترد الدبلة .. دبلة من ماس ..

ولطمت ساعتها امى ..

وحاولت ان اكرر عليها قصة هاشم وانه قرر ان يتزوجنى

.. ولكنها لم تصدقنى .. انها تبكى .. تبكى كل دموعها ، وتدعو

على هاشم ، وسنين هاشم ..

المهم هو زوج امى ..

لقد صرخ فى وحدى :

— على الطلاق بالثلاثة مائتى قاعده فى بيتى .. انتى جريسيما

وخليتى راسنا فى التراب .. انتى فاكهه انى مش عارنك وعارف

بتعملى ايه .. انتى طالعه لابوكى .. منحلة .. بايظه .. انتى

ما يصحش تقعدى فى عيلة .. انتى تقعدى فى الشارع .. فى

كباريه .. انا عتدى بنات خايف عليهم .. وخايف على سمعتهم

.. اطلعى بره بيتى .. بره ..

وصرخت امى ..

وارتبت على مدره تستعطفه بدموعها :

— اهدى بس يا خويا .. مش كده .. حرام عليك دى مالهاش

حد غيرك .. دى بنتك .. الت ربيتها وهى لسه عندها ثلاث

سنين .. علشان خاطرى .. أبوس رجلك ..

وعاد يصرخ :

— أنا حلفت بالطلاق .. فأهمله يعنى إيه الطلاق .. وعلى  
الطلاق بالتلاتة ما انتى شايغه بنتك دى بعد النهارده .. لو شغنيها  
تبقى طالق .. طالق .. طالق .. حرام عليكى خافى على بنتك الصغيره ..  
خافى على بنتنا .. وسبعتنا ..

ولم اعد احنا .. لم ابك .. لم اتوسل .. لقد ركبتى  
ساعتها شيطان أهج .. وصرخت فى وجه زوج أمى :  
— انت فاكرا انتى ماليش أب .. أنا كنت قاعده هنا علشان  
ماما مش علشان محتاجة لك .. أنا رايحة لبابا ..

وحملت ابنتى .. فى قسوة كائن أحمل حقيبة ثيابى ..  
وخرجت ..

وتعلقت أمى بأذنيها ونومها تجرى على خديها ، وتقع  
تحت أقدامى :

— استنى يا مينو .. استنى ..

وقلت كائن أكبر منها :

— لا يا ماما .. مش ممكن استيك تطلقى علشانى ..

قالت وهى تحاول أن تمد يدها الى ابنتى هدى :

— طيب سيبى هدى .. الدنيا ليل يمكن تاخذ برد ..

قلت وأنا أفزع نفسي منها ، وأبعد ابنتى عن يديها :

— لا .. دى بنتى ..

وخرجت ..

طردت ..

وذهبت الى بيت أبى ..

واستقبلنى أبى فى صمت حزين ، فقد كان زوج أمى قد

اتصل به ، وأبلغه أنه لم يعد يستطيع أن يحمل مسؤوليتى بعد

أن فسخت خطبى لحسن .. وقال له كل ما يعرفه عنى ..

وكانت لى غرفة فى بيت أبى كما ذكرت ، وكنت أذهب اليه  
واقضى فى بيته أياما .. ولكنى فى هذا اليوم لم أشعر انى  
ذهبت الى بيت أبى .. شعرت انى دخلت الى بيت غريب ..  
ليس هذا بيتى .. لأز ليس فيه أمى .. وأنا غريبة هنا ..

ووضعت ابنتى فى فراشى ..

وانكفات بجانبها أبكى ..

بكيت الليل كله ..

ولم اعد من ليأتها الى بيت أمى .. وأصبحت لا أراها الا سرا ..  
.. كاننا عاشقان .. خوفا من أن يعلم زوجها بلقائنا فيوقع عليها  
يمين الطلاق .. كما نتقابل فى بيت خالة من خالاتى .. وأحيانا  
نتفق على اللقاء عند الخياطة .. وأحيانا فى دكان من دكاكين  
شارع قصر النيل ..

ودخلت من يوميا فى حياة جديدة ..

وقد هرعت الى هاشم فى اليوم التالى ، وقلت له والدموع

تملا عيني :

— أنا فسخت خطبى .. سببت خطيبي ..

وامتلأ وجهه بالذعر ، وقال وكأنه بلغ حصاة :

— ليه ؟ ..

قلت :

— علشانك ..

قال وهو يتعد عنى ويشوح بذراعيه :

— علشانى أنا .. ليه أنا عملت إيه .. أنا قلت لك سيبه ..

قلت وأنا أشجع فى بكائى :

— شافنى وأنا خارج من عندك ..

ونظر الى وكأنه يتهمنى بالكذب :

— وعرف الشفة بنين ..

قلت :

— مش عارفه .. يمكن كان بيراقبنى ..

وصرخ :

— انتى السبب .. انا قلت لك مش لازم نشوف بعض بعد

ما تخطبتى ..

قلت وأنا أحتد فى بكائى :

— أنا ضيعت حياتى كلها علشانك يا هاشم .. حياتى كلها

ضاعت .. مش بس سبت خطيبى .. وجوز أمى طردنى من

البيت ..

ثم ارتميت على الأريكة أبكى بكاء صارخا .. وأشد شعرى

بأصابعى .. أشد بقسوة .. لعل الألم الذى أشعر به من شد

شعرى ، يخفف من الألم الذى أشعر به فى صدرى ..

وجاء وجلس بجائى وأخذ يربت على ظهري بيد ثميلا ليس

فيها حنان .. وقال فى صوت جاف :

— ما تعيطيش يا أمينه .. العياط مش حايل حاجة ..

وعندما رنعت رأسى الية ، رأيت وجهه مكتسبيا بالألم ،

وشفتيه مقلوبتين ، كأنه قرمان من حياة .. ومنى ..

والقبت نفسى من فوق الأريكة ، وسجدت تحت قدميه ،

وتعلقت بركبته ، ورفعته الية عيني المخلطين بالدموع ، وقلت

فى توسل :

— احنا لازم نتجوز يا هاشم .. لازم .. لازم ..

وأدار رأسه عني ، وقال وهو يتنهد :

— ما حدش بيتجوز بالطريقة دى يا أمينه ..

قلت على الفور :

— نتجوز جواز عرفى ..

ونظر إلى فى دهشة كأنه فوجئ باقتراحى ، وقال :

— ما فيش حاجة اسمها جواز عرفى ، وجواز شرعى ..

يا جواز ، يا مش جواز ..

قلت كأنى لم أسمع كلامه :

— نكتب ورقه واحده .. وخليها معاك .. بس نتجوز

.. اى جواز ..

وازاخنى من تحت قدميه ، وقام واقفا ، وقال محتدا :

— ايه اللى ورقه واحده .. ورتتين .. جايه الكلام ده مينين

.. ما فيش ست عيله تفكر التفكير ده أبدا ..

قلت :

— طيب سمال نقف فى البلكونه .. ونرفع راسنا لرينا ..

وتقول أنك اتجوزتنى ..

وصرخ :

— انتى حاجتينى .. الجواز مش كلمه .. ولا ورقه ..

الجواز بيت .. وعيله ، وأولاد .. وأنا مش عايز لا بيت ولا عيله

ولا أولاد .. ولأزم تواجهى الحقيقة .. لازم تعرفى أن احنا مش

متجوزين ، ومش حانتجوز .. وما تضحكيش على نفسك ..

واجهى الحقيقة علشان تعرفى تتصرفى ..

وبقيت صامئة ..

كل شىء فى داخلى صمت فجأة ، حتى دموعى ..

وقلت وأنا ساهمة :

— طيب بلاش .. بلاش يا هاشم .. حالفصل معاك من

غير جواز .. حاواجه الحقيقة ..

ولم أكن صادقة فيما قلت ..

ولكننى فجأة ، اكتشفت انى تعجلت .. كان يجب ان أنتظر مناسبة أخرى لأحاول ان اقنعه بالزواج .. والزواج العرفى .. وتركته ..

عدت الى بيت أبى ..

وفى بيت أبى حياة تختلف تماما عن الحياة فى بيت أمى .. حياة منهارة ، ضائعة ، مفكوكة .. ليس لها تقاليد ، ولا صواميل تربط كل قطعة منها بالأخرى .. وكان أبى يخرج فى الصباح .. ويعود فى المساء .. ويجلس مع زوجته ، ومعى وأحيانا يدعو معنا أحد اصدقائه .. ويشرب زجاجة كاملة من الكونياك .. ويداعب زوجته مداعبات جريئة صريحة .. أمامى .. وأمام صديقه .. وأحيانا يداعبنى أنا أيضا بنفس المداعبات .. ثم بدأ يداعب ابنتى أيضا بنفس الجرأة .. ويأكل كثيرا من اللحم .. ثم ينام .. ويرتفع شخيرته حتى الصباح .. ليخرج من البيت ، بعد أن يترك أنا عشرين قرشا لنشتري بها العيش والخضار ، أما اللحم فكان يشتريه بنفسه ويحمله معه عندما يعود فى المساء .. وأجلس أنا وزوجته طوال النهار ليس لنا عمل الا انتظار أبى .. قد تذهب زوجته الى زيارة جيرانها فى العمارة .. وأبقى أنا أتحدث فى التليفون .. وأشغل نفسى بابنتى هدى .. أو أنزل البلد ، لأطوف بالدكاكين واشترى ما يروق لى ..

وكان أبى يراى أشتري كثيرا .. كل يوم ادخل بقطعة قماش ، أو حذاء ، أو حلية .. فلا يسألنى أبدا من أين احصل على النقود اننى أشتري بها .. هل كان يعرف .. لا أدري .. هل كان من الغفلة بحيث لا يخطر على باله أن يسألنى .. لا أدري أيضا .. ولكن زوجته لم تكن غافلة ، ولا طيبة .. انها تواجهنى والسؤال الكبير يطل من عينيها .. واضطرت ان اعترف لها ..

قلت لها انى أعرف الدكتور هاشم .. وضحكت ضحكة باردة وأنا أقول لها :

— الللى ببسى وبينه ، زى الللى كان بينك وبين بابا قبل ما تتجوزوا ..

وضحكت ضحكة صارخة كهدير الشلال .. وقالت فى مياعة :  
— عقالكو زينا .. ونبقى كلنا فى الهوا سوا ..

والأيام تمر .. وعطلى يطن كخلية النحل وأنا أفكر فى الطريقة التى أتزوج بها هاشم حته حته .. وكنت أستعرض كل ما ضحيت به من أجله ، فأجد أن لا سبيل أمامى الا الاستمرار فى المجازفة .. أصبحت كالمقامر الذى خسر معظم ماله ، ولم يبق الا القليل ، فيضطر أن يجازف به لعله يسترد ما خسره ..

وقررت أن أبدا بأن اقنع هاشم بأنى فتاة فاضلة .. عاقلة .. لست مجنونة كما يعتقد .. فأصبحت لا أخرج من البيت الا نادرا ، وبعد أن أستاذنه .. وامتنعت فعلا عن التسلل فى التليفون .. وكان هاشم — بعد أن انتقلت الى بيت أبى — يستطيع ان يكلمنى فى التليفون فى أى وقت .. فأبى غائب طول النهار .. حتى لو كان أبى فى البيت ، فهو لم يتعود الرد على التليفون ، وكان يتركى أنا أو زوجته ترد عليه .. ولكن هاشم لم يكن أبدا يطلبنى فى التليفون ، كنت أنا التى أطلبه .. لم يكن يطلبنى الا بعد أن ألح عليه ، وانظاهر بالفضب .. ويعتذر لى بأنه مشغول .. وبأنى فاضية .. وفى المرات التى طلبنى فيها بالتليفون فرحت .. فرحت فرحة كبيرة كأنه جاء يخطبنى ..

ولم أكن أريد من هاشم شيئا خلال هذه الفترة الا أن يخلص

لى .. ان اخلاصه لى هو الامل الوحيد فى ان يتزوجنى يوما ما .. ولو بورقة واحدة .

ومرت ثلاثة اسابيع منذ فُسخت خطبتى الى حسن ..  
ثم ..

تكررت المأساة ..

بحثت عن هاشم فلم أجده فى العيادة ، ولا فى البيت ولا فى مطعم الجريون ، ولا فى اى مكان يذهب اليه .. ولم يقل لى التومرجى أنه ذهب لعيادة مريض ..

وذهبت الى الشقة والجنون يزحف على عقلى ..

ووجدت سيارته امام العمارة ، لم يحاول اخفائها ..

وصعدت ودمائى تتجمع فى عيني .. وقلبى يدق كأنه يمزق نفسه .. وضغطت على الجرس بيد باردة .. ولم يترك لى هاشم فرصة لأثير فضيحة فى العمارة .. فتح لى الباب بسرعة .. وتركنى ادخل .. وأغلق الباب ورائى .. ثم وقف امامى وهو بالقميص والبنطلون وفى عينيه نظرات متحدية متحفزة .. كأنه ضمه على قتلى ، لو حاولت ان ادخل لأبحث عن الفتاة التى معه ..

ووقفت امامه ارتعش ..

ثم صرخت ..

صرخت صرخات كثيرة كأننى أطلق النار من صدرى .. واشد شعمرى .. وأخبط الأرض بقدمى ..

ثم وقعت على أقرب مقعد ، وأنا أبكى واقول كأنى أصرخ :

— حرام عليك يا هاشم .. حرام عليك .. حرام تعمل فى

ده كله ..

وهو واقف امامى ، صامت .. يحمى بجسده المرأة الاخرى التى فى الداخل ..

وفجأة جرت دموعى ..

ورفعت اليه رأسى ، وقلت والجنون يطل من عيني :

— انت ما تستاهلش .. انت سافل .

ثم انتفضت واقفة .

وخرجت ..

ورزعت الباب ورائى ..

وعدت الى البيت .. وبقايا دموعى متجمدة فوق خدى ..

وبقايا صراخى تجرح حلقى ..

ورفعت سماعة التليفون وأنا لا زلت الهت ، واتصلت بحسن ،

وقلت له بمجرد أن سمعت صوته :

— حسن .. أنا مُستعدة أرجع لك ، واعمل فى اللى انت

عايزه .. كل اللى انت عايزه .. بس رجعنى يا حسن .. أرجوك ..

.. أنا خلاص .. تبنت .. حرمت ..

وقال حسن فى لهفة :

— طيب اهدى يا ميتو .. حصل ايه ..

وقلت وقد عادت دموعى المتجمدة تذوب :

— قوللى الاول انك مستعد ترجعنى ..

قال فى حنان ملهوف :

— طبعاً مستعد .. انتى عارفه يا ميتو انى باحبك ..

قلت :

— طيب فوت على بعد سماعة .. استثنائى قدام باب

عمارتنا ..

وقال :



— حاضر .. بعد ساعه حاكون عندك ..

وكان حسن طوال هذه الفترة التى أعقبت فسخ خطوبتنا  
لا يزال الانسان النبيل .. لا يزال يرغب أن يسترد هداياه ..  
او يسترد الدبلة .. وكان يحدثنى فى التليفون .. ويقول لى  
كلما رقيتا حنونا .. ويؤكد أنه يحبنى .. وأنه لا يستطيع أن  
يصدق أننا مسخنا خطبتنا ..

كنت متأكدة أن حسن انسان نبيل ..

وبدأت أستمع للقائه .. ووجهى فى المرأة اصفر فى لون  
الموت .. وعبثاى شجعت فيهما دموى خطوطا حمراء .. ومعدتى  
تتقلص .. وقلبى يتلوى .. وصدرى ينبض كائى أحمل فوقه  
الف كيلو .. ان ألم الغيرة .. ألم الفشل .. ليس مجرد ألم  
نفسى انه ألم جسمانى أيضا .. كان فى داخلى آلات تعذيب  
تنطلق لتكوى كل قطعة من جسدى ..

ودخلت الحمام ، ووقفت تحت الدش مدة طويلة لعلى اغسل  
عن جسدى العذاب .. لعلى أسترد بعض شبابى .. بعض  
نضارتى .. ثم سكبت على جسدى نصف زجاجة كلونيا ..  
ونصف علبة بودرة « تلك » لعلى انتعش ..

وخرجت أترين أمام مرأتى ..

ولعلى بالفت فى وضع الكحل .. وبالفت فى صبغ جفونى  
باللون الأخضر .. وبالفت فى وضع « الريمل » على رموشى ..  
حتى بدا كل رمش كأنه سهم منطلق فى الهواء .. ولعلى أيضا  
بالفت فى صبغ شفتى بالروج .. لقد كنت ساعتها عصبية ..  
فماقدة الثقة فى جمالى .. فبالفت .. وكلما بالفت ازدادت  
عصبيتى ، وتهاوت ثقتى فى نفسى .. فبالفت أكثر ..

وقد رأيت اثر هذه المبالغة فى عينى حسن عندما نظر الى  
وهو جالس أمام مجلة القيادة فى سيارته .. نظر الى كأنه يرى  
أمامه ، مجنونة ..

وجلست بجانبه صامئة .. وقلبى لا يزال يتلوى ..

وقال والسياره تتحرك بنا :

— تحبى بروح فين ..

قلت وأنا لا انظر اليه :

— زى ما انت عايز .. خدنى فى حته نقعد نتكلم فيها ..

قال وصوته يرتعش قليلا :

— تحبى نروح نقعد فى بيت ..

قلت بلا مبالاة :

— بيت مين ؟

قال :

— بيتى .. تصدى يعنى .. شقة ..

— انت عندك شقه ؟ ..

قال :

— كانت عندى من زمان .. وناوى أبيعها .. من يوم

ما تخطبنا وأنا بادور على حد يشتريها .. صدقيني ..

وقلت والابتسامة الساهمة على شفتى :

— مصداك ..

وقاد سيارته فى اتجاه شارع سليمان باشا .. وعاد يقول

فى تردد :

— تحبى نروح هناك ؟ .. علشان تشوف فيها .. وانتى الللى

تبيعها .. تبغى كل حاجة كانت فى حياتى قبل ما أقابلك ..

ونظرت اليه كأننى أختبره ، ثم قلت :

— زى ما انت عايز ..

وذهبتا الى شقته ..

كل الشقق التى من هذا النوع لها ربح واحد .. قد تختلف  
فى اثائها .. قد تختلف فى نظافتها .. قد تختلف فى اهتمام  
صاحبها بها .. ولكن كلها لها ربح واحد .. هذا الربح الحزين  
الصامت .. كان على جدرانها بقايا دموع ..

ودخلت بلا مبالاة .. وتطلعت حولى فى صمت .. لم  
يرتجف فى شيء .. كانت الصدمة التى صدمنى بها هاشم قد  
سحبت كل احساسى ..

وجلست على مقعد دون أن أنظر الى حسن ..  
وجاء وجلس قبالتى على مقعد آخر .. وأمسك بيدي وقال  
وشاريه الكك يرتفع فوق ابتسامة حنان :

— احكى يا ميتو .. احكى لى على كل حاجه ..  
وتعلقت عيناى بشاريه الكك ، كانى اعد شعراته .. وقلت  
وأنا ساهمة :

— أنا سبت هاشم خلاص .. عمرى ما خارج له تانى ..  
عمرى .. ضحك على مره تانيه ..

واخذت أروى قصتى لحسن .. رويتها كلها .. ما عدا  
أن هاشم يدفع لى مرتبا شهريا .. وكنت اتكلم ساعتها كانى  
اتكلم مع نفسى .. كانى أراجع كل يوم من أيام عمرى الضائع ..  
وحسن لا يزال أمسك بيدي .. وفى عينيه نظرة رثاء كبيرة ..  
يشوبها غيظ .. غيظ من هاشم ..

وقلت له ودموعى على خدى :

— أنا كنت باحبه .. انما اللى عمله يخلينى أتوب عن حبه  
.. يخلينى اكرهه .. أنا باكرهه .. باكرهه موت .. لو كان  
بايدى كنت قطعت قلبى اللى حبه .. كنت قطعت من جسمى  
كل حته حط ايده عليها ..

وقال حسن وهو يضغط على يدي :

— لا يا ميتو .. مش ممكن يكون ده حب .. اللى خلاكى  
تعملى ده كله انك اتعودت عليه .. وكنتى دايمًا بترجعى له لأنك  
اتعودت عليه ، مش لأنك بتحبيه .. والعادة أصعب من الحب  
.. انتى ممكن تستحملى ألم الحب .. انما مش ممكن تستحملى  
ألم انك تسيىى حاجه اتعودت عليها .. زى السكر الذى يحاول  
يبطل شرب .. زى الحشائش اللى يحاول يبطل الحشيش ..  
عيبك انك استيتيتى معاه لغاية ما تعودت عليه .

وفتحت عيني ، كانى رأيت فى كلامه عالما جديدا .. عالم  
يربخنى .. نعم .. اتى لم أحب هاشم .. ولا احبه .. فقط  
تعودت عليه ..

وقلت وأنا ساهمة :

— أنا حانساه .. حاشطيه من حيائى ..

وقام حسن وجلس على حافة المتعد الذى اجلس عليه ،  
واحاطنى بذراعه وقال فى رقة :

— وأنا حاخليكى تنسيه .. زى ما بيقول المثل .. المسمار  
ما يطلعوش الا مسمار .. أنا المسمار اللى حايطلع هاشم ..  
وأنا عارف انك بتحبينى يا ميتو .. مش ممكن تكونى ما بتحبنيش  
.. وحا تحببى أكثر .. يوم ما تنسى هاشم ..

وكان وهو يتكلم قد وضع يده على خدي .. ثم ادار وجهي  
اليه وقبلني .. فوق شفتي ولم يرفع شفتيه عني ..

واستسلمت ..

تركته يعبث بشفتي كما يريد ..

وكنت ضعيفة ..

وكنت قد قررت أن ابدأ محاولتي للتخلص من هاشم ..

وتركت حسن يأخذني كلي ..

جسدي عار ..

بارد ..

لا أحس الا بثقل حسن ، وشاربه الكئ يدغدغ أنفي ..

وسقطت عيناى فوق السوار الذهبى الذى اشتراه لى يوما

هاشم ..

وتعلقت عيناى بهذا السوار ..

لم أرفع عيني عنه ..

وأفكر فى هاشم ..

وحسن يعبث بجسدي ..

ثم ..

بقيت معه الى الساعة العاشرة .. حدثنى كثيرا .. حاول

أن يضحكنى .. حاول أن يروى لى أيامه التى قضاها بعيدا عني

.. ولكنه لم يحاول أن يحدثنى أبدا عن اعلان خطبتنا من جديد

.. ثم عاد يحدثنى عن هاشم .. وقاطعته فى ضعف :

— ما تكلمت بهش عنه .. أنا عايزه أنساه وأنسى سيرته ..

وقال حسن :

— أنا آسف ..

ثم أعادنى الى البيت .. واستقبلنى أبى ضاحكا ، وقال وأمامه  
زجاجة الكوبيك :

— كنت فين ؟

قلت :

— كنت عند بنت خالتي ..

قال بلا مبالاة :

— اتمشيتى ؟

قلت :

— أيوه ..

قال :

— ما تيجى تعمدي معايا شوية ..

قلت :

— تسانه ..

ودخلت حجرتى وأغلقت بابها على .. وارتيمت على الفراش

.. نسيت حتى أن أطل فى وجه ابنتى ..

لقد خنت هاشم ..

خيانة كاملة ..

وحاولت أن اشعر بالتشغى .. حاولت أن اشعر بانى

انتقمته منه .. ولكن .. لا .. لم اشعر بشيء من هذا ..

شعرت بانى بائسة ، مسكينة ..

وبكيت ..

ونمت من التعب ، ودموعى صناعية بين عيني ..

واتصل بى حسن فى اليوم التالى ..

وذهبت معه الى شقيقه أيضا .. وتركته يأخذنى .. وتعلقت

عيناى بالسوار الذهبى فى معصى .. ورياح هاشم تهب على  
عقلى وقلبى .. وشارب حسن الكث ، يدغدغ انفى ..  
ثم خرجت مع حسن الى سميراميس فى اليوم التالى ..  
تعمشنا هناك ..  
وطلب لى حسن كاسا من انويسكى .. كاسين .. ثلاثة ..  
سكرت ..

وذهبت معه الى شقته وأنا سكرانه ..  
وكنيت اضحك .. واهذى .. وكان عقلى السكران لا تزال  
فيه قطعة صاحبة ، تحس انى افعل الضحكات الكبيرة ، وافعل  
الوذيان ..  
وزدت شى هذيانى ..  
اقبلت على حسن .. اقبله اكثر مما يقبلنى .. واداعبه اكثر  
مما يداعبنى ..  
ولكن ..

عندما أصبحت عارية ، تعلق عيناى بالسوار .. وهبت  
على ريح هاشم .. ولا أشعر من حسن بشىء ، الا بشماربه  
الذى يدغدغ انفى ..  
ومضى اسبوع ..  
اسبوعان ..  
وانا لا اتصل بهاشم ..  
وهاشم لا يحاول الاتصال بى ..

وكل يوم اذهب الى لقاء حسن .. لعلى انسى .. لعلى  
انخلص من تعودى على هاشم .. وحسن لا يحدثنى عن اعلان  
خطبتنا من جديد .. بل هو لا يأتى لزيارة أهلى .. ولا يأخذنى لزيارة  
أهله .. الى أن قلت له :

— انت مش حاتروح تتفق مع بابا يا حسن ..  
وقال حسن ، وهو يبتسم فى رقة ويضغط على يدى :  
— أنا مسنتنى لغاية ما أتأكد انك خلاص .. بقيتى لى ..  
خايف نستعجل يحصل زى المره اللى فاتت .. وتحبنى .. اللى  
عايزك تتأكدى منه انى باحك .. وحافظل احبك لغاية  
ما نتجوز ..

ولم أرد عليه ..  
ولم اغضب منه ..  
له حق .. له حق أن يقول هذا الكلام .. لقد سبق أن  
جرحته .. سبق أن اهنته أمام أصدقائه ، وأمام كل الناس ..  
عندما فسخت خطبتى له ..

يكفى أنه يساعدنى على نسيان هاشم ..  
ولكنه لا يساعدنى ..  
انه يشعل احساسى بهاشم .. ان كل مرة أكون له ، تؤكد  
لى انى لن أكون أبدا الا لهاشم .. لن أحس برجل الا هاشم ..  
لن أروى عطشى الا من هاشم .. لن يملأ عقلى ، ولا قلبى ..  
الا هاشم .. مهما فعل بى .. مهما عذبنى ..  
لماذا استمر ..

ان حسن لن يتزوجنى .. انى أحس انه لن يتزوجنى ..  
يستطيع دائما أن يدعى انى لم أس هاشم .. ويكون صادقا فى  
ادعائه ..

وهاشم أيضا لن يتزوجنى .. ولكنى أحبه ..  
فلماذا أترك رجلا أحبه ، الى رجل لا أحبه ..

و ...

وعدت أحداث هاشم في التلفون .. قلت له كاذبة ، إن  
حسن تقدم لخطبتي من جديد ..

فلم يبال ..

وبدأت ابلغه في كل يوم كذبة جديدة .. حسن كان عندنا  
امس .. حسن يلح في تحديد موعد الخطبة .. حسن  
حسن ..

وقال لي مرة وهو ثائر ، وأذكر اني يومها كنت أحداثه في  
صباح يوم جمعة :

— أرجوكي يا أمينة ما تكلمينش ثاني .. احنا خلاص سينا  
بعض ..

وقلت كاني لم أسمع شيئا :

— انت حاتعمل ايه دلوقتي ؟ ..

وقال في برود :

— عندي ميعاد :

قلت وأنا أبغض :

— فين ومع مين ؟

قال :

— في الشقة .. مع واحده ..

قلت في توسل :

— بلاش تروح ..

وصرخ :

— يا ستي انت مالك ومالي .. أنا خلاص بقيت حر ..

قلت وأنا أكاد أبكي :

— يعني مصمم تروح ..

قال كأنه يبصق في وجهي :

— أبوه ..

ثم القى سبحة التلفون ..

ولم أعد أحتفل ..

هل كان هاشم يعتمد اثاره غيرتي عندما قال لي انه على  
موعد مع فتاة أخرى ، حتى يعيدني اليه ، وهو يعلم اني أجن  
عندما أثار .. أم كان يعيش حياته الطبيعية بعد أن اعتبر نفسه  
حرا ، واعتبر أن علاقتنا قد انتهت ..  
لا ادري ..

ولكني لم أطق أن أتصوره مع فتاة أخرى ..  
حاولت ..

حاولت كثيرا أن أقنع نفسي بألا أهتم به ، سواء كان مع  
فتاة أخرى ، أو كان على وشك أن ينتحر .. بل اني حاولت أن  
أقنع نفسي بأنه يكتب على ، وأنه ليس على موعد مع أي فتاة ،  
وأنه يحاول فقط أن يثير غيرتي حتى يجنني ، فأعود اليه ..  
ولكن ..

كل هذه المحاولات لم تنم سوى نصف ساعة .. ساعة على  
الأكثر .. والنار تاكل في قلبي ، وتشتعل في رأسي .. ثم لم  
أعد أستطيع .. خرجت دون أن أتزين .. بل لم انظر الى المرأة  
كاني أفر من الحريق الذي نشب في صدري ..

وقلت أمام باب الشقة مترددة .. قلبي يرتجف .. اطراف  
أصابعي باردة .. كنت أعرف ما سأجده في الداخل .. سأجد  
فتاة أخرى .. وسأجد هاشم بالقميص والبنطلون .. وسأحاول  
أن أضرب الفتاة .. سأجن .. ستشق الصرخات حلقى .. سأشد  
شعري .. ستجحظ عيناى .. ويضربني هاشم .. واقع على  
الأرض أبكي .. كنت أعلم كل ذلك .. وكنت أراه خلف الباب ،

كان عيني تثقيب الخشب ، وتثقيب الزمن لتريا ما يمكن ان يحدث لى بعد دقائق .. ورغم ذلك امتدت يدى ، كان قوى مجهولة تحركها ، وضغطت باصبعى المثلجة ، على الجرس .. وفتح هاتم فى الحال ، كانه كان واقفا خلف الباب ..

ونظر الى وقد اتسعت عيناه من الدهشة .. بل خيل الى ان فتحتى انفه قد اتسعتا ايضا من الدهشة .. كان صادقا فى دهشة ..

تأكدت سماعتها انه لم يكن يكذب على عندما قال لى انه على موعد مع فتاة اخرى .. لقد فتح الباب وهو ينتظر ان يرى الأخرى ..

وابتسمت ابتسامة مرتعشة ذليلة ..

وظل واقفا امامى صامتا ، وقد ارتخت دهشته ، واكتسى وجهه بتعبير جاد كانه واقف امام مشكلة ..

وقلت فى صوت مسكين :

— فى حد معاك ؟

وقال فى صوت باتر :

— لا ..

قلت :

— اقدر أخشى ؟

قال وهو ينظر من فوق راسى كانه يخاف ان يرانا احد :

— اتفئضى ؟

ودخلت وأنا لا انظر فى عييه ... وجلست وابتسامة باهتة فوق شفتى .. ومرت لحظة صمت بيننا ثم لمحت على شفثيه ظل ابتسامة ، فقلت وأنا أشعر برجفة فى قلبى ، رجفة خوف :

— بتضحك ليه ؟ ..

قال وقد اتسعت ابتسامته :

— باضحك على حالنا .. يظهر ما فيش فايدة اننا نسيب

بعض ..

قلت وأنا انظر اليه فى ابتهاج :

— لأننا بنحب بعض ..

قال :

— وبعبدين .. أخرة الحب ده ايه ؟

قلت :

— أنا مش عايزه منك حاجة الا انك تكون كويس معاى ..

ما تعرفش بنات تانية ..

قال :

— ما اقدرش ما اعرفش بنات تانية ، لانى عارف ان جاييجى

يوم تتجوزى وتسيبنى ..

— أنا مش حاجوز .. خلاص ..

قال وهو يهز كتفيه :

— ده كلام .. مش ممكن ست تعيش من غير جواز ..

قلت :

— أنا لو كنت بافكر فى الجواز ، فبافكر انى اتجوزك انت ..

قال وهو يلوى شفثيه :

— انتى عارنه انى مش حاجوز ..

قلت :

— عارفة .. بس ما اقدرش اعيش من غير امل ..

قال كانه يسخر من املى :

— الامل بعيش سنة والا ستغتين .. انما مش ممكن يعيش

خمس سنين .. لو كان اللي ربطك بى هو الأمل .. كان زمانك  
يُست وسيتينى ..

قلت كائن الومة ؟

— أمال ايه اللي ربطنى بيك ؟ ..

قال بسرعة :

— جنائك ..

قلت :

— أنا مش مجنونه يا هاشم ..

قال :

— مجنونه قوى .. ويوم ما حاتملى حاتميينى ..

قلت :

— ده ما استهوش جنان .. اسبه حب ..

قال :

— طيب .. ما تزعلش .. حب !

وأدار ظهره لى ..

ومرت فترة صبت أخرى ..

ثم عدت أقول ونظراتى تلمس بقامته الطويلة :

— أمال مين البنت اللي انت مواعدها ؟ ..

قال بلا مبالاة :

— زمانها جايه ..

قلت :

— لازم جديده ..

والتفت الى وقال فى دهشة :

— ليه ؟ ..

قلت :

— علشان اتأخرت .. أنا كمان كنت بتأخر لما كنت جديدة ..  
ولم يرد على ..

جلس على مقعد ، وهو يزفر أنفاسه واستطردت قائلة :

— بكره تاخذ لها قلمين ، تقوم ما تتأخرش .. وتبتدى انت  
تتأخر .. مش كده ! ..

ونظر الى كانه يعايرنى ، وقال :

— وحاضرتك عامله ايه مع سى حسن بتاعك ..

قلت :

— ده خطيبى ..

قال :

— طبعاً قلنى له اثنا كنا مخطوبين ، وانك فسخت الخطبة ،  
لانى سافل .. مش كده ! ..

قلت :

— أنا اعترفت له بكل حاجه ..

وابتسم ابتسامة ساخرة وقال :

— ما أظنشى ..

قلت :

— ده انسان نبيل .. قدر يفهمنى .

قال :

— وعملتى ايه مع الانسان النبيل ده .

قلت :

— ولا حاجه ..

قال فى حدة :

— يعنى ايه ولا حاجه .. تشهرى معاه لغاية نص الليل ،

وبعدين تقولى لى ان ما حصلت حاجه بينكم ..

قلت وأنا أنكر راسي :

— باسنى ..

قال :

— باسلكا بس ..

قلت :

— طبعاً .. أمال فاكرايه ؟ ..

قال :

— لا يا شيخه ..

قلت :

— وحياء بنتى ..

وربما كانت هذه هي المرة الأولى التي أحلف بها بحياء ابنتي ،  
كذبا .. وربما ارتعشت شفتاي وأنا أقسم بحياتها .. ربما رجف  
قلبي .. ربما شعرت بالخوف على ابنتي وأنا أستهن بحياتها  
وغلوتها عندي إلى هذا الحد .. ولكني بعد ذلك أصبحت أقسم  
« بحياء بنتي » في كل كبيرة وصغيرة .. أصبحت كلمة « وحياء  
بنتي » ألوكها في فمي كقطعة اللادن .. أطرع بها .. وكنت أرى  
أطرتعتها عندي على وجوه الذين أقسم لهم .. كأنهم يصدقونني  
.. لأنني أقسمت بأبنتي ..

ولكني لم أعرف أبدا إذا كان هاشم قد صدقني أم لا .. لقد  
أطل على بهذه النظرة التي تنطلق من تحت جفنيه المنتفضتين ..  
والتي لا تكشف أبدا عما يدور في رأسه ..

ونجاة ..

دق جرس الباب ..

وابتسمت ..

وتعقد جبين هاشم .. وزم شفتيه .. وبقي في مكانه  
صامتا ..

ودق الجرس مرة ثانية ..

وهاشم جالس في مكانه ، لا يتحرك ...

وقلت :

— مش حالتوم تفتح ؟ ..

قال في حزم وهو ينظر إلى الشرر يتطاير من عينيه :

— لا ..

قلت وأنا أرفع صوتي ، متعمدة أن يصل إلى ما وراء الباب .

— حرام عليك ، قوم افتح ..

ونظر إلى كأنه يخفني بعينه ، وقال هامسا :

— إذا ما سكتيش ، حاموتك من الضرب ..

ورن الجرس ثالثة ..

واحبست برنينه كأنه زغرودة في قلبي .. زغرودة تنطلق  
بالشمامة من هذه الأخرى التي تقف خلف الباب .. زغرودة  
لانتصاري على كل فتاة تحاول أن تأخذ مني هاشم ..  
وكف الرنين ..

وسمعت صوت أقدام الفتاة تتبعد عن الباب ، في اتجاه  
المصعد ..

وقلت وأنا ابتسم له ساخرة :

— طبعاً حاضرب لها تليفون وتعتذر لها بأن جات لك حاله  
بسنمجله .. مش كده .

قال وهو يضغط على أسنانه :

— لا .. حالقولها أن فيه واحد بتفرض نفسها على ، وبتتهجم  
على الشقة من غير ما حد يقول لها تعالى ..



وضحكت .. ضحكة ملأت كل قلبي .. وعدت أقول :

— أقدر أعراف مين المسكينة دي ..

قال وهو لا يزال غاضبا محتظا :

— لا ..

وقمت من مكاني ، وجلست على ركبتيه .. وكنت أنتظر أن يلقى بي على الأرض .. أو يضربني .. ولكنه لم يفعل .. تركني اجلس على ركبتيه .. كل ما فعله أن أشاح بوجهه عني .. قلت وأنا أضع يدي على خده :

— احنا الاثنين مجانين يا هاشم .. انت عارف انك ما تقدرش تستغنى عني ، وأنا ما أقدرش أستغنى عنك ..

وسحب خده من تحت خدي ، وظل صامتا مديرا وجهه عني .. وعدت أقول :

— أنا حاسيب حسن تاني .. وعمره ما حايكون في حياتي راجل تاني أبدا ..

وظل صامتا ..

ووجهه محتقن من الغيظ ..

ودرت بوجهي لأواجه شفتيه ، وحاولت أن أقبله .. ولكنه أشاح عني وأبعدهما قبل أن أصل إليهما .. وقلت في توسل :

— بوسني يا هاشم ..

وقال في صوت مخنوق بغيفه :

— لا .. ما أقدرش أبوس شغاف لسه واحد تاني بايسهم قبلي .. أنا قرفان منك ..

قلت :

— أسمعني أنا ما باقرفش من شغافك وانت بتبوس ستات غيري ..

قال :

— أنا حر .. إذا كنتي انتي ما بتقرفيش مني .. أنا باقرف منك .. حر ..

قلت ودعوى تتجمع في عيني :

— هاشم .. ما تعذبنيش ..

قال :

— من فضلك قومي اتعدي مطرحك ..

وهمست :

— .. هاشم .. هاشم .. حرام عليك ..

ثم بكيت ..

بكيت على كتفه ..

وأنا لا زلت جالسة على ركبتيه ..

ورفع كفه وبدأ يربت على ظهري لأكف عن البكاء ..

ولا أطيل ..

أني أعرف دائما كيف أستعيد هاشم ..

وأحسست بعد أن استعدت كائني انتصرت عليه .. لا أدري

لماذا .. ربما لأنني أعود إليه بعد أن خنته .. بعد أن خدعته ..

بعد أن أعطيت جسدي لرجل آخر .. هذا الجسد الذي كان

هاشم يعتقد أنه ملك له .. تحرر منه .. انطلق إلى رجل آخر ..

أصبح قادرا على أن يتحرك وحده ..

ربما كان هذا هو السر في إحساسي بالانتصار على هاشم

عندما استعدت .. وهو لأحتاس دهرني .. دهر ما بقي مني ..

فقد تعودت من يومها أن أتعهد الاحتاس بالانتصار .. الاحتاس

بأنى أخدع هاشم .. أحطم غروره .. ولم أكن أدري أن هذا  
الاحساس بالانتصار لم يكن إلا انعكاساً لهزيمتى .. هزيمتى  
إمام نفسى ..

وقد تركت هاشم يومها ، وذهبت الى لقاء حسن بعد الظهر  
.. رفضت أن ألقاه فى شقتى .. كانت لا تزال فى بقية من  
احساس تمنعنى من أن ادخل شقتين فى يوم واحد ..

قابلته فى سيارته ، وقلت له بصراحة وبساطة :

— أنا رجعت لهاشم ..

وفغر شفثيه كالأبله ، وقال وشعرات شاربه ترتعش :

— ليه ؟ ..

قلت :

— ما أقدرتشر ..

قال كأنه على وشك البكاء :

— بس احنا كنا حانتجوز ..

قلت فى حزم :

— انت ما كنتش ناوى تتجوزنى يا حسن .. ولك حق ..

انا اللى عملته فيك مش شوييه .. وحتى لو كنت اتجوزتتى  
ما كنتش حانتقدر تنسى ، وكنا حانعذب بعض ..

قال وقد انهبرت دموعه فعلا :

— بس انا باحبك يا ميتو ..

قلت وأنا أنظر الى دموعه : والغرور يسرى فى كل عروقى ..

— عارفه ..

وظللت أينسأى معلقتين فوق دموعه .. أن منظر الرجل

وهو يبكى يثير الشفقة .. الرثاء .. انه ينزف رجولته .. كأنه

يعصر شخصيته .. وتمنيت وأنا أرى دموعه ، لو كانت هذه

الدموع دموع هاشم .. كنت كرهته .. كنت استرحت منه ..  
ولكن هاشم لا يبكى .. انه قطعة جامدة من الصلف والغرور ..  
والدم الثقيل ..

وعدت أقول :

— أنا آسفه يا حصن .. اعتبرنى مجنون .. اعتبرنى وحشه  
.. اعتبرنى أى حاجه ..

قال وهو يمسح شاربه المبلل بالدموع :

— انتى عملتى فى كتير يا ميتو .. ومش ممكن تسيبىنى  
بالطريقه دى .. أنا لى حق عليكى ..

وفكرت قليلا ، وقلت وقد خيل الى أنه فعلا صاحب حق على :

— احنا حانفضل أصدقاء .. مش ممكن أسيبك زى ما انت  
فكر .. انت انسان نبيل ..

قال :

— وحاشوفك ؟ ..

وعدت أفكر برهة ، ثم قلت :

— أبوء .. حابقى أشوفك ..

واشرقت ابتسامة فوق شفثيه ..

وبخرت الابتسامة دموعه ..

وقد عدت الى لقاء حسن فعلا .. ولكن ..

ليس كسديق .. لقد كنت أذهب اليه فى شقتى .. ربما  
لاملاً نفسى بالاحساس بأنى أخدع هاشم .. وبأنى أتوى منه ..  
ربما لأن هاشم كان يضمن على بوقته .. كان لا يزال يلتقى الى  
بهذه الكلمات السريعة فى التليفون ، ويلقائنى كل يومين أو ثلاثة  
.. ساعة أو ساعتين .. فكنت أحاول أن أملأ فراغى بأن الهوى  
بجسدى .. هوايتى الوحيدة .. والهوى به مع حسن .. ولكنى

اكتشفت اني كلما ذهبت الى لقاء حسن ، وضعت في يدي هذا السوار الذهبي الذي اهدانيه هاشم .. واجد نفسي في لحظة معينة ، وقد تعلقت عيني بهذا السوار .. وانسحب من جسدي كل احساس .. لم يعد في احساس الا احساسى بهذا السوار في معصى .. كائى استغيث به .. كائى اناديه .. هاشم ..

وكتبت في كل مرة التقي فيها بحسن اقول لهاشم :

— تعرف امبارح شفت مين في الشارع .. حسن ..

ويزوم هاشم بشفتيه ، ولا يعلق بشيء ..

وكتبت احيانا اقول اكثر من هذا ، لعلى اثير شكوكه ، لعله يحس بى كامراة مرغوبة من عشات الرجال .. كتبت اقول له :

— النهارده حسن ضرب لى تليتون .. تعرف انه لسه بيحبني .. ولسه عايز يتجوزنى ..

ويرد في برود :

— خسارة .. كان لازم تتجوزيه ..

واجن لبروده

وأرد :

— اللى لازم اتجوزه .. انت ..

ثم اضحك ضحكة باردة ، حتى لا يفضب منى ..

وكتبت معلا لا زلت احاول ان اتزوج هاشم ، ولو على طريقة زوجة أبى .. حنة حنة .. وكتبت اجلس طويلا مع زوجة أبى وليس لنا حديث الا الوسيلة التى يمكن ان نقنع بها هاشم بالزواج .. بل اتى اخذتها يوما معى الى هاشم فى الشقة .. وربما جاءت معى لترى هاشم الذى سمعت بشهرته كطبيب ، أكثر مما جاءت لتساعدنى على اقناعه بالزواج .. ومن يدري .. ربما جاءت معى وهى تتمنى ان تاخذ منى هاشم ..

وكان هاشم يعلم ان زوجة أبى تعلم ما بيتنا .. وكان يعلم اى صنف من النساء هى .. ولكنه دهش الى حد الذهول عندما فتح الباب ووجدها معى .. وأسرت اقول له :

— اصبر بابا فى البيت النهارده .. ولولا فايزه ما كنتش حاقدز أشوفك أبدا ..

وقلب هاشم شفتيه امتعلنا ، وترك الباب وتقدمنا الى داخل الشقة .. ودخلنا وراءه .. واغلقت الباب بيدي ..

وجلست زوجة أبى وهى تدير عينيها حولها ، كانتا خبيرة فى الشقاق الخاصة ، تستطيع ان تقدر قيمة الرجل بمجرد التطلع الى جدران شقته ..

وجلست بجانبها كائى تلميذة عبيطة ..

وجلس هاشم قبالتنا وفى عينيها نظرات تحد ، كأنه يعلم ما فى رأسنا ..

ودارت بيننا كلمات تافهة سخيفة ، الى ان قالت فايزة :

— والنبنى يا دكتور دى مينو بتحبك قوى .. انا ما شفتش حب بالشكل ده أبدا ..

ونظر إليها هاشم بعينين ملؤهما التحدى ، وقال :

— بس يا خساره ، مش ممكن نتجوز ..

وفوجئت زوجة أبى ، بهذه الصراحة كان هاشم سحب الارض من تحتها .. الارض التى مهدتها لتلعب فوقها بخكائها .. وقالت :

— ليه ماه ؟ ..

قال فى بساطة .. لا .. وقاحة :

— علشان انا مش حاتجوز ..

ونظرت الية فى هلع كأنها بدات تخافه ، وقالت كأنها تدافع عن آخر حصونها :

— ولو نكتبوا ورقه كده .. ترضى رينا ..

قال دون أن يهتز :

— ولا ورقه .. ولا حاجة .. أنا ما باعتقدش فى الحاجات

دى ..

قالت كأنها قررت أن تتحداه :

— أمال تعتقد فى إيه ؟ ..

قال :

— اعتقد أن اللي عاوزه تتجوز تدور على واحد تانى غيرى ..

قالت :

— بس ده حرام .. يعنى نسيب البنيت تحبك .. وبمعدين

تقول لها روحى دورى على واحد تتجوزيه .. مالكش حق يا دكتور

.. دا كلام ما يرضيش رينا ..

قال :

— أمينه عارفه الكلام ده من أول يوم شفتنا بعض فيه ..

وتدخلت أنا قائلة وأنفاسى تضج فى صدرى :

— بلاش الموضوع ده يا فايزه ..

قالت :

— بس يا ميتو ده كلام مش معقول .. ده انتى بنت ناس

.. ولك أب وأم .. وعيلتك أحسن عيلة فى البلد مش ناقصك

حاجة .. ..

وقاطعها قائلة :

— أعلى معروف .. بلاش الموضوع ده أحسن هاشم يفتكر

أنا متفقين مع بعض .. وجايبكى مخصوص علشان كده ..

وانتى عارفه مش عايزه أتجوز دىوقت ..

وابتسم هاشم فى غرور ، كأنه هزمن ..

ولا أدري لماذا لم أغضب يومها من هاشم .. بالعكس ..

أحسست أنى فخورة به ، أحسست كأنى أتباهى به أمام زوجة

أبى .. وقلت لها ونحن ننزل على السلم :

— مش قلت لك إنه راجل مش سهل ..

وقالت فى غيظ كأنها تتحمل الهزيمة وحدها :

— ده مغرور ، ما ينطقش .. أنا عارفه استحمتيه السنين

دى كلها ازاي ؟ ! ..

وابتسمت ..

فخورة بهاشم الآن ..

ولم تكن زوجة أبى وحدها هى التى تحدثت معه ..

وكنت لا زلت ألتقى بأبى سرا عند الخياطة أو عند احدى

خالاتى الخمس ، أو فى دكان من دكاكين شارع قصر النيل ..

حتى لا يطلقها زوجها إذا علم بأننا نلتقى .. وكنا نضحك كلما

التقينا سرا .. أو كلما استطاعت أن تحدثنى فى التليفون خفية

عن زوجها .. كنا نعتبر أنفسنا عاشقين .. وكأنت أُمى تسمينى

« الخواجه ميتو » وتقول لخالاتى أنها ذاهبة للقاء الخواجه الذى

تخبه .. وتخطب على صدرها وتقول وهى تضحك ، على آخر

الزمن أخرج أقابل بنتى من وراء جوزى .. آه منك يا خواجه

ميتو ..

وكنا فى لقاء عند خالتى سعيدة ، وكنا نتحدث عن هاشم

عندما قالت أبى :

— هانى لى الجدع ده أكله ..

وقلت لها :

— ما فيش فايدة يا ماما .. بلاش أحسن ..

وعادت تقول :

— بالقولك خلىنى اكله .. مش حاستريح الا لما اكله ..  
اما اشوف اخرتها معاه ايه ..  
واصرت امى ..

وأدرت لهم رقم تليفون هاشم وأعطيتها السماعة .. ووضعت  
أذننى بجانب أذنهما ..  
وقالت امى :

— صباح الخير يا دكتور .. انا مامة ميتو .. امينه ..  
ورد عليها هاشم فى ادب حقيقى .. وكنت اعرف ان هاشم  
يحترم امى ويقدرها ويحبها ، أكثر مما يحترم أبى .. وسميعته  
يقول لها :

— صباح النور يا افندم .. ده شرف كبير ..  
وقالت امى :

— أنا يا دكتور باسمع عنك دايمًا سمع طيب .. ما فيش  
حد الا ببشكر فى اخلاقك وشهامتك وشطارتك .. بس يا بنى  
نفسى تطننى على بنتى ميتو .. انت ناوى على ايه ..  
وقال فى ادب وفى صوت هادى :

— والله يا افندم أنا مش ناوى على حاجه ابدأ .. وأنا قلت  
الكلام ده الامينه كثير .. ونصحتها انها تتجوز ..  
وقالت امى :

— ده مش كلام يا بنى .. تتجوز ازاي دلوقتى وهى متعلقه  
بيك بالشكل ده .. دى ستابت خطيبها علشان خاطر ك .. راجل  
ما يتعوضش .. وقبل كده ستابت جوزها .. حقه مالكتش حق  
يا دكتور ..

وقال هاشم وهو لا يزال هادئًا مؤدبًا :

— يا افندم أنا ماليش ذنب .. امينه غلطانه فعلا لانها ساببت  
خطيبها ، وأنا عبرى ما وعدتها بحاجه ..  
وتنهدت امى قائلة :

— صعب على يا ابنى اتى اتحايل عليك .. بنتى مش وحشه  
ولا ناقصه حاجه ، علشان اتحايل على حد يتجوزها .. انما اعمل  
معروف يا ابنى .. البنت بتحبك .. استرها رينا يسرك ..

وتصمت صوت هاشم وقد ارتعش رعشة خفيفة لا تبينها  
الا أذنائى اللذان تعودتا على صوته ، واحبنا كل نبذة فيه :

— أنا آسف يا افندم .. أنا عارف اتى غلطان .. وغلطتى  
هى اللى مخليتلى استحمل كثير من امينه .. انما أرجوكى انك  
تتأكدى اتى لو كان ممكن اتجوز كنت اتجوزت امينه من زمان ..  
انما مش ممكن .. مش ممكن ابدأ يا هاشم ..

وسكتت امى برهة ثم قالت بطيئتها :

— كده .. طيب يا ابنى .. رينا يرضى عليك .. أنا آسف  
.. انما اعذرني يا حبيبى .. أنا كلمتك بقلبي .. قلب الأم ..  
مع السلامه يا ابنى ..

وضمت امى سماعة التليفون ..

وبكت ..

وبكى معها ..

لم اشعر هذه المرة بانى اتباهى بهاشم لانه هزم امى ..  
احسست بالسخط عليه لانه اهان امى .. وكنت اضعف من ان  
احيل سخطى الى ثورة .. ثورة على حياتى .. على هاشم ..  
على خطيئتى .. كل ما فعلته اتى ذهبت يومها الى لقاء حسن  
.. لاتوهم اتى انتقم من هاشم ..

وحديث فى حياتى فى هذه الأثناء حادثة اخرى كان لها اثر

كبير فى حياتى .. فقد كانت العلاقات بينى وبين زوجة أبى ،  
قد بدأت تسوء يوما بعد يوم .. فقد كانت تغار منى بسبب النقود  
الكثيرة التى أخذها من هاشم ، واشترى بها فى كل يوم شيئا  
جديدا .. رغم أنى كنت اشتري لها هدايا كثيرة من هذه النقود  
حتى أضحت صداقتها ، واضحت مستاعدتها لى فى نزوانى كلما غبت  
عن البيت .. وفى الوقت نفسه كنت أيضا أغار منها .. لأنها  
استطاعت أن تتزوج من أبى رغم أنها كانت عشيقته قبل الزواج ،  
وأنا لا أستطيع أن أتزوج هاشم .. ثم أغار منها على أبى ..  
غيرة أى بنت من زوجة أبيها .

وتضخمت خالاتنا ، وخالاتنا ، الى حد لم يعد بقاؤنا فى  
بيت واحد ممكنا .

وأبى ليس له طاعة على الخناق ، وليس له قوة على مواجهة  
المشاكل ولكنه يهرب منها ، لبضمن لنفسه ليلة هادئة يشرب  
نبيها زجاجة الكونياك ..

وقد هرب أبى من مشكلتى أنا وزوجة أبى ، بأن استاجر شقة  
أخرى فى نفس العمارة وانتقل إليها هو وزوجته ، وتركنى وحدى  
أنا وابنتى .. وأصبح يعاملنا كزوجتين .. يعود فى المساء فيمر  
على ويجلس ساعة ثم يصعد الى زوجته ليقضى الليل معها ..  
ويشرب زجاجة الكونياك .. وأحيانا يقرر أن يستريح من زوجته .  
فيأتى بزجاجة الكونياك ويشربها معى ..

وفرحت بهذا الحل ..

وأصبح لى بيت .. الأول مرة اشعر أن لى بيتا .. عنديما  
كنت زوجة كان بيت حماتى .. وعندما كنت مع أمى كان البيت  
بيت زوج أمى .. وعندما انتقلت لأعيش مع أبى كان البيت بيت  
زوجته .. أما الآن فقد أصبح لى بيت .. وحدى . وأحببت

بيتى ، وأحببت أبى أكثر لأنه منحنى بيتا .. وفكرة الزواج من  
هاشم تأمت فى رأسى فترة ، كأتى استغفيت بهذا البيت عن  
الزواج ..

وكانت اشاعة زواجى من هاشم قد ازدادت انتشارا بعد أن  
مسخت خطبتى من حسن ، فقد اعتقد الناس أنى لم أفسخ خطبتى  
الا لاتزوج هاشم .. لم يكن يخطر على بال أحد أن هناك مجنونة  
يمكن أن تمسح خطبتها للأشياء .. حتى بلا وعد بالزواج ..  
ولذلك انتشرت الاشاعة .. واكتفيت بأن أعيش فى اشاعة ..  
اشاعة زواج ..

وأصبحت حرة ..

أكثر حرية ..

واندممت فى حيرتى الى آخرها .. لم أعد اكنى بالخروج  
فى النهار .. أصبحت جريئة فى الخروج بالليل .. كنت أنتظر  
الى أن يصعد أبى الى زوجته وأطمئن الى أنه نام .. وأترك  
ابنتى مع الخادمة ثم أخرج .. كنت أخرج مع هاشم ونذهب  
الى شبرد ، والهيلتون ، وميراميس ، ومينا هاوس .. والناس  
تعتقد أننا زوجان .. وهاشم لاه عما تعتقده الناس .. غروره  
يعمى عينيه ويسد أذنيه عن سماع الاشاعة .. أنا وحدى التى  
أسمعها وأراها فى العيون ، وأفرح بها ..

ولكن هاشم لم يكن يرضى أن يخرج معى كل ليلة .. كان  
مشغولا .. وكان يتدلل على كثير .. يعذبنى .. فأصبحت  
أخرج مع حسن .. ولكنى لم أكن أخرج معه الى المحال العامة  
.. حتى أبقى على اشاعة زواجى من هاشم .. كنت أذهب معه  
الى شقته .. أو أتركه معى فى سيارته .. ثم .. لم يعد حسن  
وحده الذى أخرج معه بالليل .. كان هناك محام آخر شاب

التقيت به في حفلة أقامتها ابنة عمتي .. اسمه عادل .. كان  
انسانا هادئا .. حديثه كله منطوق وكان يكره هاشم ويحاول أن  
يخلصني منه .. فخرجت معه أيضا .. ولكني لم أذهب إلى  
شقيقته ..

وحريتي تتسع أمامي ، ولا يملؤها شيء .. والرجال يزغزلون  
عيني في كل مكان .. وكل واحد منهم يقترب مني ، اقتنع نفسي  
بأنه يريد أن يتزوجني .. وأشتجعه .. وأتركه يحدثني في التليفون  
وقد أخرج معه .. ثم يخوب .. أزهرق منه .. أو يزهرق مني ،  
قبل أن يفتاحني بالزواج .. لم أحب واحدا منهم .. لم النق  
بالرجل الذي يستطيع أن يترزع هاشم من قلبي ومن جسدي ،  
ويحتل مكانه ..

ولكنها عقدة الزواج .. العقدة التي كانت تاكل من عمري  
دون أن أدري .. هي التي كانت تدفعني إلى كل هؤلاء الرجال ..  
وتدفعني إلى محاولة التخلص من هاشم ..

واحساسى بأنه أصبح لي بيت ، دفعتني إلى أن أملا هذا  
البيت برجل .. كنت أريد أن يملأه هاشم .. وكنت أعرف أن  
هاشم لن يقبل أن يأتي إلى في البيت بمجرد أن ادعوه ..

وفي ليلة .. وكانت الساعة الحادية عشرة .. اتصلت به  
في سميثرابيس وادعيت له أنني مريضة .. مغص حاد يمزق  
أحشائي .. ويكبت له في التليفون .. من شدة الألم .. وصدقني  
هاشم .. وجاء ..

وكنت قد أعددت نفسي له .. لبست قميص نوم أزرق فاتح  
مشغولا بالدانتيل .. وتركت شعري مسدلا على كفي .. وتعطرت  
بعطر « أرييج » الذي يحبه ..

واستقبلته ضاحكة ..

وغضب ..

غضب عندما اكتشف أنني خدعته بهرضي .. ورفع كفه يحاول  
أن يضربني ، ولكنه عاد وخفضها عندما تنبه إلى أنه في بيت  
غريب عنه .. وهم أن يتركني ويعود .. ولكني تعلقت به ..  
التصقت به ، وجسدي ساخن تحت القميص الضريع .. وتركت  
عطري يملأ أنفه .. وكنت أعلم أنه شرب كاسين .. وهو عندما  
يشرب يصبح رقيقا ، متفتح الاحساس كما تفتح أنبوية البوتاجاز  
.. يكتفي بعد ذلك أن تقرب منها عود الكبريت ..

واشتعل هاشم ..

وسحبته إلى غرفتي ..

وابنتي هدى نائمة في الغرفة المجاورة مع الخادمة ..

حياة جديدة ..

ومغامرات جديدة ..

وقد تعلمت في هذه الفترة شيئا جديدا لم يخطر ببالي ..  
تعلمت كيف أعامل البوابين .. أنه شيء يجب أن تتعلمه كل فتاة  
مثلي .. وقد كان بواب عمارتنا يحترمني في أول الأمر ..  
ولكني عندما بدأت أتأخر في العودة بالليل ، تغيرت معاملته ..  
كان يستقبلني بنظرة ملؤها القرف .. ثم أصبح يغلق باب العمارة  
.. ويتركني بالليل ادق الباب .. ربع ساعة .. نصف ساعة ..  
إلى أن يفتح لي ..

وثررت في وجهه أول مرة ، فقد ظننت أن من حقى كسائكة  
في العمارة — بل أن أبى يستأجر شقتين — أن أثور عليه .

وتحمل نورتي في هدوء .. واحتقار ..

ولكني ، عندما تأخرت في العودة مرة ثانية ، تركني ملطوعة  
ساعة كاملة .. وعندما حاولت أن أثور .. هب في وجهي  
صارخا :

— لما انتى بتزعل على كده ما تبقى ترجعى بدرى .. ولا فاكركه  
انى مش فاهم يعنى ..

ودوى صوته فى العمارة كالرعد .. وخفت .. وقتت امامه  
ارتعش .. وحاولت أن اعود واصرخ فى وجهه ، ولكن صوتى  
انحبس فى حلقى . وكان هاشم هو الذى يوصلنى ليلتها ، فنزل  
من سيارته بسرعة .. ووضع فى يد البواب خمسة وعشرين  
قرشا وهو يقول له مبتسمًا :

— ما تزعلش يا ريس .. اصلها تعبائه ثويه .. احبها  
اسفين اللى ازعجناك ..

ثم نظر الى نظرة قوية يامرئى أن اصعد الى بيتى ..  
ومن يومها أصبحت أخاف من البواب أكثر مما أخاف من  
أبى .. وأدفع ثمن خوفى خمسة وعشرين قرشا ، كلما تأخرت  
بالليل .. أو كلما زارنى رجل .. وأصبح البواب يحترمنى ..  
ويبتسم لى .. ويترك باب العمارة مفتوحا الى أن اعود ..

ولم يكن هذا هو البواب الوحيد فى حياتى ..  
لقد عشت حياة مزدحمة بالبوابين .. كلهم أخاف منهم ..  
وكلهم أدفع لهم الخمسة والعشرين قرشا ..  
شيء لا تعرفه البنات المحترمات ..

— ٣ —

ولم تكف عنى زوجة أبى ..  
حاولت أن تثير أبى على علاقتى بهاشم .. قالت له أشياء  
كثيرة محاول أن تثير بها نخوته واعتزازه بشرفه .. ولكن أبى  
لم يثر .. بل أن حياتى الجديدة جعلته يستسلم أكثر لعلاقتى  
بهاشم .. ويكاد يعترف بها .. فقد كان يرى النقود فى يدي ،  
ولا يسألنى من أين أتى بها .. ثم تركنى أدفع فاتورة التليفون

.. ثم بدأت حالته المالية ترتبك أكثر .. فتركنى أدفع اجرة  
الخادمة .. وفى بعض الشهور دفعت أجر البيت .. ثم اشتريت  
اثاث حجرة طعام جديدة ، كلفتنى مائة وخمسين جنيها .. وجلس  
أبى يكل على المائدة الجديدة . دون أن يسألنى من أين أتيت  
بها .. لابد أنه كان يعرف أن هاشم هو الذى يدفع .. أصبح  
هذا امرا مسلما به بيننا .. أنا وأبى .. بل أن أبى اقترض منى  
يوما .. اقترض مائة جنيه لم يردها حتى اليوم ..

وهاشم يدفع ..

كان يدفع كثيرا ..

الموضوع الوحيد الذى كان يثير نقاشا بيننا هو أن أشعره  
بأنى فى حاجة الى نقود .. كان يدفع بسرعة .. ولكنه لم يعد  
يبدل مجهودا ليكون رقيقا وهو يدفع لى ..

ثم ..

وقعت مصيبتى الكبرى ..

فقد يئست زوجة أبى من أن تثير أبى ..

وبدأت تتمثل بزوجى السابق عبد السلام .. أبو ابنتى ..  
وكان عبد السلام يأتى كل أسبوعين مرة .. وأحيانا كل  
أسبوع .. ليرى ابنته .. وكنت اتعبد الا التلقى به .. كنت أخرج  
من البيت قبل أن يأتى .. وفى المرات القليلة التى كنا نلتقى فيها .  
كان ينهال على بالنصائح .. ويستحلفنى بحياة ابنتى أن أحرص  
على سمعتى .. وأن أتزوج .. حتى أضمن للبنات حياة مستقرة  
هادئة .. وكنت أستمع الى نصائحه فى زهو .. وضيق ..  
واترك له هدى وأخرج من البيت ..

ثم بدأ عبد السلام فى المرات التى نلتقى فيها يحدثنى عن  
هاشم .. وعن علاقتى به .. ويقول لى تفاصيل لم أكن أعلم



أيامها من أين عرفها .. ثم يثور .. ويرفع صوته الكريه ليتملا  
به البيت كله .. ويهددني .. يهددني .. أن يأخذ مني ابنتي ..  
ولم أكن أصدق تهديده ..  
كنت أتحداه وأغيطله (٢٠٠٥)

ثم فجأة ... بدأت معاملته بتغير .. أصبح رقيقا ، هادئا ..  
بل بدأ يدفع لي نفقة البنت .. أعطاني عشرين جنيها .. ثم استأذن  
في أدب أن يصحب هدى ليشتري لها بعض الثياب واللعب ..  
وسمحت له .. وأخذها وخرج .. وأعادها بعد ساعتين محملة  
بمشتريات كثيرة .. وبعد أسبوع رجائي أن أسمع له بأن يأخذ  
هدى لتبيت معه في الفندق الذي يقيم فيه .. وسمحت له ..  
لم لا .. إنه أبوها ، وهو المسئول عنها قبل هاشم .. ويجب  
أن تشب هدى وهي تحبه ..

وقد أعادها عبد السلام فعلا في اليوم التالي .. أعادها  
ضاحكة مرحة ، إلى حد أنني غرت عليها منه ..  
ثم (٢٠٠٦)

كنت خرجت من البيت للقاء هاشم .. وعدت في حوالي  
الساعة الخامسة .. وأتجهت مباشرة إلى غرفة ابنتي كمادتي  
كلها مدت (٢٠٠٦)

إنها ليست في غرفتها ..  
ولا في غرفة الطعام ..

وبدا قلبي يرتعد .. لا أدري لماذا .. واقتحمت المطبخ ..  
فوجدت الخادمة جالسة تلوك قطعة لبان ، وتغني أغنية  
لعبد الحليم حافظ ، وسألتها في لهفة :

— أين هدى ؟

وأجابت وهي لا تزال تلوك قطعة اللبان :

— عبد السلام بيبه ، جبة ، وأخذها .. وخرج ..  
وصرخت فيها !

— وإزاي تسيبيه يأخذها .. استأذنتيني ..  
وقالت الخادمة :

— يوه يا مستى .. مش أبوها ..  
ورفعت كفي وهويت على صدغ الخادمة ، وأنا أصرخ :  
— أنا حاوديكي في داهيه ..

وقالت وهي تنظر إلى في غيظ :  
— وأنا مالي .. بتضربيني ليه .. ده حتى عبد السلام مبيه  
قال لي أنني أقول لك أنه مش حايرجع معك هدى إلا لما تتجوزي ..  
وصرخت ..

لقد خطف ابنتي .. خطف هدى ..  
وانطلق الجنون في رأسي ..

وانهلت على الخادمة أضربها ، وأنا أصرخ :  
— بنتي يا بنت الكلب .. بنتي .. بنتي .. ضيعتي بنتي ..  
بنتي .. اتسرقت ..

ثم وجدت نفسي أجرى على السلم ..  
وأجرى في الشارع ..  
ولم أكن أدري أنني أجرى إلى قدرى ..

كنت أجرى كالمجنونة ابحت عن ابنتى .. كنت أجرى وأنا  
جالسة فى التاكسى .. كل شئ فى يجرى .. قلبى يجرى ..  
دمى يجرى .. عقلى يجرى .. أنفاسى تجرى .. كاتى أجرى  
وراء قطعة من جسدى نزع منى .. وألم .. ألم هائل ..  
كأنه قد نزع قطعة من جسدى فعلا .. وأحس بأن ما نزع  
منى هو عيائى ، فأحس بالألم فى عيائى .. ثم أحس بأن ما نزع  
منى هو صدرى فأحس بالألم فى صدرى .. ثم أحس بأن ما نزع  
منى هو بطنى ، فأحس بالألم فى بطنى .. ألم حقيقى .. أنى  
لم أشعر بكل هذا الألم من قبل .. ولا بكل هذه اللوعة .. ولا بكل  
هذا الهلع .. عذاب .. عذاب ينصب على كان أفواه السماء  
قد فتحت كلها لتصب على العذاب :

وصلت إلى الفندق الذى تعود أن يقيم فيه عبد السلام .  
واندفعت إلى مكتب الاستقبال والجنون يشق لى الطريق ، وسألت  
بانفاسى اللاهثة :

— عبد السلام بيه موجود ..

واجاب موظف الاستقبال وهو ينظر الى فى دهشة :

— لا يا مدام .. سافر النهارده الصبح ..

وانكثت على الحاجز المرتفع الذى يفصل بينى وبين الموظف .  
وبكيت .. بكيت فى غل .. فى غيظ .. والموظف يقول :

— جرى آيه يا مدام .. حصل آيه !

ورفعت اليه عيائى المجنونتين ، وصرخت ،

— تليفون .. عايزه اتكلم فى التليفون ..

ووضع الموظف امامى آلة التليفون « وادرت رقم امى ..  
ورد على زوجها .. ولم اخف منه .. ولم اخف أن يطلق امى  
.. صرخت فيه وصوتى غارق فى دموعى :

— عايزه اكلم ماما .. عايزه اكلها حالا ..

وانتظر زوج امى برهة ، وربما أشفق على ، فنادى امى  
لتحدثنى : وصرخت فيها بمجرد أن سمعت صوتها :

— بنتى .. عبد السلام خطف بنتى يا ماما ..

وقالت امى فى ذعر :

— خطفها ازاي ..

وصرخت :

— ما اعرفش خطفها ازاي .. مش مهم خطفها ازاي ..

أنا عايزه بنتى .. هاتى لى بنتى ..

وقالت امى ..

— طيب هدى نفسك يا أمينه .. وحصلينى على خالتك

صبريه ..

ووضعت سماعة التليفون ، وجريت الى الخارج .. وموظف

الفندق يتبعنى بدهشته دون أن يطالبنى بشئ المكاملة التليفونية ..

وركبت التاكسى ، وأنا أصب لعنائى على عبد السلام ..

كل ما فى من قوى الحقد تنصب عليه .. وخيالى ينطلق ليخترق

عنقه .. ليقذف فى وجهه بماء النار .. ثم فجأة وجدت نفسى

أفكر فى هاشم .. وتحول حقدى كله عليه .. أنه هو السبب

.. هو .. هو الذى مزق حياتى .. هو الذى ضيعت من أجله

زواجي .. وعائلتي .. ثم خطيبي .. وسمعتي .. وكل هذا  
قد يهون ... ولكن ابنتي .. هدى .. لا .. لا ياربي .. لا تأخذ  
منى ابنتي .. خذ منى هاشم .. خذ منى كل شيء .. ورد لي ابنتي  
.. ووجدتني أرفع دموعي الى السماء وأهمس :

— خلاص يا رب .. تبت خلاص .. تبت وحياة السيدة  
زينب عندك ترجع لي هدى ..

ودموعي لا تكف .. دموع صامئة .. ليس فيها حقد ..  
ولكن فيها احساس بالخطيئة .. احسست بالحرام الذي عشت  
فيه طول هذه السنين .. احسست بصورة خطيئتي امامي ..  
صورة بشعة ليس فيها حب ولا جمال .. صورة امرأة لونها  
ازرق ، وجسدها يتفقد قطرات كبيرة من العرق ، ورأسها منكس  
محلوق الشعر .. واخفيت عيني بكفي حتى لا ارى هذه الصورة  
.. وعدت ابتهل الى الله لعله يطهرني من خطيئتي ويصفح عني .  
ويعيد لي ابنتي .. ثم تفكر في خيالي صورة هاشم مرة ثانية ..  
ويخيل الي اني اصرخ هلعاً منه .. واجري لأبتعد عنه .. انه  
الرجل الذي يخطف الاطفال .. اخافه .. واحتد عليه ..  
واستفيت بالله منه .. وسائق التاكسي يلتفت وراءه ويتفرج  
على دموعي ، ثم يهز رأسه في اسي ، ويقول :

— كله يتعوض يا ست هاتم ..

لا .. كل شيء يعوض الا ابنتي ..

الى ان وصلت الى بيت خالتي صبرية .. وهي تقيم مع زوجها  
في مصر الجديدة قريباً جداً من بيت امي ، ومن بيت خالتي  
سمعية .. وتعتبر في وسط اخواتها « حلالة المشاكل » رغم انها  
ليست اكبرهن سناً .. انها اصغر من امي .. ولكنها اذكاهن ،  
واعقلهن ..

ووجدت امي وثلاثة من خالائي في انتظاري ..  
وارتيمت على صدر امي ابكي في حرقه .. وكلماتي تمزق  
دموعي :

— بنتي يا ماما .. هدى .. اخذ منى هدى ..

وضممتني امي في حنان ، واخذت تربت على ظهري ، وتقبلني  
في شعري ، قائلة :

— بس يا حبيبتي .. ما تعيلتي في نفسك كده ..

وقالت خالتي سمعية :

— انتي فاكرك انه يتقدر ياخذها منك .. ما يتقدرش ..

الحضانة لغاية سن اثنا عشر سنة ..

وبدا المؤتمر النسائي المنعقد حولي يناقش موضوع الحضانة  
.. ويتناقلن القصص والقضايا والحوادث التي سمعن بها ..  
وكل منهن تدلي بفتوى قانونية .. الى ان قالت خالتي صبرية :  
— هو قال ايه للبت الخدامه ساعة ما اخذ هدى ؟

قلت وقد جفت دموعي فوق خدي :

— قال لها انه مش حايرجها الا لما اتجوز .

وساد الصمت فترة ، الى ان انطلق صوت خالتي فتحية ،  
صغرى خالائي :

— والنبي الراجل له حق .. اصلك يا ميتو مزوداها تسوي  
مع الدكتور بفاعك ده .. والبلد كلها بتتكلم عنك ..

وثارت كل اعصابي ، وانطلقت صارخة في وجهها :

— وسيتوني للدكتور بقاعى السنين دي كلها ليه .. كلكم  
كنتم عارفين ، وكلكم كنتم ساكتين .. امي سمعتني .. وابويا  
سابتني .. عارفين هاشم بيعمل لي آية .. هو اللي بيصرف على  
.. كل فستان بالبيسه هو اللي جايبه .. ويبصرف على بيتي ..

هو اللي بيدفع ماهية الخدمة .. هو اللي بيدفع فاتورة النور والتليفون .. وأبويا عارف .. أبويا ما بيدفنيش ولا ملهم .. كل يوم يتجوز واحده .. ويبيع فى أرضه .. يعنى مش حاسيب لى ولا ملهم .. انتم السبب .. انتم اللي خلقتونى أعيش زى ما أنا عايشه .. ما فيش حد فيكم قدر يكلم أبويا ، ولا يسأل أنا عايشه ازاي .. ما فيش حد فيكم كان قلبه على .. النهارده بس جايين تقولوا لى ، وتنصحنونى .. بعد ما اتخفت منى بنتى ..

وعدت أبكى ..

أبكى بحرارة ..

وساد صمت حزين .. ويدات الدموع تظفر من عيني أمى وخالاتى الثلاث .. لم تثر واحدة منهن وأنا أصارجهن لأول مرة بأن هاشم هو الذى يصرف على .. بأنه يدفع ثمن معاشرتى له .. واكتشفت ساعته أن قصتى لا تثير السخط ولا القرف .. ولكنها تثير الشفقة .. وأننى أستطيع استغلال هذه الشفقة لاكتسب الناس الى جانبى .. لاثير العطف على .. واخبيء خطيئتي فى طيات هذه الشفقة ، وهذا العطف ، ومنى الدموع التى يذرفها الناس من أجلى ..

وقالت أمى من خلال دموعها :

— أنا سبتك يا ميتو ؟ يا ما نصحتك .. وياما حذرتك ..

قلت وأنا لا زلت أبكى :

— سبتينى .. ما عملتيش حاجه .. وكنتى بتاخدى منى فلوس هاشم وتشيلها عندك .. وأنا كنت صغيره ، ما كنتى كفايه انك تنصحنينى .. لغاية ما طردنى جوزى من بيته .. مسابنى لأبويا وانتي عارفة أبويا عايش ازاي .. انما أنا عفراكى يا ماما .. أنا ما بلومكيش ..

وقالت أمى وهى تنتسج :

— هو حد قادر عليكى يا بنتى ..

وقالت خالتي سعدية :

— رانا يا أمينه مش جبلك عريس بالدنيا كلها .. وانتي

الى طفشتيه ..

وقلت وأنا أبكى وأشد شعري وأدبب على الأرض بقدمي ..

— يا ريتنى ما طفشته .. سبتونى أعمل كده ليه .. سبتونى

ليه .. ليه .. انتم فاكركين أنا فندى أربعين سنة .. حرام

عليكم .. حرام تسيبوني أتصرف لوحدى بالشكل ده ..

وعاد الصمت الحزين ، تمزقه دموع أمى وخالاتى ، حسرة

على حالى ..

الى أن تكلمت خالتي صبريه ..

والنفتت كل الرؤوس اليها .. الى حلالة المشاكل .. تتلف

الكلمات من شفتيها ..

وقالت خالتي صبريه وهى تنظر فى عيني :

— انتى عايزه بنتك ترجعك ؟

قلت فى لهفة :

— طبعاً .. اعملوا فى اى حاجه .. بس بنتى ترجع ..

وقالت خالتي صبريه فى حزم :

— أولا ، لازم تسيبي الدكتور ده ..

وصرخت :

— خلاص سبته .. وحياتك يا طنط قبل ما أوصل هنا ،

حلفت انى ما شفش خلقتة تانى .. كفايه اللي حصل لى من

نحت رأسه ..

وعادت خالتي صبريه تقول :

— وثانيا .. تيجى تقعدى عندى هنا .. تبعدى عن أبوكى وعيشة أبوكى ..

قلت :

— حاضر .. اللى تشوفيه يا طنط .. وعادت تقول :

— وثالثا .. تتجوزى بأسرع ما يمكن ..

ونظرت الية بعينين واسعتين خائفتين ، وقلت :

— وبنتى .. حاتفضل بعيدة عنى ، لغاية ما اتجوز ..

قالت فى هدوء :

— لا .. احنا نكلم عبد السلام علشان يخليكى تشوفيهيا لغاية

ما تتجوزى ، ويعددين تبقى تيجى تقعد معاكى ..

وصرخت :

— مش ممكن .. ده مش من حقه .. بنتى تقعد معايا ويبقى

هو اللى ييجى يشوفها .. أنا لى الحضائنه .. الشرع بيقول

كده ..

وقالت خالتى سعدية :

— وأوصل يا صبرية يا اختى ، ان ميتو اتجوزت حاتسقط

حضائنتها ، ويبقى من حق عبد السلام انه يخلى البنت عنده على

طول ..

وقالت صبرية :

— ما هو احنا لو دخلنا فى قضايا مش حانخلص .. وتنفوت

سنه وسنتين من غير ما ناخذ حق ولا باطل ، ولا حتى نشوف

البنت .. وأنا عارفة عبد السلام كويس .. واقدر أقنعه ..

وصرخت :

— مش ممكن .. بالذوق والمافيه لازم آخذ بنتى ..

وقالت خالتى صبرية فى هدوء :

— بس حاتخديها فين يا ميتو يا حبيبى .. انتى نفسك

بتقولى ان عيشة أبوكى مهببه ، واذا كنتى خايبة على نفسك من

العيشه دى ، خافى كمان على بنتك .. وكلها شهر والا شهرين

وتتجوزى ويبقى لك بيت ، وبنتك تيجى تقعد معاكى ..

وقلت فى حدة :

— وايه ضمنى انى حاتجوز فى شهر ولا شهرين ؟ ..

وقالت خالتى صبرية :

— سيى المساله دى على أنا ..

قلت :

— وحلاتى مين يتجوزنى بعد اللى عملته ده كله ..

وقالت خالتى صبرية فى ثقة :

— مالكىش دعوته .. اطنى ..

وقالت أمى :

— وانتى عملتى ايه يا بننى .. أهى كل البنات بتسوى

الهوايل ، ويرجعوا يتجوزوا ويتلموا فى بيوتهم ، انتى ما عملتيش

أكثر من اللى بيتعمل ..

وأراحتنى كلمات أمى ، أحسست كأنها مسحت كل ذنوبى ..

واستمر المؤتمر النسائى منعقدا الى ساعة متأخرة من الليل

.. ثم عادت أمى وخالاتى كل منهن الى بيتها .. وتقرر أن أبقى

فى بيت خالتى صبرية .. أعطتنى الغرفة التى كانت مخصصة

لابنتها قبل أن تتزوج .. ولم اتم .. بقيت الليل مفتحة العينين

أجرى بهما وراء ابنتى .. خيل الى انى لم أرها منذ سنتين ..

وأنا لم أكن أبدا أما ضعيفة فى عواطفها .. كان من عادتى أن

أترك ابنتى يوما كاملا مع الخادمة ، أو ليلا كاملا ، دون أن

اتلف عليها .. ولكنى الآن اكاد أجن ليعدها عنى .. أحس  
كأنى فقدتها الى الأبد .. واستمع كلماتها الحلوة السانحة ترن فى  
أفئى .. وأرى ابتسامتها المرحمة تنقز فى خيالى .. أراها كلها  
.. أرى لون عينيها .. ولون ثعمرها .. ومكان سنننها التى  
نقدتها أخيرا .. وحذاءها الصغير كقطعة البسكويت .. وأتذكر  
أشياء صغيرة .. صغيرة .. والأشياء الصغيرة تتجمع وتصبح  
حياتى كلها ..

ثم تهذا صور ابنتى فى خيالى ، ونقفز مكانها صورة هاشم  
.. بشما .. أنايا .. مفرورا .. وأكرهه .. انى أكرهه ..  
وتتجمع سحب الكراهية فى صدري لتصبح رغبة عارمة فى  
الانتقام .. ثم أحس بالعجز أمام كل هذه الصور .. فأمود وأبكى  
.. أبكى حتى الأبتى .. وأبكى عجزى عن الانتقام من هاشم ..

وفى اليوم الخالى ، صحبتنى خالتى صبرية الى بيت أبى ،  
وأنا مدبلة العينين ، منهكة القوى .. وجيعت ثيابى فى حقيبتين ،  
وعدت معها الى بيتها ..

ولم يعترض أبى ..

لقد سمع كل القصة كأنه يشاهد فيلما سينمائيا ليس له دور  
فيه .. ووافق بسرعة على انتقالى الى بيت خالتى .. وعلامات  
الراحة تبدى فى عينيه .. كأنه ارتاح منى ، ومن عبئى ..  
وهكذا ..

انتقلت الى حياة ثالثة .. حياة تختلف اختلافا تاما عن  
حياتى فى بيت أمى ، وعن حياتى فى بيت أبى .. كان بيت خالتى  
صبرية بيتا هادئا يملؤه الحب .. كانت تحب زوجها ، وزوجها  
يحبها ، كأنهما لا يزالان فى شهر العسل .. رغم أنهما تزوجا

من عشرين عاما .. وكان عقل خالتى واتزانها وشخصيتها القوية ،  
يؤهلها لتكون ست بيت ممتازة .. تسيطر على كل شى فى حلوة  
ورقة .. وتدبر حياتها فى حدود واضحة ، ليس فيها خلل ..  
ليس فيها شىء تخجل منه .. وكانت تحسب حسابا كبيرا لكلام  
الناس .. وزوجها يعود من عمله لتستقبله بعينين مبتسمتين  
تقبلانه فى كل مكان من وجهة .. ويتناول غداءه ويدخلان ليناما  
.. ثم يجتمع عندها بعض الأصدقاء فى المساء ليلعبوا الكونكان ..  
ويخرجان ليلعبا الكونكان عند بعض الأصدقاء ..

بيت سعيد .. صورة جديدة للبيوت لم أكن أعتقد انى سأعيش  
فيها يوما ما .. بل لم أكن أعتقد أن هناك بيوتا خالية من العتد  
والاضطراب كبيت خالتى صبرية ..

وقد حاولت خالتى أن تسيطر على .. سيطرتها الحلوة  
الرقيقة .. كانت تقودنى فى كل خطوة من خطواتى .. كانت  
تقودنى معها الى المطبخ .. وتقودنى معها لنعد المائدة .. وتقودنى  
معها الى زيارة صديقاتها .. وتحاول أن تقنعنى بأرائها فى  
الحياة والناس .. وكنت أعلم أنها تراقبنى .. تريد أن تطمئن  
الى انى لا أقابل هاشم ولا أحادثه فى التلفزيون .. ولكنها كانت  
تغلف مراقبتها لى فى غلاف ناعم رقيق مهذب ، لا يجرحنى ،  
ولا يقلل من أحساسى بحقى فى حريتى ..

وقد حاولت أن أعيش هذه الحياة ..

حاولت أن أحب حياتى الجديدة ..

مضت اسابيع وأنا مستسلمة لخالتى .. منقادة لها ..  
ولكنى كنت أشرد كثيرا .. كنت أشرد وراء ابنتى .. وكانت  
المفاوضات التى تجرى مع عبد السلام لم تثق الى شىء بعد ..  
فهو مصمم على ألا أرى ابنتى الا اذا تزوجت .. وكنت أشرد

وراء هاشم أيضا .. وكنت قد امتنعت عن الاتصال به فعلا .. لم اتصل به طوال أربعة أسابيع .. وهو لم يتصل بى ، انه لا يعلم اين أنا .. وحالتى العصبية تسوء .. انى أقضى ليلالى كاملة وحيدة فى غرفتى ، أتحدث الى نفسى .. وأحيانا أتحدث اليها بصوت عال كالمحائين .. وأتذكر ابنتى فأبكى لوعة .. وأتذكر هاشم فتسبب بى الرغبة فى الانتقام ولكن هذه الرغبة لا تلبث أن تفتح مصام جسدى .. فأحس بالحاجة اليه .. الى الرجل الذى تمر بى لحظات يخيّل الى أن كل شيء يهون فى سبيل أن أحس بأنفاس هاشم تهب على من أنفه الكبير .. وأن أحس بكفه تربت على مسام جسدى لتهدئها .. أن أحس بخرايمه يخفقان هذا الالم .. ألم الجوع .. الذى يفرنى ..

ولكنى احتملت ..

احتملت أربعة أسابيع .. وقاومت ..

وبدا أثر المقاومة على وجهى .. أن وجهى ذابل .. اصفر .. وعيناي مرخيتان مسكينتان .. ولاحظت خالتي ذبولى .. وأطمأنت الى انى لا أحاول أن اتصل بهاشم .. فبدأت ترحمنى من رقابتها .. وبدأت دون أن تشعرنى بأنها تعتمد شيئاً ، تسمح لى بأن أزور خالتي سعيدة وحدى .. ثم بدأت تسمح لى بالتردد على نادى مصر الجديدة .. بعد أن تتأكد من انى أذهب اليه مع صديقاتى اللدائى .. بقيت مصر الجديدة ..

الى أن التقيت بمحمد ..

محمد .. أول شباب عرفته فى حياتى ، وخرجت معه وأنا بنت قبل أن ألتقى بهاشم .. لقد كبر الآن ، أصبح فى السادسة والعشرين من عمره .. أكبر منى بعام واحد .. وأصبح موظفاً فى شركة بعد أن تخرج من كلية الحقوق .. وأطلق شارباً صغيراً

رفيعاً تحت أنفه .. وضحكت كثيراً عندما رأيته وسمعه شاربه ، لقد ذكرنى بالأسطى محمد الحلاق الذى كان يأتى الى بيت أبى ليحلق له شعرة كل يوم جمعة ..

وقد قابلت محمد فى الطريق وأنا ذاهبة الى النادى ، وأوقف سيارته بجانبى ، ومد عنقه الى وقال فى أدب :

— بونجور يا الفلم .. فكرانى ؟

وابتسمت .. انى أذكره .. قد أنسى وجوه النساء ، ولكنى لا أنسى وجه رجل .. وقلت وابتسامتى تتسع وأنا أطل على شاربه الصغير ، وأتذكر أسطى محمد الحلاق :

— أزيك يا محمد .. عامل إيه دلوقتى ..

قال :

— كريس .. تحبى أوصلك ؟

قلت وأعصابى تتجمع لمغامرة جديدة :

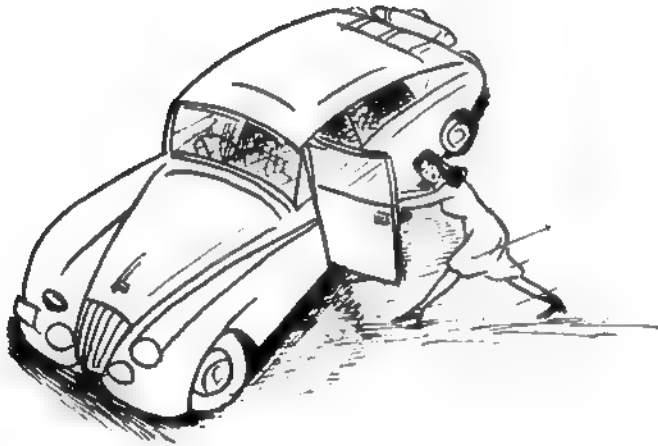
— أنت يظهر عليك لسه شغى ..

قال :

— أبدا والله يا أفندم .. بس أنا حاسس أننا مش غرب ..

وهيمت أن أركب بجانبه .. ببساطة .. كما تعودت أن أركب بجانب كثير من الرجال .. ولكنى فجأة تذكرت خالى صبرية .. وأحسست كأنى أخون ثقته فى .. كأنى على وشك أن ألوث بينها الهادئ النظيف الذى يملؤه الحب .. خالتي التى أوتنى لتنفذنى من حياتى المزعقة .. و .. ولم أكن مستطيع أن أقاوم طويلاً .. كنت قد تعبت من طول ما قاومت .. والأعصير التى مرت بى فتنت كل حياتى .. فتنت عقلى نفسه .. وكان أى رجل يمكنه وأنا فى هذه الحالة أن يجذبنى اليه .. وأى مغامرة يمكن أن تشدنى اليها ..

وخنت ثقة خالتي ..  
 ذبحتها هي الأخرى كما ذبحت كل الذين احبوني وعطفوا  
 على ..  
 وركبت سيارته ..  
 انها سيارة اخرى غير الشفروليه التي ركبتهما معه منذ سبع  
 سنوات .. سيارة هولكس واجن ..  
 وبسرعة وجدتنى اروي لة قصة ابنتى ..  
 كنت فى حاجة الى ان اروي قصة ابنتى لاي انسان جديد ،  
 كانى اعرض مسرحية على متفرجين جدد ..  
 واثرت بقصتى قلب محمد .. وشهامته .. ورايت غلالة  
 من الاسى تغمو وجهه .. وبدا يسب ويلعن فى زوجى عبد السلام  
 .. وقد كنت فى حاجة كبيرة لأن استمع من يسب فى عبد السلام .  
 فعائلتي كلها تعطف عليه اكثر مما تسبه ، وتعطيه الحق فى خطف  
 ابنتى .. اما محمد ، فقد شعرت انه يعبر عن كل احساسى  
 ويطلق طاقة حقدى وهو يسب عبد السلام .. وبدا يحدثنى عن  
 حقوقى القانونية فى حضنة ابنتى .. ويبدى استعداداه لان يضع  
 أشهر المحامين فى خدمتى .. كان متحمسا لى حماسا صادقا ..  
 وأحسست كأن قلبه يلتاع مع قلبى .. وبدونا نحن الاثنين كأننا  
 كونا فرقة هجوم لاعلان الحرب لاستعادة ابنتى ..  
 وقابلت محمد مرة ثانية .. وثالثة .. ولم اكن استطيع ان  
 احادثه فى التليفون من بيت خالتي صبرية ، فكنت اذهب لاحادثه  
 فى التليفون من عند خالتي سعدية .. وكنت متلهفة دائما الى  
 حديثه ، والى لقائه .. لا لانى احبه .. ولكن لانى كنت فى حاجة  
 اليه .. فى حاجة اليه ليخفف من ازمى .. ليريح اعصابى ..  
 وفى المرة الرابعة ذهبت معه الى شقته .. وصعقت عندما





علمت أن الشقة التي يأخذني إليها محمد تقع في الزمالك أيضا ..  
تريبا من شقة هاشم ..

ولم يكن محمد حتى هذه اللحظة يعلم شيئا عن علاقتي  
بهاشم ، رقم اته شاب يعيش تريبا من الأوساط الاجتماعية التي  
يعيش فيها .. وقد تعجبت أن ظل هناك ناس يعيشون في  
القاهرة ، وفي مجتمع النوادي ، ولا يعلمون علاقتي بهاشم .  
بعد كل الضجة التي أثارها معه ...

ولكني اكتشفت أن القاهرة ليست مدينة واحدة .. انها  
عشرات المدن .. ما يجري في واحدة منها لا تسمع به الأخرى  
.. القاهرة مجتمعات مفككة لا صلة بينها .. والحكم الذي  
يصدره مجتمع منها لا يبلغ الى مجتمع آخر .. بل أن القاهرة  
شلال .. كل شلة لها اهتمامها وعالمها وفضايلها الخاصة ..  
والبنت يمكن أن تكون فاضلة بالنسبة لشلة وخاطئة بالنسبة  
لشلة أخرى .. وقد ترفض شلة أن تزوجها من أحد أفرادها .  
وتقبل الشلة الأخرى .. ليس هناك حكم عام على بنت ، الا اذا  
نشرت قصتها الصحف .. وقصتي لم تنشرها الصحف ..

وصعدت مع محمد الى الشقة ، وركبناى ترمشان ..  
أحسست أنى أعود الى حياتى من جديد .. الحياة التي تعودتها  
.. حياة الشفق الخاصة ..

وأحسست أنى لا أستطيع أن أدمى أمام محمد بأن هذه  
أول مرة أدخل فيها شقة خاصة .. كنت ساعتها أضعف من أن  
أدعى الخوف .. أو الرهبة .. أو الخجل .. أو شيئا مما تدعيه  
البنات عندما يدخلن شقة خاصة .. كنت أريد أن أرتاح من كل  
هذا .. أن أكون على طبيعتى .. كنت أريد أن أطلق أعصابى

الثالفة التي مضى عليها أسابيع وهى حبيسة ارادتى ، حبيسة  
الخوف من الا تعود الى أبنتى ..

ومحمد جالس أمامى مبهورا ، كأنه لا يصدق عينيه ،  
ولا يصدق أنى معه .. وأنه يستطيع أن يأخذنى .. وهو مرتبك ،  
لا يدري من أين أبدا .. تقتل الى عيناه المرتبتكان .. ويهم  
أن يقترب منى ثم يخشى أن يفضبنى ، فيظل بعيدا عنى مدعيا  
الأدب .. يحاول أن يتكلم فى أى موضوع ، ليثبت لى نه لا يريد  
منى شيئا أكثر من أن أكون معه .. وأكثر من أن نتحدث ..

وأنا أنظر اليه بعينين مفتوحتين ، وابتنسامة صغيرة على  
شفتي أحاول أن أخفف ارتباكك .. وإن أصرره من الرهبة التي  
يشعر بها .. أرد على حديثه بإجابات مقتضبة حتى أشعره بأنى  
لست فى حاجة الى حديثه .. فى حاجة الى أكثر ..

وأخيرا ..

اقترب محمد ..

مال على ووضع خده على خدى .. فى رفق .. وتردد ..  
كأنه يحس أنه يلمس شيئا كريما غاليا ، يخشى أن يجرحه مجرد  
اللمس .. كأنه يتجرا على قدس الأقداس .. وابتنسبت بينى  
وبين نفسى .. انه لا يزال صغيرا .. وهو لا يعرفنى .. وقد  
أرضى غرورى ارتباكك والرهبة التي تبدو عليه .. وأسلمت  
خدى الى خده .. وتركت ثراعه تزحف حولى الى تردد لتضمنى  
الى صدره .. ثم تركت يطوف بشفتيه الى أن يصل الى شفتي  
.. قبلة هادئة ، خجولة ، ناعمة .. وحاولت أن أعيش فى هذه  
القبلة .. أن أهيم فيها .. ولكنى فجأة .. وشفته بين شفتي ..  
وجدت نفسى أفكر فى أبنتى .. وفى هاشم .. وفى خانى صبرية

.. صور من حياتي المزعجة تتوالى على راسي .. واعصاهي  
تتلوى .. أحس بضيق .. أريد أن أهرب من هذه الصور ..  
أريد أن أهرب من حياتي كلها .. ووجدت نفسي في محاولة  
الهرب ، آخذ شفتيه كليهما بين شفتي .. أريد أن اغوص فيهما  
.. أريد أن أفرق كل همومي بينهما .. وقبلته أكثر مما يقبلني  
.. ربما كنت أطمح قبل لم يعرفها من قبل .. وانساق معي ..  
بكل شبابه ، بكل أنبهاره بي .. بكل احساسه باني شيء أجمل  
وأروع مما كان يطمح فيه ..

ثم ..

رفع الى عينيته في ابتهاج ، وهو يفتنني اليه ، كأنه يستاذنني  
في أن يأخذ مني أكثر ..  
لم لا ..

لماذا انتظر حتى اللقاء الثاني ، أو الثالث .. اني واثقة اني  
سأعطيه كل شيء ، فلماذا ؟ أعطية اليوم ما سأعطيه له ..  
ولماذا لا آخذ منه اليوم ما سأأخذه بعد يومين .. ما هذه التقاليد  
التي تحتم على البنت ألا تعطي نفسها في اللقاء الاول .. تقاليد  
الخطيئة .. آداب الخطيئة .. اني لا أؤمن بهذه التقاليد والآداب  
.. اني امرأة صريحة .. واقعية .. لا أضيع أيامي في تجاهل  
الواقع .. ولا أدمي الخمر والحياء ، حينما لا أكون في حاجة  
اليهما ..

خذني ..

لعلني أستطيع الهرب من نفسي ..

وأخفني ..

وأنا أشعر به كطفل يلهو .. وأشعر بانفاسه المبهورة كأنه  
ينفخ في غروري .. ويعيد الى ثقتي بنفسي .. وأطمئنتني الى

مستقبلي .. اني أستطيع دائما أن أجد رجلا ، ينبهر بي كل هذا  
الانبهار .. ويريدني الى هذا الحد .. رجل أملكه ..  
ولم تتعلق عيناى بالسوار الذهبى الذى اهدانيه هاشم ..  
لا ..

لقد كان كل تفكيرى لحظتها مركزا في محمد .. لم يكن  
مركزا في احساسى الجسدى به .. ولكنى كنت أرسم صورا  
لمستقبلي معه .. اني أستطيع أن أستعين به لأقوى به على  
هاشم .. وأستطيع أن أستعين به لأسترد ابنتي .. وأستطيع  
أن أستعين به عندما يتخلى عنى بقية أهلى ..

إن محمد شيء آخر ، غير الرجال الذين عرفتهم .. اني  
واثقة أنه يحبني أكثر .. ويريدني أكثر .. واثقة اني أقوى منه  
.. أقوى منه بتجاربي وثقائى .. وأستطيع أن أسيطر عليه ،  
وإن أحرکه كيف أشاء .. لقد أشعرنى محمد بقوتى ، قوة  
شخصيتي ، أكثر مما أشعرنى بها أى رجل آخر ..

هل أتزوجه ؟

لا .. لا يجب أن أفكر في الزواج به الآن .. قد لا أستطيع  
أن أتزوج به .. أن هذا الصنف من الشبان لا يتزوج فتاة مثلى ..  
أنه من عائلة كبيرة .. غنية .. وهو وحيد أمه .. ولد واحد  
وثلاث بنات .. وأنا مطلقة ، ولى ابنة ، ثم اني في مثل عمره ..  
وعندما يعرفني أكثر لابد أنه سيسمع عن مغامراتي .. كل هذا  
يخلق أمل في الزواج به .. أنى أعرف .. هذا النوع من الشبان  
لا يتزوج الا صفة .. فتاة صغيرة ، من عائلة غنية ، طيبة  
السبعة .. لابد أن أمه تبحث له الآن عن صفة ..

ولكن ..

لا يهم الزواج ..

إذا أردت الزواج ، فخالتي صبرية تستطيع أن تأتي لى  
بعميس ..

المهم هو أن احتفظ به ..

احتفظ بـ محمد ..

انه لقطعة .. حتى بلا زواج ..

ولكنه قد يسمع بعلاقتى بهاشم !!

وقررت أن اعترف له .. أن الاعتراف ييسر الخطيئة ..

ويحصن الرجل ضد كلام الناس ..

وبدأت اعترف له بعلاقتى بهاشم ..

اعترف له ودموعى فى عيني ..

لم اعترف له بكل التفاصيل ..

ولكنى اعترفت له بما يكفى أن يحصنه ضد كلام الناس ..

أن أى شيء يسمعه متى بعد ذلك ، لن يكون جديدا عليه .

وتلقى محمد اعترافى بعينين حزينتين ، كأنه على وشك أن

يبكى معى .. وتحمس فى السخف على هاشم كما تحمس فى

السخط على عبد السلام .. ووعدتى .. وعدنى أن يعوضنى عن

كل شغائى .. أن يمنحنى حياة جديدة .. حلوة .. رائعة ..

كان فى وعده حماس عمره الصغير ..

.. حماس الشباب واندفاعه ..

ونزلنا يومها من الشقة وأنا غير نادمة على ما اعطينه ..

وعندما ركبنا بجانبه فى سيارته ليوصلنى الى مصر الجديدة

التفت الى الشارع الذى تقع فيه شقة هاشم .. لعلنى أرى

سيارته .. ثم عدلت رأسى بسرعة كائى خفت من محمد ..

ولكنى ظللت طول الطريق أفكر فى هاشم ..

وعندما عدت الى بيت خالتي صبرية ، أحسست بفداحة

الجرم الذى ارتكبته فى حقها .. أحسست بأنى خنت أمانتها ..

خنت عطفها .. بأنى لوثت بيتها .. أحسست بهذا الاحساس

أكثر مما أحسست به عندما كنت أقيم مع أمى ، وعندما كنت

أقيم مع أبى .. أكن أحس بأنى أخون ثقة أمى أو أبى ، كما

أحس بأنى خنت ثقة خالتي .. ربما لأن خالتي ليست مسؤولة

عنى .. ولأن كل ما تقدمه لى هو تضحية منها .. كرم منها ..

ورغم ذلك خنتها ..

لماذا ؟ يا ربى .. لماذا .. لا أستطيع أن أكون فتاة

طيبة ، تصون ثقة أهلها .. لا أدري .. ربما كانت هذه طبيعتى

.. ربما ورثت هذا الجنون عن أبى ..

ولم أستطع أن أواجه خالتي صبرية عندما عدت اليها ..

لم أستطع أن أرفع عيني الى عينيها .. وربما امتنع وجهى

وارتمشت أطرافى وهى تستقبلنى بابتسامتها الطيبة الحلوة ..

وربما خيل لى أن فى نظراتها بعض الشك ، والتساؤل .. ولكنى

لم أتوقف لأكشف ما فى عقلها .. جريت الى الغرفة المخصصة

للى ، ورددت على السرير أحاول أن أواجه نفسى على حقيقتيها

.. وخيل لى انى لن أستطيع أن أعيش فى بيت خالتي طويلا ..

انى لا أطيق احساسى بأنى أخون ثقتها .. ولا أطيق طبيعتها ..

ولا أطيق تقييد حريتى .. لا أطيق أن أكون مسؤولة أمام أحد .

ولكنى ، إذا تركت بيت خالتي ، فكيف أميش ..

انى أستطيع أن أعود الى أبى .. ولكن أبى لن يستطيع أن

ينفق على ..

أذا يجب أن أعود الى هاشم .. انى لا أستطيع أن أطلب

من محمد أن ينفق على .. انه الى الآن يتصور انى فتاة من عائلة

كبيرة ، تعيش فى رعاية أبيها ، ولا يمكن أن يتصور انى فى

حاجة لرجل ينفق على .. وربما لو تصور هذا ، لخاف منى ،  
وابتعد عنى ..

أفلا أعود الى هاشم ..

ولم تكن عذه هي كل الأسباب التي تدفعنى الى التفكير فى  
العودة لهاشم .. ولكن الواقع ، أن لقائى بمحمد أضعف مقاومتى  
لهاشم .. لقد كنت أقاوم هاشم فى كل دقيقة طوال الأسابيع  
التي مرت .. لقد كنت أقاوم حبى له .. وحاجة جسدى اليه ..  
وكننت أقاوم رغبتى فى الانتقام منه .. ولكن لقائى بمحمد كسر  
القيد الذى كنت أحاول أن أقيد به نفسى .. كسر ارادتى .. ففتح  
القمقم الذى حاولت أن أحبس فيه عفريت جنونى .. وانطلق  
خيالى بكل قوته الى هاشم .. وتفتحت مسام جسدى كلها ظماى  
اليه .. أن هاشم شيء آخر غير محمد .. أنه يشبعنى ..  
يشبعنى بشخصيته القوية التى تسيطر على كل قطعة منى ..  
بغروره .. بصلفه .. باستهائته بى ..

وفى اليوم التالى ذهبت الى بيت خالتى سعدية ، واستطعت  
بمساعدة ابنتها ، أن اتصل بهاشم فى التليفون ..

وسمعت صوته بعد كل هذه الأسابيع ..

ثابتا رائقا لم يحدث له شيء .. كائى لم أغب عنه .. كائى  
لم أحتمل كل هذه المصائب من أجله ..

وقال فى مرح هادى بمجرد أن سمع صوتى :

— أنتى مين من زمان ..

قلت :

— أنا حصل لى حاجات كثير يا هاشم .. مصايب وقعت

على دماغى ..

قال فى لهفة :

— خير ..

قلت :

— تصور أن عبد السلام خطف البنت .

قال :

— مش معنول .. وعملتى ايه ؟

قلت :

— لسه مش عارفه اعمل ايه .. أنا قاعده عند خالتى دلوقت

.. انما لازم اشوفك ..

قال فى تردد :

— ما بلاش .. خلينا نعود لنا ما نشفش بعض ..

قلت :

— لا .. أنا محتاجه لك .. ولأزم تعرف ان كل اللى حصل

كان بسببك .. عبد السلام ما خطفش البنت الا لانى أعرفك ..

ومش ممكن دلوقت تسيبنى لوحدى .. لازم تساعدنى ..

وسكت برهة ثم قال فى قرف :

— حاضر ..

قلت بسرعة :

— بس مش حاشوفك فى شقتك ..

قال فى دهشة :

— ليه ؟

قلت :

— لأن خالتى وجوزها مضيقين على قوى .. ومراقبينى ..

وكلهم عارفين شقتك فين ..

ولم يكن هذا صحيحا .. ولكنى كنت أخشى أن يرانى محمد ،

عندما أذهب الى شقة هاشم القريبة من شقته ..

وقال هاشم بمصيبة :

— امال أشوفك فين .. في جينة الحيوانات ؟

قلت :

— لا .. في شقة صاحبك رؤوف ..

قال :

— طيب .. بكره الساعة اريعه ..

قلت :

— لا .. النهارده .. انا عايزاك ضرورى ..

قال في سخط :

— طيب ..

واستطعت يومها ان اقتنع خالتي بان تتركني اذهب الى بيت  
أبى لأحضر بعض ثيابى التى تركتها هناك ..

وذهبت الى هاشم .. وكنت اعرف عنوان شقة رؤوف ضمن  
العناوين الكثيرة التى اعرفها وأضربها فى ذاكرتى مع نمر  
التليفونات ، ونمر السيارات ..

احساس آخر غير احساسى وأنا ادخل الى شقة للملاقة اى  
رجل آخر ..

انى احس وأنا أضغط الجرس فى انتظار ان يفتح هاشم ،  
بكل ضعفى .. احس بكل شيء ينسحب منى .. واتى انهار ..  
انهار على سرير رجل يسلمنى كل شخصيتى .. وكل اعتزازى  
بكرامتى .. بل يسلمنى احساسى بجمالى وشبابى .. ولا اعود  
سوى شحاذة تشخذ رجولته ودفء شخصيته .. شحاذة  
مجنونة ..

وفتح لى هاشم الباب ..

وحاولت ان اكسو وجهى بطابع الحزن والاسى ، ولكنى لم

استطع ان اكبت ابتسامة صغيرة طافت بشفتى ، وأنا انظر اليه  
والشوق ينطلق من قلبى ..

ولم ياخذنى بين ذراعية ..

لم يقبلنى ..

كأنه لم تمض أسابيع كثيرة لم نلتق فيها .. ولم نتلامس  
أنتها ..

وقال وهو ينظر الى وشفتاه تبخلان بابتسامة :

— انتى خسيتى ..

ونظرت اليه فى لوم ثم ارخيت عينى قائلة :

— ما بمتنبش ليه .. مش وحشاك ! ؟

ونظر الى برهة .. ثم جذبني الى صدره ، وحاول ان يقبلنى  
قبلة صغيرة ، ولكنى تعلقت بقلبه الصغيرة وجملت منها قبلة  
كبيرة .. شربت .. وشربت .. وقبل ان ارتوى ابعدى عن  
صدره .. قائلاً وهو يلتقط أنفاسه :

— احكىلى .. حصل ايه ؟

قلت :

— ما بمتنبش عنك يا هاشم .. انت واحشنى ..

قال :

— بس لمقبلى الاول ..

وجلسنا على الأريكة ، واخذت اروي له قصتى ، وعيناي  
تطوفان بوجهه وتمششان فوق أنفه الكبير .. وربما لم اكن  
متحمسة كثيراً فى رواية قصتى ، فقد كان هناك شيء يشغلنى  
عن الحماس لقصتى .. كنت اريد هاشم ..

وقال هاشم : بعد أن أنهيت من قصتى :

— انتى السبب ..

قلت مغلظة :

— ليه ؟

قال :

— لأنك أهملت البنات .. سايياها دايا مع الخدمة ..

ما كنتيش نسلى حسابها ..

قلت :

— مئس مهم الكلام ده دلوقت .. المهم اعمل ايه ؟

قال :

— مايفش الا انك تروحي لخالين ..

قلت :

— وانت تدفع الاتعاب .. مئس كنتي ؟

قال :

— أنا مستعد ..

قلت :

— انت كل اللي بتعمله انك تدبني فلوس ..

قال :

— أنا باعمل لك اللي اقدر عليه ..

قلت :

— ما تقدرش على اكر من كده ؟

قال في برود :

— لا ..

قلت :

— طيب بوسنى ..

ونظر الى مئس دهشة ، فصرخت :

— بوسنى .. دى الحاجة التانيه اللي تقدر تعملها ..

وقبلنى هاشم ..

واغضبت عيني لالتقى قبلته .. وقبلات أكثر .. ولكن  
هاشم ليس كعادته .. أنه هادئ .. بل خيل الى أنه يضبط  
على اعصابه حتى يستجيب لى ولقبلاى ..

ورغم ذلك فقد أخذت منه أكثر مما يستطيع اى رجل آخر  
ان يعطينى ..

انه التعود ..

ليس الحب ..

صدقونى .. ليس الحب .. لقد كنت فى هذه الايام اكره  
هاشم ..

وعادت حياتى كما كانت ..

مرتبكة ..

ممزقة بين رجلين .. هاشم .. ومحمد ..

ولكننى لم اكن قد اندمجت فى هذه الحياة بعد بكل طاقتى  
.. كنت لا ازال اقيم فى بيت خالتى .. وكانت خالتى لا تزال  
ترافقنى .. ولا ازال احسب حسابها .. وكنت أفكر كيف استطيع  
ان اكر من بيتها ، لاستعيد كل حريتى .. وكل طاقات جنونى ..  
انى اقيم عندها لاستعيد ابنتى .. ولكن ابنتى لم تعد لى .. فلماذا  
اقيم عندها .. ولماذا احيط نفسى بناس يراقبونى ، ويزهقون  
حريتى ..

الى ان كان يوم ..

وكنت عائدة من لقاء محمد عندما استقبلتنى خالتى متلهلة  
الوجه وقالت كأنها تزفرد :

— خلاص با مستى .. لقينا العريس ..

هل يمكننى ان ارفض العريس الذى جاءت به خالتى ؟

لا ..

كنت محرجة .. وكانت شخصيتي أضعف من أن تقاوم هذا الحرج .. انتصفت من أن أواجه أمي وخالاتي ورجال العائلة . لأقول لهم انى لا أريد الزواج .. لا أريد أن أكرر تجربتي مع عبد السلام .. النجربة الفاشلة .. وكنت قد تركت الجميع يؤمنون بأنى اهديت .. واتى اقتنعت بأن أتزوج حتى يكون لى بيت هادى صالح أستطيع أن أرى فيه ابنتى .. ولم أكن أستطيع ، بعد كل ما فعلوه من أجلى ، أن أصددهم .. أن أكشف لهم عن حقيقتى .. أن أبدو أمامهم كائى لا زلت مجنونة .. وأرفض الزواج ..

من أجل ابنتى .. يجب أن أتزوج ..

ومن أجل عائلتى ..

وجاء فريد ..

العريس ..

فى التاسعة والثلاثين من عمره .. لعله فى الأربعين ، فقد تعود الرجال أن يختصروا العام الأخير قبل الأربعين .. أبيض .. مللظ .. شعره فاتح ، وقع عن مقدمة رأسه وتركها صلعاء .. وقد سبق له الزواج .. وعنده ولد .. ويعمل مديرا لأحدى الشركات .. ودخله يعمل الى مائة جنيه فى الشهر ..

ولم تكن عائلتى تطمع فى رجل خير من هذا .. فانا مطلقة .. ولم بنت .. فى الخامسة والعشرين من عمرى .. وفقيرة .. ليس لى دخل خاص .. وسمعى زفت .. ولا أستحق أكثر من فريد .. انهم لا يعلمون أن هناك شبانا كمحمد يذوبون فى حبى .. ولا يعلمون أن هاشم لا يزال مرتبطا بى .. بل لا يعلمون أن حسن أيضا — خطيبى السابق — لا يزال تحت أمرى .. ربما لم يكن واحد من هؤلاء الثلاثة يرضى بأن يتزوجنى .. ولكن كلا

منهم على الأقل كان مستعدا لأن يتزوجنى ، لو أم يعرفنى على حقيقتى .. أنا لست رخيصة كما يعتقدون ، حتى يفرحوا كل هذه الفرحة ، لأنهم وجدوا رجلا كفريد يتزوجنى ..

ولم يكن فريد — هو الآخر — يعلم شيئا عني . رغم أنه يقيم فى القاهرة .. لقد أقيمت القاهرة مرة ثانية أنها ليست مجتمعا واحدا ، وأن كل فتاة مهما فعلت ، تستطيع دائما أن تجد رجلا لا يعلم عما فعلته شيئا ..

واكتفى فريد بما يعرفه عن عائلتى العريقة ، التى تضم أسماء كبيرة .. واكتفى بما أحسه فى بيت خالتي من هدوء وطيبة واستقرار .. واعتقد انى أنا أيضا لابد أن أكون هادئة ، طيبة ، مستقرة .. شريفة .. وأنبهر بى .. أنبهر بجمالى .. والرقعة المصطنعة التى أستطيع دائما أن أطبع بها حركاتى .. وتلف على إعلان الخطبة .. بسرعة .. كأنه كان يخشى فى كل يوم أن أرفضه ، أو ترفضه عائلتى للكبيرة العريقة ..

وكل ما استطعته أيامها هو اقناع خالتي بأن تؤجل إعلان الخطبة بعض الوقت ، حتى أستطيع أن أعرف فريد أكثر .. وقالت خالتي وهى تبتسم لى كأننا صديقتان :

— بس أنا خايفه الرجل يطير ..

قلت كائى أتوصل اليها :

— بس أنتى مارعة حالتى يا طنط .. أنا لسه تعبانه .. قالت :

— طيب يا مبتو .. فكرى على مهلك يا حبيبتى ..

قلت وأنا ابتسم :

— وما تخافيش انه يطير .. ده واقع لشوشته ..

وضحكت خالتي فى ثقة ..

وقضيت أياما كثيرة أفكر .. أياما خيل الى فيها انى لا اريد  
الزواج اطلاقا ، لا من فريد ولا من غيره .. خيل الى ان طبيعتى  
لا تطيق الزواج .. لا تطيق ان اتقيد برجل .. ربما لان الرجل  
الوحيد الذى احببته لم يقيدنى .. كان يكتفى منى بهذه المكالمات  
التليفونية السريعة ، ولقاء ساعة أو ساعتين كل يومين أو ثلاثة  
.. ثم يترك لى باقى أيامى حرة .. افعل ما اشاء بحريتى ..  
سواء تعذبت بها أو سعدت ..

وخيل الى فى تلك الأيام انى لا أستطيع الزواج حتى من اجل  
ابنتى .. انى لا أستطيع ان احتمل هذه التضحية من اجلها ..  
التضحية بحريتى .. وحتى لو احتملتها ، فلا يمكن لام تعبسة  
أن ترمى ابنة سميدة .. ولو تزوجت وعرفت رجلا آخرين ،  
فستنشأ ابنتى فى فساد .. ثم من ادرائى ان ابنتى ستعود الى  
بعد ان اتزوج .. ربما صمم عبد السلام على الاحتفاظ بها ،  
خصوصا ان زواجى سينقل اليه الحق فى حضانتها .

وتجسبت فى راسى كل هذه الخيالات ، الى حد انى تصورت  
لنفسى حياة جديدة .. حياة حرة .. بعيدا عن اهلى كلم ..  
بعيدا عن أمى ، وعن أبى ، وعن خالاتى ، وعن ابنتى .. لم لا ..  
انى أستطيع ان اقيم فى بيت وحدى .. وهاتم ينفق على ..  
ويتركنى حرة كعادته ، لالتقى بمحمد .. وغير محمد .. حياة  
منطلقة الى آخرها .. افعل ما اشاء .. لا يحاسبنى احد ..  
ولا أحسب حساب احد ..

وعاولت ان اقيم فعلا هذه الحياة . وذهبت الى لقاء هاتم  
.. فى شقة رؤوف أيضا ، حتى لا يراى محمد .. وقلت له :  
— أنا حاتجوز يا هاتم ..  
وقال فى برود :

— مبروك ..

قلت :

— خالتى جيلالى واحد ..

قال :

— كويس ..

قلت :

— بس اتا مش مايزه اتجوز ..

ورفع عينيه فى دهشة وقال :

— ليه ؟؟

قلت :

— لانى لسه باحبك ..

قال :

— بس اتنى لازم تتجوزى .. ما عيش حاجه ممكن تعدل

حباتك الا انك تتجوزى .. وأنا مش حاتجوز ..

قلت :

— يعنى كويس انى اتجوز ، وافضل معاك ؟

قال :

— لا .. ما حدش قال كده .. اتجوزى وسيبينى ..

قلت :

— طيب ايه رايك انى ما اتجوزش وما اسيكش .. اعيش

لوحدى .. تاخذ لى شقة لوحدى وتبقى تجيلى فيها ..

قال فى دهشة كثة لم يكن يعرف انى مجنونة الى هذا

للحد :

— ونسيى اهلك ؟

قلت :



— أيوه ..

قال :

— ما نبقش مجنونة .. انتى مهما الناس قالت عنك ، انها  
ليسه معروف انك بنت من عيله وقاعده مع أهلك .. يوم ما تسيبى  
أهلك حاتبقى حاجه ثانيه .. حاتضيعى مستقبلك .. وحاتلاقى  
نفسك انتقلت لمجتمع تانى .. مجتمع البنات فيه لهم صورة  
ثانيه .. ووضع تانى .. مش حاتلاقى بيت كويس يستقبلك ..  
مش حاتلاقى بنت كويسه تصاحبك .. وما تنسيش بنتك ..  
حرام عليكى تعملى فيها كده .. حرام عليكى تخليها تنكسف من  
أمها .. أنا مش باهروب من مسؤوليتك .. انها مش مستعد  
اتجنن معاكى ..

وهدم كلام هاشم كل ما بنفته فى خيالى ..

لم يبق الا أن اتزوج ..

أن أهلى لن يسكتوا عنى الا اذا شزوجت ..

واعلنت خطبتى الى فريد ..

وعجلنا بكتب الكتاب ..

كتبنا الكتاب بعد الخطبة بثلاثة أسابيع ، فقد كانت خالتي  
تخشى أن يسمع فريد عنى كلام الناس ، فيعدل من الزواج ..  
وكانت تقول لى أنه ، لانى مطلقة ، فلا يجب أن تطول فترة  
الخطوبة .. ووافقت أنا لانى اعتقدت فى لحظة أن كتب الكتاب  
سيفيدنى أكثر .. سيفيدنى من الاتدناغ فى جنونى .. انه ليس  
كالخطبة .. لن أستطيع الفكك من كتب الكتاب بنفس السهولة  
التي فككت فيها من خطوبتى الى حسن ..

والهر أربعمائة جنيه .. فقط ..

المطلقات شمن أرخص من البنات !!

وحتى ثمنى كمطلقة فى هبوط .. فقد كان المهر المتفق عليه  
عندما خطبت الى حسن ، هو سبعمائة جنيه .. غير الخاتم ..

وبكى محمد نى صباح يوم كتب الكتاب ..

كنت يومها اكاد أجن .. كنت أحس انى أبيع حياتى كلها  
.. وكنت فى حاجة لأن اتابل هاشم لعله يستطيع أن يعيد الى  
راسى .. لعله يستطيع أن يقنعنى .. يعيننى على احتمال  
مصيبتى .. ولكن هاشم كان مشغولا بمرضاه .. رفض أن يقابلنى  
.. فقابلت محمد ، قبل أن اذهب الى الحلاق لأصف شمرى ..  
استعدادا لحفلة كتب الكتاب ..

وبكى محمد ..

بكى بدموع صادقة ..

وحاول أن يقنعنى بأن أعدل من الزواج .. قال لى انى  
لا زلت صغيرة ، وحرام أن اتزوج رجلا لا أحبه .. حرام أن  
أقبر حياتى .. ثم قال انه مستعد أن يتزوجنى ، لو انتظرت حتى  
تتزوج أخواته البنات ..

ولكن كان الوقت قد فات لكل هذا الكلام ..

لا أستطيع أن أتراجع ..

وجاء المأثون ، وكتب العقد فى حفل عائلى صغير .. وفكرى  
شارد مع هاشم .. واثار قبلات محمد لا تزال فوق شفتى منذ  
الصباح ..

وصالحنى زوج أمى بعد أن تزوجت ..

وبدأت العائلات التى كانت تستقبلنى فى برود ، تستقبلنى  
أنا وزوجى بترحاب .. وعدت كما كنت أيام كان قرانى معقودا  
على عبد السلام .. أخرج مع فريد كل ليلة .. ولكنى لا أسمع

له بأن يلمسنى ، محتجة بأننا لم ننقل الى بيتنا بعد .. كل ما كنت  
أسمح به هو أن يقبلنى على خدى ..

وكنت منذ أن تقدم الى اعامله بفطرسية ، وترفع .. كنت  
أشعره دائما بأنى شيء كبير ، أرقى منه وأرفع .. وكان يطلق  
على لقب « البرنسيبسة » وأحيانا « الامبراطورة » .. من كثرة  
ما أتعالى عليه .. ومن شدة محاسبتى له على كل هفوة من  
هفواته ..

وبعد أن كتب الكتاب أصبحت أتعالى عليه أكثر .. وأتسو  
فى معاملته أكثر .. وتنقضى أيام كاملة لا أتحدث اليه خلالها  
سوى كلامات مقطعة باردة .. ويأتى ليسهر عندي ، فأجلس أمام  
التلفزيون صامتة ، وهو جالس خلفى على الأريكة ، حتى ينتهى  
البرنامج ، فأقوم وأدخل غرفتى وأتركه وحده .. وكان يشكو  
لأهلى هذا التعالى .. ويرجو أبى أن تتدخل لتقنعنى بأن اعامله  
معاملة أرقى .. أن أتأزل وأهبه بعض حنانى .. شيئا منى ..  
ولكنى كنت معذورة فى هذا التعالى .. كنت فعلا لا أطيقه ..  
وكانت هفواته الصغيرة تبدو منى عينية كبيرة .. بشعة ..  
والساعات التى أقضيها معه تكاد تخفى .. وأصبحت أبكى  
كلها خلوت الى نفسى .. أبكى من ثقل الحياة التى أقدم عليها مع  
فريد .. أبكى حظى فى أن تنتهى حياتى مع رجل مثله .. نسيت  
كل ما قاسيته فى حياتى الماضية .. نسيت عذابى مع هاشم ...  
بل خيل الى أن عذابى مع هاشم أرحم بكثير من حياتى التى  
أتصورها مع فريد .. لماذا رميت نفسى هذه الرمية .. لماذا أبيع  
كل عمرى فى سبيل كلام الناس .. أو حتى فى سبيل بنتى ..  
انى لا زلت شابة .. جميلة .. وذكية .. لأن ألامى حياة

واسعة .. حرة .. زاهية .. فلماذا أبيعها بحياة راكدة مظلمة  
مع رجل مثل فريد ..

وحاولت أن أتلهى عن هذه الأفكار السوداء ..  
كنت أحداث هاشم فى التلفزيون ، ويرفض مقابلتى ..  
وكنت أذهب الى لقاء محمد كلما سنحت لى الفرصة ..  
ولكن أفكارى السوداء لا تزال تلح على رأسى .. وأتصور  
هاشم قد أصبح يعيش حياة ليس لى فيها نصيب .. حياة مع  
فتاة أخرى .. وأتصور محمد وقد زهق من هذه اللقاءات السريعة  
التي يلقتا فيها ، ويحث لنفسه عن فتاة أخرى .. وأتصور نفسى  
زوجة تلتنق بعشيق فى السر .. فى الظلام .. وعلى عجل ..  
تخطف الحب خطفا ..  
— لا .. مستحيل ..

وبعد أسبوعين .. أسبوعين فقط .. من كتب كتابى كنت  
أضع الخطة للتخلص من فريد ..  
كنت أهد للطلاق ..

وكانت أول خطوة أن أقنعت أبى وخالتى صبرية أن أمود  
لأقيم مع أبى فى الشقة التى لا يزال أبى يحتفظ بها لى ، حتى أكون  
تربية من البلد فى أيام الجهاز ..  
وخافت أبى ..

واقنعت خالتى ، وهى سعيدة لأنها قامت بمهمتها  
وزوجتنى ..

ثم كان يجب أن أضمن هاشم .. فأتصلت به ، وقلت له :

— عابيك كده .. عابيك ترمينى الرمية دى ؟ ..

وقال دهشاً :

— أنا ريمتك !! انتى مش اتجوزتى ؟

قلت :

— ودى جوازہ .. انا مش طابقہ .. مش قادرہ اسنحہ ..  
.. ولسہ باحبك .. واذا ما كنتش حا اقبالك .. حاروح اقبال  
غيرك ..

— اعقلى يا امينه .. ما تبقيش مجنونه ..

قلت :

— اعقل يعنى ايه .. يعنى اتجوز وأراق على جوزى ..  
هو ده العقل .. اذا كان كده بيقى الجنان احسن .. اشرف ..

قال :

— يا امينه انتى لسه ما تعرفيش اذا كنتى حاتسنحلى  
ولا ما تستحمليش .. حاولى .. على الاقل حاولى .. اتجوزى  
سنه ولا سنتين ، وبعدين اذا ما قدرتيش ابقى اطلقى .. كل  
الناس بعمل كده ..

قلت :

— انا اشرف من الناس .. لانى مش عايزه اضحك على راجل  
عارفه ومتاكده انى مش حا اقدر انى اعيش معاه .. وانى اذا  
مشت معاه حا اخونه ..

قال :

— طيب وكنتى اتجوزيه ليه ..

قلت :

— اهلى ضغطوا على .. وكنت فاكهه انى حا اقدر اتجوز ..

قال :

— حرام عليكى يا امينه .. الرجاله مش تحت امرك ..  
تتجوزيهم ونسيبيهم زى ما انتى عايزه .. دى مش اول مرة  
تعملها .. الرجال ده ذنبه ايه ..

قلت :

— وانا ذنبى ايه .. نا باعمل ده كله علشان خاطر ك يا هاشم  
.. انا باحبك .. مش قادره استغنى عنك ..

ونسى هاشم من اقناعى ..

وتركنى وهو مقتنع بانى ساترك زوجى من اجله ..

ومى الوقت نفسه ذهبت الى لقاء محمد .. وقلت له وانا  
ابكى :

— انا حاسيب جوزى يا محمد ..

وقال فى سذاجة :

— ليه ؟

قلت :

— لانى باحبك .. ما اقدرش استغنى عنك .. وما اقدرش  
اتجوز واحد واخونه معاك .. ما اقدرش .. ما اقدرش  
ابدا ..

وفرغ محمد ..

وشجعنى على الطلاق ، وهو مقتنع بانى اشرف سيدة فى  
مصر .. سيدة ترفض ان تتزوج رجلا تخونه .. سيدة تضحى  
بزوجها فى سبيل ان تبقى لرجل واحد تحبه .. حتى بلا زواج ..  
وهكذا ..

اصبح لى رجلان ، كل منهما يعتقد انى ساترك زوجى من  
اجله .. رجلان يستطيعان ان يضمنوا لى حياتى ..

ولكن .. ها انا قوية الى هذا الحد .. قوية الى حد ان  
اطلق بعد اسبوعين من الزواج ، ثم اواجه الدنيا كلها وحدى ..  
ومرت على لحظات كنت اضعف فيها .. كنت اخاف .. اخاف  
من اهلى ومن الناس .. واخاف من مواجهة الحياة وحدى ..

ثم اعود واسترد ثقتى بنفسى .. انى لست وحيدة .. ان معى  
هاشم ومحمد .. و ..

وتغلب جنوسى ..

بدات حملة الطلاق .. وكنت اعرف ان احدا من عائلتى لن  
يقف فى جانبى .. كان يجب ان اعتمد على نفسى .. اعتمد على  
ان اثير فريد الى ان يطلقنى .. وبدات اخلق الازمات .. خلقت  
ازمة كبيرة لانه وهو يتحدث عن تايث بيتنا الجديد لم يفكر فى  
تخصيص حجرة لابنتى فى الوقت الذى فكر فى تخصيص حجرة  
لابنه .. وخلقت ازمة لانه لم حاول الاتصال بعد السلام لاستعادة  
ابنتى .. وخلقت ازمة لانه يغالى فى طلبات الجهاز .

وصرخت فيه :

— انت مغشوش فى .. انت انتجوزتنى على طبع .. فاكرنى  
غنيه .. احب قولك ان ما حلتىشى ، ولا حيلة ابويا ، ولا مليم ..  
والمسكين يحاول ان يصد كل هذه الازمات .. ويوسط العائلة  
كلها فى كل ازمة .. واخيرا قلت له فى هدوء ، وكنا وحدنا  
جالسين امام التلفزيون :

— اسمع يا فريد .. احنا نطلق .. احسن لك ..  
واحسن لى ..

وقال والذعر فى عينيه :

— نطلق .. نطلق ازاى .. ده احنا لسه ما تجوزناش .

قلت :

— انا ما بحبكش يا فريد .. وما اعتقدش انى حا احبك ..

قال :

— مش ممكن تحبينى دلوقتى .. ادينى فرصة لغاية ما خليكى

تحبينى ..

قلت :

— انا عارفة نفسى .. مش ممكن حا احبك .. وانت  
ما ترضاش انى اتجوزك واخونك مع واحد تانى ..

وجن مريد ..

وارتفعت الازمة الى ذروتها .. وطافت السنة النار بكل بيت  
من بيوت العائلة .. ووقفت فى وجه الجميع مصتمة على الطلاق ،  
حتى لو تخلوا منى كلهم ..

وبدا فريد يبحث ورائى .. وبسرعة اكتشف حكاينى مع هاشم  
.. وعرف اسباب فسخ خطبتى الى حسن .. بل اكتشف ايضا  
علاقتى بمحمد .. بكثيرين ممن عرفتهم .. وصرخ فى وجه امى  
وامام زوجها ، وامام خالاتى كلهم :

— ده مش الدكتور هاشم بس .. دول كثير ..

وطلقنى ..

ولكنه لم يكن نبىلا كحسن .. لقد استعاد المهر كله ، رغم  
انى كنت استطيع ان ادعى عليه انه دخل على ، وان الخلوة  
الشرعية قد وقعت بيننا .. واستعاد هداياه كلها واحدة واحدة ..  
وطالبنى بان ادفع ثمن علبة الملابس السيفر التى اهداها لى فى  
كتب الكتاب .. بل رفض ان يستعيد الدبلة وطالب بثمنها ..  
وذهب الى اكثر من هذا .. طلب ان ادفع له نفقات السهرات التى  
سهرتها معه .. ثمن تذاكر السينما .. والعشاء فى المحلات  
العامة ..

ودفعت ..

دفعت من نقود هاشم ..

وطردنى اهلى كلهم ..

لم أر خالتى صبرية من يومها ..

ولم أشعر بالندم ..

أبدا ..

لقد أصبحت حرة ..

حرة حتى في ابنتي ..

ولى رجلان .. هاشم .. ومحمد .. إذا تركنى أحدهما يبقى  
لى الآخر .. وكلاهما غنى ، إذا لم يتزوجنى ، فإنه يستطيع أن  
ينفق على ..

انى مطمئنة ..

مطمئنة على مستقبلى .. سواء بنيت على الحلال ، أم على  
الحرام ..

وسددت أذنى عن الضجة الكبيرة التى ثارت حولى عقب  
طلاقى .. وقد احتل هاشم معى كل هذه الضجة .. فقد عاد  
الناس يرددون انى تركت زوجى الأتوجة .. وربما لم يحتمل  
هاشم هذه الضجة .. ولكنه لم يأبه بها .. غروره .. وصلفه ،  
وانشغاله بمرضاه ، سد أذنيه عن سماعها .. فهما كما سد  
أذنيه عن الضجة التى ثارت بعد أن فسخت خطبتي بحسن ..

أين حسن ؟

انه لا يزال فى حياتى .. يتصل بى فى التليفون ، ويسأل  
عنى .. ويتفكر عيد ميلادى ليهنئنى به .. انه لا يزال نبىلا ..  
ولكنى لا ألتاه .. لم أعد فى حاجة اليه .. وحياتى كلها موزعة  
بين هاشم ومحمد .. لا يستطيع أحدهما أن يفنئنى عن الآخر ..  
هاشم يذيينى فى شخصيته القوية ، ومحمد يملؤنى غرورا بشبابه  
واندفاعه فى حبى ..

وقد قلت لهاشم عن محمد .. قلت له ريع الحقيقة كعادتى  
.. ولا أدرى لماذا اندفعت لأقول له :

— أنا اتعرفت بواحد اسمه محمد .. ابن المرحوم مهران  
باشا .. تعرفه !

وقلب هاشم شفتيه امتعاضا ، وقال فى اختصار :

— لا ..

قلت :

— ده جدع مؤدب قوى ..

وقال وهو ينظر فى عيني وابتنسامة ساخرة بين شفتيه كأنه  
يعرفنى أكثر مما أعرف نفسى :

— وعرفتيه فين ؟

قلت :

— فى مصر الجديدة .. فى النادي .. ما تتصورش اد ايه  
الجدع ده مهذب ومؤدب ..

وقال وهو زهق :

— كل واحد بيعرف واحده بيبقى مؤدب ومهذب .. فى  
الأول ..

وقلب شفتيه وسكت ..

وقلت وأنا أضع راسى فوق كتفه :

— انت زعلت .. ده صغير .. لسه ما كملش سبعة وعشرين  
سنة ..

وضحك هاشم ضحكة كبيرة ، وقال :

— فكرتيني بميمى شكيب .. قالت نفس الجمله فى روايه  
من روايات الريحاني .. كانت بتقولها نكتة علشان الناس  
تضحك ..

وقلت :

— يعنى مش مصدق انى ما فيش بنى وبينه حاجه ..

ونظر الى كانه يشفق علىّ ، وقال :

— لا .. مصدقك !

انه مغرور .. انى اجن من غروره .. وقد كنت اتنى  
ساعتها الا يصدقنى .. ان يحقق معى .. ان يثور .. ان يضربنى  
.. ولكنه لم يفعل .. المغرور البارد ..

وقد كان برود هاشم يتزايد يوما بعد يوم .. كان يبدو كانه  
ينس منى .. وكأنت نظراة توحى لى بأنه يعرف عنى أكثر مما  
اقول له .. واصبنا لا نلتقى الا لياخذنى .. بسرعة .. واهمال  
.. كانه فقط يؤدى واجبا تعود عليه .. كانه يغسل اسفانه ..  
فاذا بقى له وقت بعد ذلك لا نجد شيئا نقوله الا أن يفصحنى  
بان اتعبه الى .. معتبلى .. فاثور .. واتهمه بأنه هو الذى ضيع  
مستقبلى .. فيتركنى وينصرف عنى فى سأم .. والمثل يكسو  
وجهه ..

وفى هذه الايام .. نفسى الايام التى حدثت فيها عن محمد  
.. بدأ هاشم يحدثنى عن نجوى .. انى لم ار نجوى الى اليوم  
.. ولكنى رأيتها بعد ذلك فى عيني هاشم .. وقد ذهبت اليه  
يوما ، فوجدته جالسا فى الشقة ، مقطب الجبين ، حزين العينين  
.. واستقبلنى ساهبا كانه لا يرانى .. ومريت فترة طويلة  
لا يحدثنى خلالها ، ولا يقربنى .. فقلت له وأنا انظر اليه احاول  
ان اكتشف سره :

— مالك ؟

قال :

— ولا حاجة .. متضايق شويه ..

ومرت فترة صمت أخرى .. ثم انطلق فجأة قائلا :

— تصورى .. بفت عندها تشعشع منته .. جميله ..

جلود .. زى الورد .. يجيلها روماتيزم فى القلب .. ليه ..  
ليه .. حاجه تفتن .. الروماتيزم ما يجيش فى قلبى انا ليه ..  
انا كبرت وعشت .. انما دى .. تستعثر سنه .. قلبها لسه  
ما تمتعش .. يجيلها روماتيزم ليه ..

وكنت اعرف ان هاشم يتمذب مع مرضاه .. ولكن ليس الى  
هذا الحد .. انى لم اره ابدا حزينا .. عطوفا .. الى هذا الحد  
.. واحسست به كأن التى يتحدث عنها أكثر من مريضة بالنسبة  
له .. احسست بأنه يتكلم عن مخلوقة تعيش فى قلبه ، وفى  
عقله ..

وانطلقت الغيرة فى صدرى .. وقلت فى حدة وسخط :  
— ومالك زعلان قوى كده .. ما فيه مليون واحد عندها  
روماتيزم فى القلب ..

وقال وعيناه هائمتان :

— بس مش نجوى .. دى رفيقه .. جيله .. لو تشوفنى  
ابوها وامها عاملين ايه .. الاثنين عواجز .. ومالهمش غيرها  
.. ابوها عنيه راحت من كتر بكاه عليها ..

وقلت وزوبعة من الحقد تقتلنى :

— انشالله تموت ..

ونظر الى كانه يخفقنى بعينه ، وقال فى صوت بارد كحد  
سكين :

— انتى مش انسانه .. انتى ما عندكيش قلب ..

ثم سكت .. كانه يضمن بان يحدث عن مريضته امام مخلوقة  
مظلي ..

وسكت انا أيضا مدعية اللامبالاة .. والغيرة لا تزال تاكل  
فى صدرى ..

وقد بدأت أغار على هاشم أكثر منذ أن عرفت محمد ..  
 كانت مغامراتي مع محمد ، تجعلني أخاف من أن أفقد هاشم ..  
 وكان تزايد برود هاشم ، يجعلني أخاف أكثر .. فانطلق  
 وراءه لأتأكد في كل لحظة أين هو .. وماذا يفعل .. وأذهب  
 إلى شققته كلما غاب عني لأبحث عنه .. وكان يغضب مني  
 كثيرا لمضايقتي له ، ويلقي في وجهي بسماعة التليفون ، ثم  
 يرفعها حتى لا أستطيع أن أتصل به .. فكنت أجن .. كان يخيل  
 إلى أنني لو تركته يوما واحدا غاضبا مني ، فسافقده إلى الأبد ..  
 فكنت أجرى إلى العيادة .. وكنت أعلم أنني لو صعدت بلن  
 يسمح لي التوجه جى بمقابلته ، فكنت أفتح سيارته الواقفة عند  
 الباب ، وأجلس فيها ، أنتظره .. أنتظر ساعتين .. ثلاثا ..  
 إلى أن ينزل .. يراني .. فيشبهق .. ويتلفت حوله كأنه يخشى  
 الفضيحة .. ثم يصحبني إلى البيت .. ويصالحني .. فقط  
 ليتجنب أن أسبب له فضيحة أخرى .. لقد أصبحت أبتز هاشم  
 بالتهديد .. أبتز قواه ، ونقوده بالتهديد .. أصبحت مجرمة ..

وكنت أغار على محمد أيضا ..

ولكن فيرتى على محمد كانت نوعا من القلق .. فاني أعلم  
 أنه لم يكن في حياته نساء أجمل مني .. ثم أنني لا زلت جديدة  
 في حياته ، فلا يمكن أن أخشى مله .. وشخصيتي ونكاتي أقوى  
 من شخصيته وفكائه .. ثم أنه يعرف علاقتي بهاشم .. لقد  
 اعترفت له .. لم أكن أستطيع أن أدير حياتي بينه وبين هاشم ..  
 إلا إذا اعترفت له .. اعترفت له بكل شيء .. قلت له أن هاشم  
 هو الذي ينفق على .. وينفق على منذ ست سنوات .. لأن أبي  
 يضيع أمواله على الزوجات والكونيك .. وقد رويت له كل ذلك  
 في صورة مأساة .. ودموعى تجري على خدي .. كائن ضحية

.. ضحية اتانية أب .. وضحية رجل أحبته يوما .. ..  
 هاشم .. كل ما أضفته من عندي هو أن هاشم قد تزوجني زواجا  
 عرفيا .. وكنت مضطرة إلى هذا الزواج لأنني في حاجة إليه  
 كي ينفق على ..

واحترار يوما محمد وقال والشك ملء عينونه :

— أmaal سبتى فريد ليه ؟

قلت وأنا لا زلت أبكى :

— لأن فريد كان حاميئش معايا .. ما كنتش حا أقدر أقابلك  
 إنما هاشم مثنى عايئش معايا .. سايئنى حره .. أقدر أقابلك  
 زى ما أنا عزيزه ..

قال :

— بس أنا مستعد أصرف عليكى ..

وقلت :

— أنا ما أقبلش يا محمد .. انت الحب الوحيد في حياتي ..  
 أنا كان متيالي أنني باحب هاشم .. إنما بعد ما قابلتك عرفت  
 أنني كنت راهبه .. ومش عايزه أخليك تتحمل مسئوليتي ..  
 مسئولية ظروف الوحشة .. عايزه أحبك زى أي بنت بتحب  
 حبيبها من غير ما يصرف عليها .. ده حتى .. حتى أنني أكون  
 زى أي بنت تانيه .. علشان كده رضيت أن هاشم يرجع يصرف  
 على بعد ما سبت فريد .. ورضيت أنني أتجوزه جواز عرفي ..  
 ولما عارفه ..

ونأثر محمد بقصتي ..

اعتبرني ضحية ..

ضحية أبى .. وهاشم ..

وقال وصوته ينبض باللوعة :

— مينو .. أنا مستعد أتفدك من حياتك .. أتفدك من أبوكي  
ومن هاشم المجرم .. مستعد أنجوزك بعد ما ..  
وتأطعته :

— لا .. يا محمد .. ما تجيبش سيرة الجواز ..

وربما ارتاح محمد لأنى أعففته من سيرة الزواج .. وارتاح  
أكثر لأنى أعففته من مسئولية الاتفاق على .. وأرضى غروره أن  
أكون له ، وأنا لرجل آخر ..

ولم أكن حتى هذه الأيام قد أحببت محمد .. ربما لم أحبه أبدا  
حبا يغنينى عن هاشم .. ولكنى اندفعت معه .. واهمال هاشم  
لى جعلنى اندفع معه أكثر .. أصبحت أستهين بهاشم .. وازداد  
جراة فى الاستهانة به .. بل وأتلفذ من الاستهانة به .. أحس  
كانى أذله .. كاتى أحلم غروره .. كاتى انتقم منه .. وبلغ  
من استهانتى بهاشم أنى كنت أذهب الى لقائه فى شققته فى  
الساعة الرابعة بعد مواعيد العيادة ، وأعطيه نفسى ، ثم أتركه  
فى الخامسة والنصف ليذهب الى العيادة .. كنت أنزل معه من  
الشقة .. وأتركه يركب سيارته ، لأنه كان لا يحب أن يرانى أحد  
معه فى النهار .. ثم أسير على قدمى أمام عينيهِ ، وبعد ثلاث  
دقائق .. مائة وخمسين خطوه بالضبط .. أصعد الى شقة  
محمد .. وأعطيه نفسى أيضا .. ثم أتركه فى الساعة التاسعة ،  
وأذهب الى البيت لأتصل بهاشم بالتليفون ، وأقسم له أنى فى  
البيت منذ أن تركته ..

وأصبحت هذه حياتى ..

هل كنت سعيدة ..

أبدا ..

انى أتعذب .. أتعذب بقلق يمتص دمايى .. وجيى يزداد

أصغارا .. فأتى أصبحت بعمر طان الغم .. وأفقد أحساسى  
بجسدى يوما بعد يوم .. أحس به يموت بين ذراعى هاشم ..  
ويموت بين ذراعى محمد .. وأفتعل .. وأفتعل النشوة .. أفتعل  
أنفاسى .. وأفتعل صرخاتى .. أفتعل وأمثل حتى لا يحس  
أحدهما بأنه يأخذ جسدا يموت .. وأعصانى أيضا تموت ..  
أصبحت فى حاجة الى عنف أكثر حتى أوقفها .. أو حتى أنسى  
نفسى .. أنسى الحفيظ الذى أعيش فيه .. فى حاجة لأن  
أضرب بعنف .. ولأن أئنم حتى الصراخ .. حتى أنسى .. وحتى  
لا تذبل حواسى .. وحتى لا يموت جسدى ..

وأنا .. منساقة ..

منساقة فى التشبث بهاشم ..

ومنساقة فى الإندفاع مع محمد ..

وجد شيء آخر ..

لقد استطاعت أمى .. وكنت قد عدت أقابلها سرا .. أن  
توسط بعض أصدقاء زوجى السابق عبد السلام حتى يسمح لى  
برؤية ابنتى .. كانت المسكينة تعتقد أن كل ما حدث لى ، وكل  
الجنون الذى أعيش فيه ، سببه أن ابنتى أخذت منى ..

ورضى عبد السلام أن يجعلنى أرى ابنتى .. بشرط أن أراها  
فى بيته بالسويس .. وذهبت اليه أول مرة مع صديقه وزوجته  
.. ودخلت بيته كاتى أدخل قطعة من ذكرياتى .. ذكريات كنت  
لا زلت خلالها فتاة منتشية بعمرها .. منتشية بجمالها .. منتشية  
بحبها ..

ولم تستقبلنى أمه .. تركونى مع الصديق وزوجته أكثر من  
نصف ساعة ، ثم جاء عبد السلام يشد فى يده ابنتى .. وما كدت



أراها حتى استطعت أياها على ركبتي احتضنها إلى صدري ..  
وأنا أصبح من خلال دموعي :

— هدى .. بنتي .. حبيبتي .. وحشتيني ..

وأحسست وأنا أضنها إلى صدري ، كأنه لا يزال في حياتي  
شيء نظيف يمكن أن أضمه إلى صدري ..  
ولكن هدى تنظر إلى بعينين باردتين .  
كأنها لا تعرفني ..

والتفت إلى عبد السلام وصرخت فيه :

— أنت قلت لها أياه عنى .. قلت لها أياه .. البنت رى  
ما تكون مش عارفاتى ..

وتدخل الصديق وزوجته ليهذئاني .. ورضيت بنصيبى الفاتر  
من حب ابنتى ونشيت لحظاتها لو استطعت أن أعود أيا صالحة ..  
تمنيت لو بعث كل ما في حياتي .. لاستعيد ابنتي .. استعيد  
حبها على الأقل .. واتسمت بيني وبين نفسي أن أحاول .. يجب  
أن أحاول ..

وقال لى عبد السلام وهو يودعنى بعد أن اتفقنا على أن  
يسمح لى بأن أرى ابنتى كل أسبوع ، فى السويس ..

— عايله أياه دلوقتى يا ميتو ..

قلت :

— كويسه ..

قال فى هدوء ووقار :

— ما كانش لك حق تنسبى فريد .. ده راجل كويس ..

وأعرفه ..

قلت :

— طبعا كان يهيك انى اتجوز علشان ما اطالبكش بالبنت ..

### قال :

— أبدا والله .. أنا يهمنى انك تبقى كويسه .. حتى  
لو ما أخذتيش البنت .. دى بنتك وانتي أياها ..

قلت :

— أنا كويسه .. أحسن من أى أم فى الدنيا كلها ..

ونظر إلى عبد السلام فى الشقاق، وهز رأسه كأنه يعلم كل  
شيء عنى ..

ومضى يومان حاولت فيهما أن أتوب .. أتوب عن هاشم  
وعن محمد .. ولكنى لم أحتمل أكثر من يومين .. اتى وحيدة فى  
بينى مع الخادمة .. وأبى لا أراه إلا ساعة أو نصف ساعة عندما  
يعود فى المساء ، وقبل أن يصعد إلى الشقة الأخرى التى تقيم  
فيها زوجته .. وكل ما يملأ حياتى فى البيت بعد ذلك هو مشاجراتى  
مع زوجة أبى .. مشاجرات حول أشياء تافهة .. حول طبق  
أخذته منى أو أخذته منها .. حول خادماتها وخادمتى .. حول  
قطعة من اللحم فقدت من ثلاثتها أو ثلاثتى .. حياة لا تساعدننى  
حتى أن أحمل .. حتى ولو من أجل ابنتى ..

وعدت ..

عدت إلى الاثنين ..

وفى الأسبوع التالى ذهبت لأرى ابنتى فى السويس ..  
ولم أكن أستطيع أن أذهب فى القطار أو فى الأتوبيس .. فطلبت  
من هاشم أن يأخذنى فى سيارته .. وكان اليوم يوم الجمعة ،  
يوم عطلته .. ولكنه رفض .. ومنيتة بكل ما أستطيع أن أعطيه  
له .. منيتة بأن أذهب بعد ذلك إلى العين السخنة .. ومنيتة  
بأن نقضى يوما هائلا يريحه من عمله الكثير .. ولكنه رفض ..  
واضطرت أن أجا إلى محمد .. وفرح محمد .. ولا أدري لماذا

لم الجأ الى محمد من أول الأمر .. ربما لاني لا زلت اعهبر نفسي  
ملكاً لهاشم .. لا زلت أعتبره رجلى ..

وقطعنا الطريق أنا ومحمد ، ونحن نضج خططنا صبيانية  
لخطف ابنتى من عبد السلام .. ثم نزلت من السيارة عند مدخل  
السويس حتى لا يرانى عبد السلام معه .. واتفقت مع محمد  
أن ينتظرني في نفس المكان بعد ساعتين .. ثم ركبت سيارة  
تاكسى وذهبت الى بيت عبد السلام .. ورايت ابنتى .. جلست  
معه ثلاث ساعات .. أربعا .. لم اكن أستطيع أن اتركها ..  
وقد بدأ برودها يذوب .. وبدأت تعطيني حبها وحنانها ..

وعدت في سيارة أجرة ، لأجد محمد في انتظارى .. وقد  
استبد بي الزهق .. وقررت أن أكافئه .. فلم أعد الى بيتى ..  
عدت الى شقته وبث معه حتى الصباح ..

ربما كانت أول مرة يبيت فيها محمد مع امرأة حتى الصباح  
.. فقد ذمرت أمه .. خافت عليه .. وبدأت من يومها تناصبني  
العداء .. وكنت قد عرفت أخوات محمد البنات من خلال التليفون  
كما عرفت أخت هاشم .. بل عرفت أمه أيضاً .. كل الأخوات  
لهن أسلوب واحد وطابع واحد في التحدث الى صديقات اخوتهن  
.. الرقة المتعملة .. والفهم المتبادل .. والضحكات الخبيثة ..  
وكل الابهات أيضاً .. ولكن منذ بدأ محمد يبيت معي ، تغيرت  
معاملة الأم أولاً .. ثم تغيرت معاملة الشقيقات ..

وقد أصبحت ابنتى مع محمد كل اسبوع كلما فهدنا الى  
السويس ..

واشعر بالشئمة في هاشم وأنا أقضى الليل مع محمد ..  
ربما لم تكن شئمة .. ولكنها كانت حسرة لأن هاشم لم يقض  
الليل معي أبداً في القاهرة .. وفي كل مرة .. ابتكر كذبة لهاشم

.. كنت نائمة عند بنت عمى .. كنت نائمة عند خالتي .. ولم  
أتأكد بعد اذا كان هاشم يصدق كذباتى او لا يصدق .. ولكنى  
كنت ألتذ من الكذب عليه .. كان يخيل الى أن كل كذبة هى  
انتصار عليه ..

ثم حدث أن أمى اقنعت عبد السلام بأن يرسل لها ابنتى  
لنقيم معها شهراً في الاسكندرية أثناء الصيف ، ورضى عبد السلام  
بعد أن تعهد له زوج أمى بأن تكون ابنتى في رعايته ..

وأصبحت أسافر مع محمد الى الاسكندرية كل اسبوع الأرى  
ابنتى هناك .. كانت أمى تأخذ ابنتى في كابين احدى صديقاتها  
وأذهب لرؤيتها .. ثم أقضى الليل مع محمد في شقة عائلته  
التي لم تكن تصيف في هذا العام .. ومن بيت عائلة محمد كنت  
اتصل بهاشم في القاهرة بالتليفون .. ومحمد واقف بجانبى ..  
مقتنعاً أن هاشم زوجى .. زوجى العرفى .. وكنت أقول لهاشم  
أنى ابنتى في بيت خالتي .. وأنه يستطيع أن يتصل بي في  
التليفون اذا أراد .. ثم أعطيه نمرة تليفون محمد .. ويقول هاشم  
في برود :

— حاضر ..

والح عليه :

— بعد ما تخلص العيادة كلمنى يا هاشم .. ضرورى ..

ويرد هاشم :

— باذن الله ..

وكنت أنتظر بجانب التليفون وأنا في أحضان محمد .. كنت  
أريد من هاشم أن يحدثنى ، حتى يزاد محمد اقتناعاً بأننا متزوجان  
.. وحتى أرضى غروره .. غرور محمد .. وهو يحس أنه في

أخضان زوجة رجل مشهور مثل هاشم .. ثم لأحس بأنى أذل هاشم ..

ولكن هاشم لم يكن يتحدث ..

أبدا لم يتحدث ..

كانه كان يعرف أين أنا ..

بل انه لم يكن يسألنى شيئا بعد أن أعود من الاسكندرية أو من السويس ..

ومع مرور الأيام .. لم أعد أسافر لأرى ابنتى .. لم تعد ابنتى هى السبب الاول لسفرى .. أصبحت رؤيتى لها معادة مكررة لا أتحبس لها ، كأنها تقيم معى .. واختلت من راسى كل الخطط التى كنت أضعها لخطفها ، واستعادت .. لقد حاولت فعلا أن أنفذ بعض هذه الخطط ، ولكنى فشلت أنا ومحمد .. انها أصبحت أسافر لأبقى مع محمد .. ولأحس انى بعيدة عن هاشم .. مستقلة عنه .. ولو يوما أو يومين وأعصابى تزداد تلغا ..

وأحسالى الجسدى يذبل ..

ولا زلت فى حاجة الى مزيد من العنف ..

وتفاصيل كثيرة لا يمكن أن تتعرض لها النساء المحترمات .. تفاصيل تؤثر حتى فى كيمائى الداخلى .. اننى امرأة أخرى .. اننى قريبة جدا من نساء الرصيف .. ان نساء الرصيف نساء أيضا ! ..

وكانت تمر على أيام تتجسم فيها الحالة التى وصلت اليها الى حد أن أفكر فى الانتحار .. وابكى كأنى أشيع جثتى .. كأنى فى جنازة عمري .. وأتمنى على الله أن ينقذنى .. ينقذنى من نفسى .. من جنونى .. ولم يكن أحد يستطيع انقاذى

الا هاشم .. لو انه اهتم بى أكثر .. لو انه شعر بالغيرة على .. لو انه عبر لى عن شكوكه التى تبدو فى عينيه .. لو انه هددنى .. لو انه طمأننى الى حبه .. فربما استطاع أن ينقذنى .. واستطعت أن أنقذ نفسى .. بل انى فكرت فى أن أعترف له بأن هناك رجلا آخر يأخذ جسدى .. رجلا اقضى فى أحضانه لىالى كاملة .. فربما بعد أن أعترف له يثور .. أو على الأقل يفتح لى بابا جديدا أستطيع أن أفر منه .. أفر من حالى .. ولكنى لم أعترف له .. خفت خفت أن أفقده .. وهو يزداد برودا واهمالا .. وأحس به يبتعد عنى بقلبه وعقله .. وأحس أن هناك فى حياته فتاة أخرى .. لعلها مريضته نجوى .. انه يرفض أن يتحدث عن نجوى الا فى كلمات متناثرة .. ولكنى أراها فى عينيه .. فى شروده .. وكل ما عرفته عنها انها تسكن فى شارع الهرم .. وكان هاشم أحيانا يلقى الى بكلمات مبتورة يعبر بها عن شكره .. فاجانى مرة قائلا :

— عامله ايه مع محمد ..

وفوجئت فعلا .. وكاد لسائى يسبقنى .. ولكنى استطعت أن أسيطر على ذكائى بسرعة ، وقلت وأنا لا أنظر الى عينيه :

— محمد مين ؟

واتسعت ابتسامته وقال كأنه يستخف بى :

— ما تعرفيش واحد اسمه محمد ..

قلت :

— أعرف عشره اسمهم محمد .. قصدك مين فيهم ؟

قال وهو يهز كتفيه :

— ولا واحد من العشرة .. أقصد محمد الحداشر ..

قلت وقلبي يدق :

— ما تجنّيش .. انكلم بصراحه ..

— مهما اتكلمت بصراحة حاتكرى .. حاتحلفى ببيتك ..  
وحاتحلفى بالقرآن .. أنا عارفك .. انما كل ده مش مهم ..  
المهم انك غيبة .. لانك مش قادره تحسى انك حره ، مش قادره  
تعرفى انى ما ليش حق عليكى .. أنا مش جوزك علشان تتعبي  
نفسك وتكذبي على .. وانتي تقدرى تعرفى واحد تاتى ببساطة  
.. ونبقى أنا وانتي اصدقاء .. ويمكن لما نبقى اصدقاء نبقى  
احسن من كده ..

قلت وأنا اضع عيني في عينيه :

— أنا ما باكذبش عليك .. ويوم ما حاعرف واحد  
حاقولك ..

قال وكأنه لم يسمعنى ورنه غيظ في صوته :

— وأحب أقول لك كمان ان من السهل على أى واحد انها  
تعرف اثنين وثلاثة .. انما الصعب انها تعرف واحد بس ..  
الخيانة سهلة .. والاخلاص صعب ..

وصرخت :

— أنا مش فاهياك .. كلمنى بصراحه .. تصدك ايه ..

قال في برود :

— مش ممكن تفهمينى .. لانك غيبه ..

قلت :

— أنا غيبه لاني باحبك ..

قال في قرف : ..

— اذا كنت فاكرك اننا كنا بنحب بعض .. فأحب أقولك ان

حبنا بيطلع في الروح .. حبنا حالة سرطان .. ما فيش فايده  
منه ..

وستقطت دموعى .. دموع مسادقة ، تحيل كل هوى ..  
وقلت :

— أنا لسته باحبك يا هاشم .. باعبك في الاول واكثر ..

وقال وهو يزفر انفاسه :

— طيب ..

وتركنى ..

لم يحاول أن يفتنى من نفسى ..

لم يحاول أن يتتبع حياتى ، او يتدخل فيها ليحد من حريتى ..  
حريتى التى تقتلنى ..

وأعصابى تزداد تلغا ..

وأحس بها تختنق كلما رقت في فراش هاشم ، او في  
فراش محمد .. أحس كأنى أريد أن أخلع جلدى .. كأنى في  
حاجة الى سكين لاسلخ جلدى عن جسدى لعلى أستطيع بعد ذلك  
أن أنطلق .. كان جلدى سجن يخنق جسدى ويشير فيه كل هذا  
الاحساس بالاختناق .. فأحاول أن أعرب من جلدى .. أن أخلع  
جلدى ..

هل هذا تعبير مبتلع فيه .. أبدا .. لقد كنت أحاول فعلا  
أن أخلع جلدى ..

حدث هذا في احدى المرات القليلة التى دعانى فيها هاشم  
للسفر معه لقضاء نهاية الأسبوع .. كان أيامها يشمر بصراع  
دائم نتيجة عمله الكثير ، فقرر أن يأخذنى أنا والصداق ، ويسافر  
الى منطقة العلمين التى تقع في الطريق الى مرسى مطروح ..

وقلت لمحمد انى مسافرة مع هاشم .. لم اكن فى حاجة الى ان اكذب عليه ، فهو مقتنع تماما بانى متزوجة هاشم .. عرفيا ..

وفى العامين فندق صغير مكون من اربع غرف فقط .. هادى .. اتيق .. يطل على طريق مرسى مطروح .. وتمتد امامه مقابر الحلفاء .. ويفصله عن البحر ارض ملحة واسعة ، تبرى فيها حبات الملح ، فتبدو كأنها ارض مزروعة بالنجوم .. بحبات الماس .. وبنات العربان فى ثيابهن الزاهية ، وابتساماتهن الحلوة الساخجة يطفن حول الفندق .. ولون مياه البحر زرقاء صافية لا تراها فى اى مكان آخر من البحر .. أنها دنيا مسحورة .. احسست كأنى انتقلت الى أسطورة ..

وقيد هاشم اسمه فى سجل الفندق كعادته « هاشم محمد عبد اللطيف وحرمة » .. رفع لقب دكتور .. وأضاف اسم « محمد » .. وأنا .. حرمة .. ثم سعدنا الى غرفتنا ، وخلصنا ثيابنا وارتدى كل منا « المايوه » .. ارتديت المايوه المخطط بخطوط زرقاء ، الذى اشتراه لى هاشم فى احدى رحلاته .. ثم خرجنا نسير فوق الارض الملحة .. فوق النجوم .. فوق حبات الماس .. الى ان وصلنا الى البحر .. لا أحد معنا .. أنا وهو وحدنا فى الدنيا كلها .. وهاشم هادى .. سرحان .. صامت .. ربما كان يفكر فى مرضاه او فى مريضة معينة بالذات .. وأنا سعيدة .. هائمة فى كل ما حولى .. والهواء يخبط فوق جسدى الذى يكشف عنه المايوه .. ويربت عليه .. فى رفق .. وحلاوة .. كأنه يد عاشق رقيق .. وانظر للى هاشم .. أنفه الكبير .. وعيناه المنتفختان .. وصدره العارى القوى .. وجسده المتسق .. واحس انى أريد ان ادخل فيه .. أريد ان أعيش فى داخله

.. احس انى احبه .. احبه .. واحس انى أريده .. أريده .. ولكنى نجاة تذكرت محمد .. احسست ببصمات محمد فوق جلدى .. احسست انى لن أستطيع أبدا ان اعطى لهاشم جسدا نظيفا .. وانى لن أستطيع أبدا ان اتق به الا اذا غيرت جلدى ، ولبست جلدا نظيفا .. نفس الاحساس الذى احس به عندما أشهر بحاجتى الى ان استحم لازيل الأثرية من جسدى .. حتى انام نظيفة .. ولكنه احساس مجسم أكثر ..

والتوت اعصابى نتيجة هذا الاحساس .. اعصابى تخنقنى ..

والتفت الى هاشم قائلة فى عصبية مباغنة :  
— قوم نتمشى شوية يا هاشم ..

وكان هاشم مستسلما ، على غير عادته وقام من جلسته على الشاطئ ، وسار بجانبى .. والدنيا كلها ليس فيها الا اذا وهو .. وأنا اعانى احساسى بانى أريد ان انطلق من جلدى .. أريد ان أفعل أى شىء أنسى بعده ان جلدى ليس نظيفا ..

ووصلنا الى منحى فى الشاطئ تخفيه الصخور .. ونجاة توقفت ..

وبلا أدنى تفكير .. خلعت المايوه .. وقذفت به بعيدا .. انى عارية .. عارية تماما ..

واحسست فجأة بالانطلاق .. الانطلاق من السجن .. احسن كأنى خلعت جلدى .. والمايوه ليس سوى قطعة صغيرة من القماش ، ورغم ذلك فقد احسست انى تخلصت من حمل ثقيل .. ثقيل جدا .. واحسست براحة .. راحة لذيدة .. ربما لم يكن السبب هو قطعة القماش .. ولكنها التقاليد ..

التقاليد التي تخلصت منها .. حتى لو كانت التقاليد مجرد مايوه ..  
وارتفعت عارية على الرمل وعيناي مبتهلتان الى هاشم ..  
ونظر الى هاشم في امتعاض ، وتمتم بكلمة لم اسمعها ..  
ولكني اعرف هذه الكلمة .. « يا مجنونة » .

ثم ادار ظهره ، وجلس على احدى الصخور ..  
وظللت أنظر اليه ، وقلبي يرتجف .. لا أدري لماذا فعلت هذا  
.. ولا أدري ماذا افعل بعد هذا .. ولكني قمت بعدها ، وألقيت  
نفسي في مياه البحر .. عارية .. شيء آخر عندما كنت أنزل  
البحر وأنا بالمايوه وصرخت في هاشم :  
— تعالى يا هاشم .. اليه لفيذه قوى ..

وقال في برود :  
— لا .. مش حانزل دلوقتى ..  
ثم قام من جاسسته ، وسار عائدا ، وخرجت من الماء ، أجرى  
وراءه .. عارية .. وأنا اصرخ :  
— هاشم .. هاشم ..  
ولحقت به .. تعلقت به وأنا اتوسل اليه :  
— ما تعملش في كده يا هاشم .. انت مش عارف حالتى  
شكلها ايه ..

ونظر الى هاشم في اشتياق ..  
لقد تغير هاشم ..  
لن يكون ابدا كما كان ..  
انه لا يثور .. لا يضرني .. ولا .. ولا .. انه فقط يشفق  
على .. لم أعد في نظره .. سوى مجنونة .  
لماذا خلعت يومها المايوه ..  
لانى كنت اريد أن اخلع جلدى .. جلدى المتسخ .. لعلى

اكتسبه جلدا نظيفا .. او لعلى اغسل هذا الجلد وازيل ما عليه  
من بقع .. ولكن لا .. بقعة الجلد لا تمحى ابدا .. انها بقعة  
في القلب .. وبقعة في العقل ..  
وازداد ظفا ..

ولكن ..  
محمد يزداد حبا ..  
ويزداد تحمسا لانتفاذي من ظروفي ..  
انه لا يطيق هاشم ..  
يريد أن ينفذني من هاشم ..  
انه يريد أن يتزوجني ..  
يريد أن اترك هاشم ليتزوجني ..  
هل هذا محقول ..  
هل يمكن أن يحدث ..  
محمد يتزوجني أنا ؟ ! ..  
لم لا ..

كان زواجى من محمد املا كبيرا .. اكبر من أن اصدقه ..  
اكبر من أن اتعلق به .. ان زواجى به هو الشيء الوحيد الذى  
يمكن أن يرد الى حياتى .. يرد الى ستمتى .. يرد الى اعتبارى  
امام اهلى وصديقاتى ، والمجتمع الذى أعيش فيه .. ان محمد امل  
احسن بنات البلد .. واه تخطب له بنات اكبر واشهر عائلات  
مصر .. فلو تزوجنى أنا ، فمعنى ذلك أتى احسن من كل بنات  
البلد .. ثم ان محمد هو الذى يستطيع — لو تزوجته — أن يجعل  
منى فتاة هادئة .. ان يشفينى من جنونى .. أن يحررنى من  
الأنف الكبير الذى يتنفس من عمري .. وقد كان محمد هو الرجل  
الوحيد — بعد هاشم — الذى احتفظت به كل هذه المدة الطويلة

.. أكثر من عام حتى الآن .. انباتون كلهم لم اطق ان احتفظ بهم  
أكثر من شهر أو شهرين ..

ولكنى كنت أعلم أن محمد لن يستطيع أن يتزوجنى إلا اذا  
تحدى أهله .. تحدى أمه وأخته وأعمامه .. أنهم ان يوافقوه  
أبدا على زواجه بى .. أنهم يعلمون عنى أكثر مما يعلم محمد نفسه  
.. وكانوا ينقلون اليه قصصا عنى .. فلا يصدقها ، لأنه كان  
يصدقنى أنا وحدى ..

فهل يستطيع محمد أن يتحدى أمه .. هل يستطيع أن يضجى  
بهم من أجلى ..  
لست واثقة ..  
انه يعذبنى ..

انه يقسم لى أن أمه ستستسلم فى آخر الامر .. لانها  
لا تستطيع أن تضجى به .. انه ابنها الوحيد فوق ثلاث بنات ..  
وهو يريدنى أن أترك هاشم ..  
أن أترك هذا الزواج الموهوم الذى اقنعت به ..

ولكنى لا أستطيع أن أترك هاشم .. ليس الآن .. ان هاشم  
هو سلاحى الذى أثير به محمد وأدفعه الى التحدى .. تحدى  
أهله .. ان هاشم هو قوتى على محمد .. ولن أنازل عن قوتى  
الافى آخر .. الا بعد أن أرى المائون بعينى ..  
وبقيت مع الاثنين ..  
هاشم ، ومحمد ..  
وتعبت ..

يارب .. ائنى أنموت .. مستحيل أن احتل هذه الحياة طويلا  
.. جسدى نفسه لا يمكنه أن يحتل كل هذا .. مستحيل ..  
أعصابى ..

انى مزقة بين اثنين كل منهما يرتاح فى يومه ما فيه الكفاية  
.. وأنا وحدى التى لا ارتاح فى يومى ..

هاشم يقابلنى فى النهار ، ويقيم فى الليل .. ومحمد ينام فى  
النهار .. بعد الغداء .. ويقابلنى فى المساء .. أو العكس ..  
أما أنا فلا أنام .. أقابل هاشم ومحمد نائما ، وأقابل محمد وهاشم  
نائما ، وأطمئن الى أن كلا منهما نائم قبل أن أذهب الى لقاء الآخر  
.. بل انى أحيانا كنت أقابل الاثنين فى ليلة واحدة .. أسهر مع  
هاشم حتى الساعة الواحدة ، ثم يعود بى الى البيت .. وأجد  
نفسى وحدى .. وأصتابى تالفة .. فأصل بمحمد فى التليفون ،  
وأطلب اليه ان يأتى .. وأنزل معه لأبقى حتى الساعة الخامسة ..  
وأستأذن كلا منهما فى كل مناسبة لأقنعه أنه رجلى .. اذا  
أردت أن أنزل البلد اتصلت بهاشم وأستأذنه ، ثم اتصلت بمحمد  
وأستأذنته ..

وكل منهما اشعره بأنه مسئول عنى واستشيرى فى امورى  
.. وكل منهما ينهال على بنصائحه ..

هاشم يقول فى لهجة تحذير وعيناه قائمتان لا أستطيع ان  
أعرف اذا كان ينظر بهما الى أم ينظر الى لا شيء :

— أمينه .. ائنى ماثيه فى سكة خطر .. خدى بالك ..

ومحمد يصيح فى حماس شبابيه وحيه :

— ميتو .. ائنى مش حتقدرى تستبرى بالشكل ده .. لازم  
تسيبى هاشم ..

وأنا أسد أذننى عن نصائح كل منهما .. ولا أطمئن الى واحد  
منهما .. أن كلا منهما يستطيع ان يتركنى فى أى لحظة دون كلمة

وداع .. فكيف أطمئن .. ولماذا لا يتزوجني أحدهما ، بدلا من أن ينصحنى ..

ومحمد يرى العلامات الزرقاء التى يتركها هاشم على جسمى .. فيغضب .. ويثور .. ويجن غيرة ..

وهاشم يرى العلامات الزرقاء التى يتركها محمد على جلدى .. فيقرف .. وينظر الى كائى شئ يقززه .. رغم انى أقسم له بأن هذه العلامات ليست سوى اثر لارتطام سائى بحافة المائدة ، أو اثر من سقطتى وأنا نازلة على السلم .. وأقول له كائى أتوسل اليه أن يصدقنى :

— أنت عارف أن جندى حساس .. أى حاجه بتعلم فيه .. وينظر الى كائى لن يصدقنى أبدا ..

وأصبحت أبذل مجهودا كبير حتى لا يترك أحدهما علامة زرقاء على جسدى ، فيحاسبنى الآخر عليها .. مجهودا كان يفقدنى كثيرا من متعتى ..

ولم يكن هاشم يشغل وقتى قدر ما يشغله محمد .. فهاشم مشغول عنى بمرضاه .. ويهملنى .. ولكن محمد ماضى .. انه يذهب الى الشركة التى يعمل فيها فى الصباح ، ويخرج منها فى الساعة الواحدة .. ثم يتفرغ لى حتى صباح اليوم التالى .. أما معى .. وأما فى بيته يحدثنى فى التليفون ، أو ينتظر أن أحادثه فى التليفون ..

ولم أكن أبذل مجهودا كبيرا فى خداع هاشم ، فهو يقبل خدعتى بسرعة حتى لو اكتشفها .. كئنه يدفعنى فى طريق يريدنى أن أسير فيه .. وكلاهما يعلم أن حينما يقبل ويموت ، أو على حد تعبيره ، حب أصيب بالسرطان .. فكان كئنه يترك حينما بالسرطان .. أما محمد فحبة جديد ، لا يزال محتفظا بكل

حرارته .. انه يكلفنى مشقة فى خداعه ، واضطر أن أمثل أمامه دور الفتاة المظلومة التى رماها القدر فى يد رجل أحبته ورفض أن يتزوجها الا زواجا عرفيا خوفا من أهله ، وتركها تعيش وحدها فى بيت أبيها .. فلا هى زوجة ، ولا هى حرة .. ومحمد يتحسس وينقل الى أخبار أمه يوما بيوم ، ويؤكد أنه ينتظر اللحظة المناسبة ليفاتها فى زواجه بى ..

ولكنى كنت أخاف على هاشم أكثر .. كنت أخاف أن يتركنى فجأة ، وقبل أن أتزوج محمد .. كنت لا أريده أن يتركنى الا فى اليوم الذى أحده أنا .. أكثر من ذلك .. كنت أريد أن أتركه أنا قبل أن يتركنى هو .. وكنت أعلم انى سأجن لو تركنى قبل أن أتركه .. وكل ذلك يدفعنى الى ملاحقته أكثر .. الى الاطمئنان دائما الى أنه فى عيادته ، أو فى بيته ، أو مع أصدقائه .. الاطمئنان الى أن امرأة أخرى لم تأخذه منى .. الى أن كان يوم ..

وبحثت عن هاشم بالتليفون فلم أجده .. ونزلت كالمجنونة وركبت تاكسى وأخذت — كعادتى — أبحث عنه .. ولم أجده فى شقته .. ولا فى شقة أحد من أصدقائه .. ثم تذكرت فجأة « نجوى » .. الفتاة المريضة التى تشرذ عيناه كلما لفظ اسمها .. وتذكرت انه قال لى مرة انها تسكن فى شارع الهرم .. فأمريت سائق التاكسى بأن يتوجه الى هناك .. وما كادت السيارة تتعدى النفق الذى يقع فى أول الشارع .. حتى لمحت هاشم فى الناحية الأخرى من الشارع ، عائدا فى سيارته .. يقودها سى بطه .. ويدخن سيجارته فى هدوء وبين تنفسيه ابتسامة نائمة .. كأنه أسعد رجل فى العالم ..



وامرت سائق التاكسي أن يلف ويضع سيارة هاشم .. وما كاد  
التاكسي يوازي سيارة هاشم ، حتى أوقف سيارته بسرعة ..  
وأوقفت التاكسي ، وتقدمته أجرته ، وقفزت الى سيارة هاشم  
.. وقلت وعيناي تنبشان وجهه :  
— كنت أين حضرتك ؟

وقال وقد قطب جبينه كأنه أفاق من حلمه الجميل :  
— ما تسألينش .. أنتي مالتيش حق تسأليني .. لازم نعرفي  
أنا سيبينا بعض من زمان .. وأنا سايبك تعملي اللي انتي  
عايزاه ، وكل اللي باطله منك انك تسيبيني اميش زي ما أنا  
عايز ..

وقلت وقد صدمتني المفاجأة :

— انت بتتكلم جد يا هاشم ؟

قال في اصرار :

— طبعا .. باتكلم جد ..

قلت والدموع تملأ عيني :

— يعني احنا سبينا بعض خلاص ..

قال وهو ينظر اليّ :

— أنتي عارفه أنا سيبينا بعض من زمان ..

قلت وقد انهمرت دموعي وارتفع نشيجي :

— لا .. مش عارفه .. أنا ما سبتكشي .. وانت مش من  
حقك انك تسيبيني .. ما تقدرش تسيبيني بعد ما عملت في كل ده ..  
ولم يرد هاشم ..

ظل صامتا مزموّم الشفتين ..  
واشد بكائي .. وارتفع نشيجي اكثر .. واخذت الطم عنو

خدي .. وادبب على أرض السيارة بقدمي .. وهاشم لا يتأثر  
.. لم تعد دموعي لها قيمة عنده من ككرة ما بذلتها له ..

وقال في صمت جامد :

— تسحى تطلعي عياط .. احنا في الشارع ..

ومرخت فية :

— انت ما يهتكش حاجة الا نفسك .. مش كده .. عايزني  
اصرخ والم الناس عليك ، علشان يشوفوا الدكتور المشهور بيعمل  
في بنات الناس ايه ..  
وقال في برود :

— بنات الناس ما يصوتوش في الشارع ..

وامتلا قلبي بالغل .. وخيل لي اني ستأخريه .. سامزق  
وجهه باظفاري .. ولكني لم أستطع الا ان ابكي ..

وأوصلني هاشم الى بيتي في الروضة .. وقال وأنا أنزل  
من السيارة دون ان يلتفت اليّ :

— مع السلامة ..

وقلت وأنا أخبط باب السدرة رائي كأنني أصغعه به :

— ربنا ينتقم منك ..

وانطلق بسيارته قبل أن أدخل من باب العمارة ..

وسكنت دموعي بمجرد أن دخلت بيتي .. لم تكن كلها دموعا  
حقيقية .. ان دموعي في حقيتي واستطيع ان أفرها وقتها  
أشاء ، واستطيع ان أخفيها وقتها أثناء .. ولم أكن في الواقع  
قد صغقت هاشم عندما قال لي انه تركني .. اني أعلم انه لم يقل  
ذلك الا تخلصا من العرج الذي يعانيه بعد ان ضبطته عائدا من  
عند تجوي .. ثم اني أستطيع دائما ان أعيد هاشم اليّ .. اني  
واثقة اني أستطيع ان أعيده ..

واتصلت بمحمد بالتليفون واتفقت معه على ان ياتى ليأخذنى  
فى الساعة التاسعة مساء .. ودخلت الحمام لأقف تحت الدش .  
وافكر فى الطريقة التى أصالح بها هاشم وأعيده الى .. وخرجت  
من الحمام .. وبدأت ألبس ثيابى .. لبست الثوب الاسود  
الذى يكشف عن كتفى .. ورفعت شعرى الى أعلى .. وعلقت  
فى اذنى الحلق الماسى الطويل الذى اشتراه لى هاشم .. كنت  
قد قررت ان أقضى ليلة كبيرة مع محمد انتقاما من هاشم .  
وفجأة .. قبل ان أتم زينتى ، خطرت لى فكرة استرد بها  
هاشم ..

ضفطت على عيني حتى استدرت دموعى .. أخرجت  
دموعى من حقيبتى .. ورفعت سماعة التليفون ، واتصلت  
بمديحة أخت هاشم .. وما كدت أسمع صوتها حتى انطلقت  
قائلة وأنا أتشج :

— مديحه عانم .. انا أمينه . احب اقول لك ان اذا حصل  
لى حاجه نالسبب أخوكى .. انا خلاص .. مش ممكن اعيش  
بعد كده .. استحملت كفايه .. ما بقاليش حد أروح له الا ريبا  
.. أنا رايحه لربنا .. قولى لآخوكى انه مش حايقدر يعيش بعدى  
.. مش حايقدر .. ربنا حاينتقم لى منه ..  
وصرخت الست الطيبة :

— ما بقوليش كده يا أمينه يا حبيبتى .. اهدى بس وقولينى  
حصل ايه ، وأنا اعمل لك كل حاجه ..

قلت ودموعى تتجمع فى سماعة التليفون :

— ما فيش فايدة .. أنا خلاص يئست .. استحملت ست  
سنين .. كفايه .. كفايه .. ما فيش قدلى بعد كده الا انى  
أموت .. قولى لآخوكى انى مت .. واستريحته منه ..

ووضعت سماعة التليفون ..

وعدت الى مراكبى ، أمتح دموعى ، وأتم زينتى ..  
وكنت أعلم ان مديحة لن تستطيع أن تتصل بأخيها الا فى  
صباح اليوم التالى ، او فى آخر الليل بعد ان يعود من سهرته ..  
وسيحاول هاشم ان يتصل بى ليطمئن على ، فأقنعه بأنى حاولت  
الانتحار ، وان أبى أنقذنى صفة .. فيشفق على ويصالحنى ..  
كانت هذه هى خطتى ..

وانتم زينتى .. ووضعت على كتفى الفراء الفيلون الذى  
اشتراه لى هاشم أيضا .. ونزلت للقاء محمد ..  
ونزل محمد من سيارته ليستقبلنى كعادته ..

ونجاة ..

وقفت سيارة بجانبنا ..

ونزلت منها سيدة ملهوفة ، وبجانبها رجل ..

وصعقت ..

انها مديحة أخت هاشم ، وزوجها .. جاءوا لينقذانى من  
الانتحار ..

ووقفت امامى مديحة مذهولة .. تنظر الى ثم الى محمد ..  
كانها لا تفهم شيئا .. ثم تمتمت :

— انا آسفة .. أنا جيت أطمئن عليكى ..

ثم عادت تنظر الى محمد ثم تنظر الى ..

وتماكت أعصابى ، وقلت فى هدوء ..

— أنا كويسة والحمد لله .. رقت .. لقيت ان فيه طريقته

تانيه ..

ثم قدمت محمد لها ولزوجها ..

— محبة مهران ..

ولم 'علق' شئ .. ولا ارتعشت ..  
وهزت مديحة رأسها ، ثم ضحبت زوجها وعادا الى  
سيارتها .. والتفتا لحياتى وأنا اركب بجانب محمد فى  
سيارته ..

وبدأت أفيق من المناجاة .. وبدأ قلبى يرتجف .. وقلت وأنا  
أنظر أمامى فى سواد الليل :  
— تعرف دى مين ؟

وقال محمد بلا اهتمام :  
— مين ؟  
قلت :

— دى اخت هاشم ..  
والتفت الرأ وقد اتسمت عيناه ، وقال فى دهشة :  
— صحيح ..  
قلت :

— تقدر تعبر انى سميت هاشم خلاص ..  
قال :  
— تفكرى ان اخته حاتروح تقوله ؟  
قلت :

— طبعا .. وحتى لو ما فالتش لى .. انا كنت مقرره من  
الصبح انى اسبب هاشم .. خلاص ما بقتش قاعده استحيه ..  
ما كتش ممكن أحبك ، وأفضل معاه ..  
ثم انطلقت أبكى ..

أبكى بدموع حقيقية .. كنت أبكى غيظى لفشل خطتى ..  
وكنت أبكى خوئى من أن اتقد هاشم .. وانطلق من قلبى صاروخ  
حاد من الكراهية لأخت هاشم .. انى أكرهها .. أكرهها ..

أكره السيدة الطيبة التى صدقتنى فجاءت بتقننى من الانتحار  
.. أكرهها لأنها لم تحاول اقناع هاشم بان يتزوجنى عندما ذهب  
اليها وأطمعها على حبنى لى .. وأكرهها لأنها كشفت هيلتى ..  
كشفت حقيقتى .. وأكرهها لأنها انتحاة سميدة شريفة لها  
بيت وأولاد .. وأنا أكره كل النساء السميدات الشرقيات ..  
أكرهها .. ولا زلت أكرهها حتى اليوم ..

وبدا عقلى يفكر وأنا أبكى .. ربما كان ثينا حدث مصلحة  
لى .. ان محمد الآن قد ازداد تأكدا من انى متزوجة بهاشم  
بعد أن رأى اخته تانى لزيارنى .. وأنا الآن استطيع ان أكون  
مسئولية كل ما يحدث لى .. استطيع ان أقول له ذاتها انه هو  
السبب فى طلاقى الموهوم من هاشم .. ولن يستطيع أبدا ان  
يفر من هذه المسئولية .. انى املك اليوم أكثر من اى يوم  
آخر ، ان أتزوجه ، بالالحاح على ضئيرة وعلى شهامة ، ومهما  
عارقت أمه وأخوته البنات ..

وضغطت على عينى ، وقلت فى صوت الشهيدة :  
— انا خلاص يا محمد .. ما بقاش لى فى الدنيا كلها  
الا انت ..

ومد محمد يده والتقط يدى ، وضغط عليها فى حنان ، وقال  
فى حماس صايق :

— احنا حنتجوز يا ميتو .. تاكدى اننا هانتجوز ..

وبسبت معه ليلتها حتى الخامسة صباحا أبكى .. واروى  
له قصصا عن مغالبة هاشم ، والمغالب الذى سقاه لى ، ثم  
أعطيه من نفسى .. أعطيه كائى أرشوه ليتزوجنى .. وأعطيه  
لانى .. أنسى هاشم .. ولم أكن ليلتها أريد ان أترك محمد

أبدا .. كنت أخاف أن أعود إلى بيتي فأغرق وحدي في لوعتي  
على هاشم .. وخوفي من حياة لا يشاركني فيها ..

وما كاد محمد يوصلني إلى البيت حتى سقطت في البئر  
.. البئر العميقة التي حفرها هاشم في صدي .. نسيت في  
لحظة واحدة كل الساعات التي قضيتها مع محمد .. ووجدت كل  
عقلي ، وكل قلبي وراء هاشم .. يبحثان عنه ليعيداه .. واتعذب  
.. كل قطعة مني تتعذب باللهفة إليه .. صدري ينقبض ..  
معدتي تنقبض .. عقلي ينقبض .. أوصالي تنقبض .. والخوف  
.. الخوف وأنا أتصور نفسي أعيش بلا هاشم .. لقد انقضت  
سنوات طويلة وأنا أمشي معه .. كل ما نعلته ، نعلته وأنا  
معه .. كل يوم من أيامي كنت أستبدّه منه .. وكان رجلي ..  
كل الذين عرفتهم كانوا شيئا آخر .. هاشم وحده كان رجلي ..  
وخيوط من الأمل تلمع في رأسي ، ثم تنطفئ .. لعل أخته  
لم تبلغه بما رآته .. لعله يقتنع بأن ما نعلته كان مجرد غلطة  
عابرة ارتكبتها وأنا غاضبة منه ..

ولم أقم ..

بقيت مفتحة العينين حتى جاء موعد ذهاب هاشم لعيادته ،  
ثم اتصلت به في التلفزيون .. وقلت في لهجة حاولت أن تكون  
هادئة :

— صباح الخير ..

وسكت .. لم أحاول أن أبدا بالاعتذار .. كنت لا أزال  
متعلقة بالأمل في ألا تكون أخته قد أبلغته ..

ورد هاشم وصوته ينفخ بالأم يبدو أنه يبذل جهدا ليخفيه  
منى :

— صباح النور يا أمينة ..

ثم سكت هو الآخر ، كأنه ينتظر مني أن أبدا في الكلام ..  
وعدت أقول وصوتي يرتعش :

— أنت قاضي النهارده ، أشوفك !

قال وقد خيل إلى أن على شفتيه ابتسامة مرة :

— أظن ما فيش لازمه نشوف بعض بعد كده ..

وقلت في صوت متردد ذليل :

— اختك قالت لك .. مش كده ؟

قال في حدة :

— طبعا قالت لي ..

قلت وأنا اتجرا وأرفع صوتي :

— اختك بتكرهني .. لو ما كانتش بتكرهني كانت سابتني

أقول لك أنا .. أنا كنت ناويه أقول لك على كل حاجة ..

قال في لهجة ساخرة :

— كفتي ناويه تقوليلي ايه :

قلت :

— كنت ناويه أقول لك أنك أنت السبب .. ما كانتش ممكن

اضبطك راجع من عند واحد .. وتقول لي أنك سبتني ..

وبعدين ما أغلطش .. يعني كفت عايزني أنتحصر .. كان أحسن

لك أني أنتحر !!

قال :

— على كل حال اعتبري أننا سبنا بعض فعلا ..

قلت في توسل :

— بسر إذا مش عايزه أسسبك .. ما أقدرش أسسبك ..

قال :

— أنا حاسبك علشان مصلحتك .. انتى مش عارفة انتى بتعملى ايه .. تاكدى ان اسوا حاجة ممكن تعملها فى نفسك ، انك تعرفى رجلين فى وقت واحد .. لو اتعودتى على كده حاتلاقى نفسك بعد شوية ، واقفة فى الشارع تحت فانوس .. وما دام مرفضى واحد تانى ، انا متنازل .. منسحب .. علشان ما تتعوديش على انك تعرفى رجلين فى وقت واحد ..

قلت :

— بسى أنا ما بحبوش .. انا باحبك انت يا هاشم ..

قال :

— آمال خرجتى معاه ليه ؟

قلت :

— لانيك جننتى .. انت اللى خلينتى اعمل كده .. انت

المسبب ..

قال :

— البنت الكويسه ما تعملش كده ، ميا اتجننت .. وانتى مش كويسه .. انتى ما تعرفيش تحبى .. وانتى مبرك ما حبيبى ، انما كنت محتاجه لى .. وأنا مستعد اعمل لك كل حاجة ، الا انتى أشونك .. ومع السلامه ..

والتى سماعة التليفون فى وجهى .. وجئت ..

حاولت ان اتصل به مرة ثانية ، ولكنه رفع سماعة التليفون .. وحاولت ان اتصل به فى تليفون العيادة العمومى ، ولكنه لم يرد على .. وقضيت طول اليوم بجانب التليفون احاول ان اتصل به .. حاولت اكثر من ثلاثين مرة .. اتصلت به فى كل مكان اتصور ان اجده فيه .. ولكن بلا اهل ..

والدنيا تضيق امام عينى .. ويخيل الى انى اصبحت فعلا واقفة فى الشارع تحت فانوس نور ..

وجريت الى محمد لينقذنى من نفسى ..

قضيت معه ليلة اخرى حتى الخامسة صباحا ..

وما كدت اتركة حتى ماودنى الضيق .. والجنون .. ولهفتى على هاشم .. وكنت اتعجب من نفسى .. لماذا لا اشعر بكل هذه اللهفة : لكل هذا الحب ، الا عندما يهشم هاشم بان يتركنى .. فاذا اطمأنت الى انه لن يتركنى ، عدت استهين به .. والعب .. ربما لاني كنت كالطفل الصغير الذى يشتط فى لعبه وهو بجانب امه ، مطمئنا الى حمايتها له .. حمايتها من نفسه .. فاذا ابتعدت عنه امه ، كف عن اللعب .. وخاف من نفسه .. وبكى .. لقد كان هاشم بمثابة امى .. انه امى .. وابى .. واخى .. وسببى ..

واستطعت ان اتصل بهائشم فى اليوم التالى ..

ولكنه رفض ان يلتانى .. انه لا يزال مصرا على ان نفترق ..

وفى اليوم الثالث ..

والرابع ..

وأنا ازداد جنونا .. لم اعد اطيع ان ابقى لحظة واحدة وحدى .. فاجرى الى محمد .. القاه فى الصباح .. وفى المساء .. واتفدى معه .. واتعشى معه .. ثم يتركنى ساعات لا اقام فيها .. وهاشم يملأ قلبى وعقلى ..

الى ان كان اليوم الخامس .. وكنت عائدة من شقة محمد فى سيارة اجرة ، عندما لمحت هاشم فى سيارته .. ولحضى .. ونظر الى وفى عينيه نظرة ميتة لا حياة فيها .. وشفتاه مزمومتان

.. ليست بينهما هذه الانفراجة الصغيرة التى جذبتنى اليه وحيرتنى  
عنه يوم أن رأيته لأول مرة منذ ست سنوات ..  
وابتسمت له ..

ابتسامة مرتعشة خائفة ..

ولم يزد ابتسامته .. وتقدم بسيارته السيارة التى اركبها  
.. فامرت السائق أن يتبعه .. ولحنى فى المرأة وأنا اتبعه ..  
ماطلق سرعة السيارة .. واخذ يدخل من شارع الى شارع ..  
وسائق التاكسى يتبعه ..

وكنت أعلم أن هاشم سيقف أخيرا .. سيقف لأنه يخشى  
الفضيحة .. يخشى أن يلحظ الناس أن هناك فتاة نطارده ..  
ووقف فعلا ..

وقف فى مكان هادئ من الشارع الذى يقبع فيه بيت  
أم كلثوم ..

وقفزت من التاكسى ، وركبت بجانبه وأنا ارتجف .. ودمائى  
باردة فى عروقى .. ووجهى ضاع لونه ..  
وقال فى صوت صارم :

— عايزه ايه ؟

قلت وأنا أحاول أن ابتسم :

— عايزاك ..

وتهم كانه يخاطب نفسه :

— أنا ربنا بيعذبنى بيكى .. أنا لازم عملت ذنب كبير ..

ذنب كبير قوى ..

قلت فى هدوء :

— ذنبى ..

وقال وهو يرفع صوته فى غيظ :

— واكفر عن الذنب ده ازاي .. قوللى اعمل ايه .. عايزه

منى ايه ؟

قلت :

— اتجوزنى ..

ونظر الى كانى مجنونة ، وقال ساخرا :

— تانى .. حانعيد سيرة الجواز من اول وجديد .. وبعد

كل اللى عملتية ؟

قلت :

— أنا ما عملتش حاجة ..

ونفخ صدره ثم زفر أنفاسه فى زهق كانه يطلق من انفه  
نارا .. ثم التفت الى بكل جسمه وقال كانه يتشبث بأخر أمل له :

— احصى يا امينه .. اتنى عارفه ومتأكده اننا مش حانتجوز

ابدا .. وعارفه ومتأكده انك ما تقدرتش تعيش معايا من غير

جوازا .. ويقالك ست متين وانتى تحاولى تسيبىنى .. اتجوزنى

.. لكن ما قدرتش ، وانطلقتى .. وبعدين اتخطبتى وما قدرتش ،

فكيتى خطوبتك .. وبعدين كتبى كتابك على واحد تالت ، وبرضه

ما قدرتش ، وانطلقتى قبل ما تدخل على .. مش كده ..

وتمنيت هامة ، وأنا أصفى اليه نصف اصفاء ، فقد كان

كل ما فى عقله هو لن يعود الى ..

— أيوه ..

قال فى الهجة الفيلسوف :

— يبقى الطريقه الوحيده علشان تسيبىنى ، انك تحبى واحد

تانى .. مش كده !

قلت :

— أيوه ..

قال :

.. لغاية كده متفقين .. دلوقتي انتي بتعرفي واحد تاني  
.. و ..

وتقاطعته وأنا أنظر اليه في جراحة :

— لا .. ما اعرفش ..

ونظر الى كانه بهت لجراتي :

— امال اللي خرجتي معاه ده يطلع ايه ..

قلت :

— مش معنى اني خرجت معاه ، اني باعرفه ولا باحبه ..  
دي اول مره اخرج فيها معاه .. وخرجت معاه لانك جنتني ..  
قال ساخرا :

— يا سلام .. يعني كان واقف تحت شباكك .. اول  
ما اتجنتني طلع لك على طول وخرجك ..  
قلت وأنا احاول الا افقد جبل الكذب :

— انت عارف اني اعرف اخته عليه .. ضربت لها تليفون  
ساعة ما كنت متضايقه ، رد على هو .. طلبت منه انه يجي  
يخرجني ..  
قال :

— انا ما اعرفش انك تعرفي اخته .. بس اعرف انك  
تعرفيه هو .. وتعرفيه من زمان .. واعرف انك بتروحي شقته  
.. فيه ناس شافوكي بعينهم .. وشقته بالاماره جنب شقته  
اللي في الزمالك ..

وصرخت :

— كذب .. ما حصلتش .. انا عارفة مين اللي قال لك كده  
.. كلهم بنات متغافلين مني لاني باعرفك .. لاني باحبك ..

قال كانه يريد ان يطمئن الى شيء يهيمه :

— يعني ما رحيتش شقته ؟

قلت :

— وحياتك بنتي .. وحياتك يا هاشم .. ابدأ .. مش معقول  
.. مش معقول انك تصدق حاجات زي دي ..

وقال كانه يماثني :

— وبشر عيب تضحكى على اختي وتتهميها انك كنتي  
حاتتجري ؟

قلت وأنا اخفي عنه عيني :

— انا بافكر في الانتحار فعلا ؟

قال في حدة :

— بتفكري في الانتحار ازاي ، واختي جاتك بعد تلت ساعه  
لقيتك لابسه وتزوقه وعامله شعرك ..  
قلت في جراحة :

— كذب .. انا ما كنتش عامله شعري ولبست في عشر  
دقائق .. انا عارفة .. انت بتتمنى اني انتحر .. بتتمنى اني  
اموت واريحك مني ..

ونظر الى كانه يستجير بالله مني ، وقال :

— انتي مجنونه ..

قلت :

— مجنونه ليه ..

قال :

— لانك مش فاهمني .. لانك بالشكل ده مش حاتوصلي  
لحاجه .. لو فضلتى تكذبي على حاسبيك غصب عنك .. انما  
لو قلتى الحقيقه حافضل معاكى .. وحافضل مسئول عنك ..

لغاية ما ييجى اليوم اللي تقولى فيه ، خلاص يا هاشم ، أنا  
حببت وأمعد تاني ، ومش خا أقدر أشوفك .. مع السلامة ..  
هل أصدقه .. هل أصدق انه سيقى معى الى ان يتزوجنى  
محمد .. وانه لن يتخلى عنى .. ولن يضغنى أمام محمد بأن  
يتركنى له .. وحدى ..

وقلت فى تردد :

— بس أنا لسة ما حببتوش ..

قال :

— بس فيه أمل انك تحبيه ..

قلت :

— ليه ؟

قال :

— لان هو اللي اخترتبه علشان تخرجى معاه .. اذا

ما كنتيش تحبيه ، يبقى على الأقل بتسلفنيه ..

ولم ارد عليه .. كل عقلى مشغولا ، احاول ان اقنع  
نفسى بأن أقول لة كل الحقيقة .. لعله صادق فى وعده بالآ يتركنى  
بعد ان يعرف كل شئ .. لم لا .. ان هاشم ، مهما قيل عنه ،  
فهو كريم .. لا تهمة الاموال التى ينفقها على .. بل انه كريم مع  
كل الناس ، ليس على وحدى .. ولن يهمل ان يظل ينفق على  
الى ان أتزوج محمد ، وربما بعد ان أتزوجه أيضا .. ثم انه ليس  
من هذا الصنف من الرجال الذى ينفق وراء غيخته .. ان غروره  
يدفعه دائما الى ان يخفى غيظه على أى فتاة .. وكل ما يفعله  
هو ان يصاحب فتاة أخرى .. انى استطاع ان اسمح له بأن  
يصاحب أخرى ، ويسمح لى بأن اصاحب محمد .. ولنلتقى فى  
نفس الوقت . كما كنا نلتقى .. ويبقى مشغولا عنى .. الى

ان احب محمد الى حد ان استغنى عنه .. او الى ان أتزوج محمد  
.. ان هذا الوضع يتلاءم مع عقلية هاشم أكثر .. العقلية  
المحررة الواقعية .. ويرى أكثر مما يريه الكذب .. انه يحس  
بالكذب حتى ولو لم يكتشفه ، واحساسه به يجعله يبتعد عنى .  
وبعذبى ، ويجتنى .

وعاد هاشم يقول كأنه وصل معى الى اتفاق :

— وبثالك أد ايه بتخرجى مع محمد ؟

وقلت فى تردد وأنا انكس عينى بين يدى .

— خرجت معاه ثلاث أربع مرات ..

قال وهو يبتسم :

— وصلتم لغاية زين ؟

قلت وأنا أنظر اليه فى غضب .

— ما وصلناش لغاية حاجه .. تصدك ايه ؟

قال :

— يعنى مثلا .. ما باسكيش ؟

قلت فى صوت خفيض وأنا أرخى عينى :

— باسنى ..

ثم رفعت عينى اليه ، واستطردت بسرمة :

— فى خدى ..

وابتسم هاشم ساخرا كأنه لا يصدقنى .. وأدار موتور

السيارة ، ثم قال وهو ياخذنى الى بيتى ..

— اسمعى يا أمينة .. أنا حاقف جنبك لغاية ما تتجوزى

محمد .. ولازم تعرفى انك حلوه .. ولما تحبى تبقى كويسه بتقدرى

تبقى كويسه .. ما تفكرين انك اقل من الستات التانيه ..

وأوعى تصدق ان سمعتك ضاعت وانك مش ممكن تتجوزى



شباب كويس زي محمد .. أبدا .. ياما بنات عملوا ، واتجوزوا  
 شباب كويسين .. وكمان ما تفتكرين ان محمد من عينه محافظه  
 وكبيره ، ومش ممكن يتجوز واحد مطلقه ومخلفه ، وحتى لو عرف  
 كل حاجه عنك وعنى .. أبدا .. المهم انه يحبك .. بس لازم  
 تعرف ان فيه فرق بين واحد يمشى مع واحد علشان يتجوزها ،  
 وواحدة تمشى مع واحد وهى عارفه انه مش هاتجوزها ..  
 فيه فرق كبير .. لو عرفت الفرق ده حاتقدرى تتجوزى محمد ..  
 خصوصا انه شاب صغير وما اتعقدش من الجواز والبنات  
 زيى :

واحسست بكلمات هاشم كالدبابيس تشك قلبى ، وتشك  
 عقلى ، وتشك جلدى .. انى لا استطيع ان احتل .. لا استطيع  
 ان اكون رخيصة عند هاشم الى هذا الحد .. الى حد ان يتفق معى  
 على ان يعطينى لرجل آخر ، حتى ولو اعطانى كزوجة .. ام  
 اشعر ساعتها اننا نحن الاثنين نحاول ان نتفق على اصطياح  
 محمد .. لم افكر فى محمد اطلاقا .. ولكن كان كل ما احس به  
 انى هنت على هاشم الى هذا الحد .. انى رخيصة عليه ..  
 انى تافهة بالنسبة له ..  
 وصرخت فيه :

— هاشم .. انا كذبت عليك .. انا ما اعرفش محمد ..  
 وعمرى ما خرجت معاه الا يوم ما اختك شافتنى .. وحياة بنتى  
 .. وحياة ماما .. ان شالله افقد نظرى .. انا كنت بكذب  
 عليك ..

ونظر الى هاشم كأنه بوغت ، وقال :

— وكنت بتكذبى على ليه ؟

قلت فى حرارة كاذبة :

— الأناك ما كنتش راضى تصدقنى .. حببت انى اريحك ..  
 انما اذا وصلت لدرجة انك تسيبنى له .. وتقول لى اتجوزى  
 وما تتجوزيش .. يبقى لازم تعرف الحقيقه .. والحقيقه انى  
 ما اعرفوش .. ومش عايزه اعرفه .. مش عايزه اعرف الا انت  
 .. واذا كنت حاتجوز ، حاتجوزك انت .. والا مش حاتجوز  
 خالص ..

ونظر الى هاشم من خلال عينيه المنتفختين ، وقلب شفتيه  
 فى طرف ، وقال :

— انتى مبطله ..

محمد الآن يعتقد انى تركت هاشم ، وأنا لا ازال مصره على  
 ان اكذب على هاشم ، واؤكد له ان ليس بينى وبين محمد علاقة ..  
 تغير الوقت ..

نقد كان محمد — من قبل — يعلم بعلاقته بهاشم .. وكان  
 يعتقد اننا متزوجان زواجا عارفا ..

وكان هاشم وحده هو الذى اضطر ان اكذب عليه ، الاخفى  
 عنه علاقته بـ ..

ولكنى الآن مضطرة ان اكذب على الاثنين .. واقنع كلا  
 منها بان ليس لى علاقة بالآخر ..

هذا الوضع الجديد يكلفنى اكثر .. انه يستنزف كل اعصابى  
 وكل ذكائى .. انه وضع آخر غير وضع الزوجة الخائنة ..  
 فالزوجة التى تخون زوجها ، لها جانب مستقر فى حياتها تستطيع  
 دائما ان تعود اليه وتستريح .. اقصد بيتها .. بيت الزوجية ..  
 اما انا فليست زوجة لهاشم ، ولا زوجة لـ محمد ، وليس لى بيت  
 استريح فيه .. اذا تقلبت على هذا الجانب او الجانب الآخر ..  
 دهنى الملق ، وتاوهت .. والزوجة الخائنة تستطيع ان تقنع

نفسها بأنها عندما تكون لزوجها فهي له باسم الشرع .. وعندما تكون لحبيبها فهي له باسم الحب .. تستطيع أن تجد مبررا لتصرفاتها .. تستطيع أن تسكت ضميرها بأنها ظلمت في زواجها .. أو أن أهلها زوجها رغم إرادتها رجلا لا تحبه ، أو أنها مضطرة أن تحتفظ بزواجها حتى لو خافته ، من أجل الأولاد ، ومن أجل المركز الاجتماعي .. إلى آخر هذه المبررات .. أما أنا .. فلا أجد مبررا لتصرفاتي .. أتى أميش في معركة مستمرة مع ضميري .. أحاول دائما أن انصر ذكائي الأصفر على ضميري الهزيل .. ولم يكن في ذكائي الأصفر سوى الطماعي .. وكانت الطماعي تصور لي أن احتفظ بالاثنين ، هاشم ومحمد .. فكل منهما يمثل لي أملا غالبا .. هاشم برجولته وثروته وشهرته .. ومحمد بشبابه وعائلته الكبيرة .. كنت أطمح في أن احتفظ بهما حتى لو تزوجت أحدهما .. ولكني كنت أداري الطمع وأحاول أن أقنع نفسي بأنني لو تزوجت أحدهما فسأترك الآخر فورا .. كنت أقنع نفسي بأنني مضطرة إلى الاحتفاظ بهما الاثنين لأنني لست زوجة أحدهما .. كنت أقنع نفسي بأن سر كل تصرفاتي أنني لم أتزوج هاشم منذ عرفته .. وأن هذا عذر كاف كي أخونه مع محمد .. ولكني لم أجد عذرا أبرر به خيانتى لمحمد مع هاشم رغم أن محمد وعدني بالزواج .. وكنت أقول لنفسي أنني أخون محمد لأنني لست واثقة من وعده ..

وعندما أعود لنفسي الآن أستطيع أن أرى حقيقتي بوضوح أكثر .. أستطيع أن أرى أنني لم أكن أعلم أيهما أريد أن أتزوج .. محمد .. أو هاشم .. ؟ وأستطيع أن أرى أنني لم أكن قد بنيت من زواجي بهاشم رغم كل هذه السنين ورغم كل ما مر بي .. بل إنه مرت بي فترة طويلة لم أكن واثقة من الذي أحب

منها .. رغم كل ما أعطيته لكل منهما .. كنت أحيانا أقتنع بأنني خلاص ، أصبحت أحب محمد .. ثم لا تمضي ساعات حتى أجد نفسي ملهوفة إلى هاشم ، وأحس أنه الرجل الوحيد الذي أحبه .. ثم أعود بعواطفى إلى محمد .. وهكذا ..

هذا التردد .. أو هذا الطمع .. هو سر شقائى .. كنت كالطفلة الجشعة الغبية التى تأكل كل شيء ، إلى أن تمرض وتصاب بتلبك معوى . وقد مرضت ، وأصبحت بتلبك في أعصابى . وتلبك في عقالى ، وتلبك في جلدى ..

وربما لم يكن هذا التحليل لنفسي صحيحا .. ربما كان سر تصرفاتي هو محاولتى الهرب من حب هاشم .. أن أنساه .. أن أتحرر منه .. أن اتخلص من تعودى عليه .. أو .. ربما كنت مجرد ضحية لطبيعتى المنحلة التى ورثتها عن أبى .. المهم ..

لقد أصبح لقائى بهاشم في هذه المرحلة من عمرى ، صعبا .. فقد كان محمد متفرغا لى .. كان — كما قلت — ينتهى من عمله في الساعة الواحدة بعد الظهر ، ثم يتفرغ لى حتى الصباح اليوم التالي .. فهو إما معى ، أو بحادثتى في التليفون .. وكان يشك في كل تصرفاتى .. وغيرته تكاد تخنقنى .. ورغم ذلك فقد كنت أجد دائما وسيلة للقاء هاشم .. لقد ساعدت المرات التى تلتقى فيها .. كانت تمضى ثلاثة أيام أو أربعة لا أراه فيها .. وهاشم لا يهتم .. غروره بنفسه كان يمنعه دائما من أن يطلب لقائى ، وكان يفتقر منى أن أطلب أنا اللقاء .. ثم لا يقبل إلا بعد أن ألح ، وألح كثيرا .. وقد استطعت أن أقنعه أكثر من مرة بأن يأتى للقائى في بيتى في الصباح وقبل أن يذهب إلى العيادة ليشرب معى فنجان قهوة ، كما كنت أقول له .. وكان هذا الموعد

هو انسب الأوقات لى .. فانا مطمئنة الى أن محمد فى عمله ..  
وكننت احرص عندما يأتى هاشم أن اضع التليفون فى غرفة أخرى  
غير غرفة النوم التى أجلس فيها معه حتى اذا اتصل بى محمد ،  
رددت عليه دون أن يسمعى هاشم ..

وقد لاحظ هاشم مرة أنى أرد على التليفون فى الغرفة المجاورة  
بصوت منخفض .. فبببى صغير وكننت أخشى أن أرفع صوتى ،  
فيسمعى ..

وقال بعد أن عدت اليه ، وبين شففيه ابتسامته الساخرة :

— بتكلمى بصوت واطى ليه .. ؟

قلت وأنا أحاول أن أبدو طبيعية :

— انت عارف انى دايما اتكلم فى التليفون بصوت واطى ..

وضحك هاشم ضحكة صغيرة ، وسكت ..

وكان دائما باردا ..

انه يبدو كأنه لا يريدنى .. لم يعد شىء فى يحركه نحوى ..  
او يفتح عينية المتفتحتين .. او يطلق السخونة فى انفسه ..  
انه ينظر الى كأنه يشفق على .. ويقبلنى كأنه يؤدى واجبا مفروضا  
عليه .. ويعتذر فى مرات كثيرة بأنه على موعد لزيارة احد  
مرضاه .. فاذا لم يعتذر ، فهو ثقيل ، كسول ، يتدلل ..

وانا لم أتغير .. انى لا ازال أريده كما كننت أريده دائما ..  
لا يزال يثير كل قطعة منى كما تعود أن يثيرها .. انه يعيش  
فى مستامى .. وكان بروده يجتنى ويصور لى انه على علاقة  
بفتاة أخرى .. وكننت أحتار فيما تكون هذه الفتاة .. هل هى  
مرفت التى ضببتها فى شفته أكثر من مرة .. أم هى نجوى  
مريضته التى تلمع عيناه كلما ذكرت اسمها كأنى قد دنست اسمها  
الشريف بلسانى .. من يدرى .. لعلها ليست مريضة ولكنها

تمثل عليه دور المريضة كما فعلت أنا عندما ذهبت اليه لأول مرة  
.. ومن يدرى .. لعلها ليست مرفت ، ولا نجوى .. ولكنها  
فتاة أخرى ..

وكننت هذه التصورات تلهب الغيرة فى صدرى .. فاندفع  
وراءه .. اذهب اليه فى شفته .. وأطارده .. ولكنى لم افقد  
ذكائى أبدا ، ذكائى الذى أحمى به علاقتى بمحمد .. أن محمد —  
رغم شكوكه — لم يستطع أبدا أن يكشف لقائى بهاشم ..

وفى هذه الأثناء بدأت اتعمد أن أخذ من هاشم نقودا أكثر ..  
كننت غير مطمئنة الى بقاءه لى .. وكننت أريد أن أضمن اذا تركنى ،  
أن أكون قد ادخرت مبلغا كبيرا يكفى حياتى .. وقد قلت له ذلك  
صراحة .. قلت له انى أريد أن أضمن مستقبلى .. وأريد أن  
أضمن الا انشرد يوم يتركنى .. وأشحذ .. ورغم أنه أكد لى  
انه سيجل يحبل مسئوليتى المادية دائما حتى لو افترقنا ، فقد وافق  
على أن افتح حسابا بأسمى فى صندوق التوفير .. وأعطانى  
مائة جنيه لأضعها فيه .. ثم مائة أخرى .. وفى خلال شهر  
وصل ما ادخرته الى سبعمائة جنيه .. لم استطع أن اصل الى  
الآلاف ..

وكان محمد منذ أن افتتح بانى تركت هاشم ، يعرض على أن  
يكون مسئولا عنى .. كان يقول لى :

— أنا عايز أحس انى الراجل بتاعك .. انى مسئول عنك  
.. مشن عايز اثبوتك لأبسة مستحسان من فلوس هاشم ..  
ولا ماسكه شنته مش أنا اللى جايها ..

وكننت أقول له مبتسمة :

— بعمدين .. لما نتجوز .. لغاية دلوقت ماحدش مسئول  
عنى الا بابا .. أوعى تكون فاكتر أن بابا ما بيصرفش على ..

صحيح ان حالته مرتبكة .. انها مشى لدرجة انه ما يصرفش على ..

رفضت ان ادعه يتحمل مسئوليتى المالية ، لانى كنت اعلم انى يوم اقبل منه ان يصرف على ، فكأتى اعفيته من الزواج ..

وعوضنى محمد بكثير من الهدايا ..  
اشترى اى مرة خاتما من الذهب له فص نيروز .. ووضعته فى اصبعى وذهبت للقاء هاشم ..

ونظر هاشم الى الخاتم وقال ساخرا :  
— مبروك الخاتم .. ورينى كده ..

وخلعت الخاتم من اصبعى ، والقيته اليه ، وهو جالس على المقعد العريض .. ونظر فيه طويلا .. ثم وضعه فى اصبعه .. وضحك ضحكة صغيرة ، وقال :

— جيبته منين ؟ ..  
قلت ورموشى ترتعش :  
— بابا اهداه لى ..

ورفع هاشم يده وفى اصبعه الخاتم ، واخذ يقلبه امام عينيه .. ثم خلع الخاتم ،، والقاه الى كانه يلقيه فى وجهى ، وقال :  
— من اتمى ابوكى بيهديكى خواتم ..

وقلت ورموشى لا تزال ترتعش :

— وايه يعنى .. ده خاتم رخيص .. ما يساويش أكثر من خمسة جنيه .. يعنى بابا ما يقدرش يعمل لى هدية بأكثر من خمسة جنيه ..

وسكت هاشم .. اُدار وجهه عنى فى طرف ..  
وفى مرة ثانية اهدانى محمد حقيبة لها مقبض من ذهب .. اشتراها لى من الاسكندرية ، عندما سافرت معه لأرى ابنتى ..

وحملت الحقيبة ايضا وذهبت الى لقاء هاشم .. لا ادرى لماذا .. ربما لانى كنت اتلذذ وأنا اذهب اليه ومعى قطعة من محمد .. أو ربما لانى لم اكن أستطيع أن أخفى عنه شيئا .. كان ما أخفيه عنه بلساتى ، اتمنى أن يعرفه باحساسه .

وامسك هاشم الحقيبة بيديه ، وقال وهو يلوى شفت السفلى :

— جيبها منين ؟ ..  
قلت :

— اشتريتها من اسكندرية ..  
وظل هاشم يقلب الحقيبة بين يديه برهة ، ثم كسر مقبضها الذهبى . والقى به من الشباك ، واعادها الى قائلانى برود :  
— كده احسن .. شكلها كده اشيك ..

وجننت ..  
تفرت من جلسعتى ، ونظرت من الشباك وراء المقبض الذهبى . ثم جريت بعد أن صرخت فى وجه هاشم :

— انت مجنون .. سافل ..  
ووجدت المقبض فى الشارع ..  
وحملته وعدت الى الشقة ، فوجدت هاشم قد غادرها ..

ومن يومها فكرت فى طريقة اخرى .. أصبحت كلما اهدانى محمد هدية ادعيت انى اشتريتها ، واخذت ثمنها من هاشم .. وبهذه الطريقة لم يعد هاشم يلقي بهدايا محمد من الشباك ..

وكان محمد قد اهدانى فى عيد ميلادى ، خاتما محلى بنصوص صغيرة من الماس ، وفوقه لؤلؤة كبيرة .. خاتم جميل غال .. ولم اضع الخاتم فى اصبعى واذهب الى هاشم .. ذهبت اليه بلا خاتم ، وقلت له وهو مسترخ فى الفراش بجانبى :

— هاشم .. بنت عمى عندها خاتم جنان .. وعائزه تبعمه  
بخمسين جنيه .. إيه رايك ..  
وقال فى بتناطة :  
— اشتريه ..  
قلت ؟

— ده حايمعبك قوى .. لقطه .. ولولا انها معذوره ..  
ما كانتش باعته ..  
ثم ملت عليه قبله من شفوية المنفرجتين نصف انفراجة ، وأنا  
اقول له :

— مرسى يا هاشم .. ربنا يخليك لى .. وتجيب لى ..  
ووضع هاشم يده فى جيبه قبل أن نخرج من الشقة ..  
واعطانى خمسة وعشرين جنيهها ، وقال لى :

— دول من تمن الخاتم .. ويكره اديكى الباقي ..  
ولا ادري لماذا حددت تمن الخاتم بخمسين جنيهها .. كنت  
استطيع أن احدد ثمنه بمائة وخمسين جنيهها .. ربما لأن ضميرى  
قد ويخنى وأنا ارتكبت جريمة نصب ، فأردت أن اخفف من أثر  
الجريمة على هاشم .. أشفقت عليه .. صنع على .. انه حبيبي  
.. حبيبي الذى أنصب عليه ..

ولم أر هاشم فى الغد ..  
ولكنى رأيته بعدها بأيام ..

ذهبت اليه وفى اصبعى الخاتم .. وقلت له فرحة :  
— أهو الخاتم .. حلو ؟ .. اديت لبنت عمى الخمسة  
وعشرين جنيه ، وخذته منها ، لغاية ما جيب لها الباقي ..  
واخذ هاشم الخاتم بين أصابعه ، وقلبه أمام عينيه ، ثم رده  
الى وشفتاه مقلوبتان فى قرقة ، وقال :

— ده يسوى أكثر من خمسين .. أكثر بكثير .. مش ممكن  
تكون بنت عبك مغفله للدرجة دى ..  
ثم نظر الى فى عينى .. نظرة غاضبة .. وتهتم :  
— مش معقول تكونى وصلتى للدرجة دى ! ..  
ثم سكت ..  
ولم أرت ..

شيء وقف فى حلقى يكاد يخنقنى .. لم استطع أن أتكلم  
الا بعد فترة طويلة .. وبعد أن التقط هاشم أحد كتبه الطبية  
واخذ يقرأ فيه كماداته عندما يكون غاضبا .. وقلت فى صوت  
مرتضى :

— عجبك الخاتم ؟ ..  
ورفع عينيه من فوق الكتاب ، ونظر الى نظرة ميتة ، ولم يرد  
على ..

وحببت الله انه لم يرد ..  
ولكنه لم يعطنى الخمسة والعشرين جنيهها الأخرى ..  
ولم أجرؤ على أن اطالبه بها ..  
كنت واثقة انه كشف سري .. وانه عرف أن الخاتم هدية  
من محمد .. ووجهه غارق فى سحابة قاتمة من الألم ..

ثم ..  
حملت ..

ولم أترق فى حياتى من نفسى قدر ما قرفت هذه المرة ..  
أحسست كأنى أفقت من ذهولى .. أحسست كأن كل مصيبتى قد  
تجمعت فى بطنى ، ولم تعد معدتى تستطيع أن تهضمها ..  
أحسست كأنى فضحت .. لم أفصح أمام الناس ولكنى فضحت  
أمام نفسى ..

وسألت نفسي : ابن من هذا الذي أحمله في بطني .. ابن هاشم .. أم ابن محمد .. وحاولت أن أتذكر اللحظات التي يمكن أن أكون قد حملت فيها ، لأحدد أبا الجنين .. ولكن تساؤلي لم يدم طويلا .. اني لست في حاجة الى هذا التساؤل ، فسواء كان ابن هاشم ، أو ابن محمد ، فهو ابن حرام .. ومصيره محتوم .. الاجساد ..

وحالتي النفسية تسوء أكثر ..

اكاد أختنق .. كأن يد الجنين تمتد في داخلي الى زوري لتخنقني ..

وحاولت أن أقنع نفسي بأن الأمر ليس جديدا على .. لاربح نفسي من العذاب .. فقد سبق أن احترت فحين يكون أبا ابنتي هدى عندها حملت فيها .. وكنت ايامها لرجلين ، زوجي عبد السلام وهاشم ، كما أنا اليوم لرجلين هاشم ومحمد .. ولكن .. هناك فرق .. فرق كبير .. فعندما كان أحد الرجلين زوجا لي ، كان هناك دائما أمل في أن يكون ابني ابن حلال .. كنت أستطيع أن أتعلق بهذا الأمل .. وأخفي وراءه خجلي من نفسي .. ولكي اليوم لا أجد أملا أتعلق به ، واضمحك به على نفسي .. ان ابني ابن حرام مائة في المائة .. بل ان هناك فرقا بين حملي هذه المرة ، والمرات التي حملت فيها عندما كنت لهاشم وحده .. كنت أستطيع عندما أحمل من هاشم أن أقنع نفسي بأن الجنين هو ابن الحب .. حتى لو كان هذا الكلام مجرد تبرير وهمي .. أما اليوم ، فلا أستطيع أن أقنع نفسي بأن الجنين الذي أحمله في بطني هو ابن الحب .. حب من ؟ حب هاشم .. أم حب محمد ؟ لا .. انه ليس ابن الحب .. انه ابن الجنون .. جنوني ..

واتصلت بهاشم في التليفون وطلبت منه أن يأتي لزيارتي

في الصباح ليشرب معي فنجان القهوة ، كما عودته أخيرا .. وعندما جاء لم أستطع أن أواجهه وأنا قوية كما تعودت كلما حملت منه .. لم أستطع أن اتدلل عليه بحملي .. وأطالبه بأن يدفع لي الثمن غاليا .. لم أستطع .. كنت ضعيفة .. والعذاب مكوم في بطني .. وقلت له وراسي مدلى على صدري :

— هاشم .. أنا حامل ..

ونظر لي هاشم كأنه يحاول أن يكتشف سري .. وتردد قليلا .. ثم وضع يده في جيبه وأخرج عشرين جنيها أجر الطبيب الذي يجهضني ، وألقى بها في حجري ، وهو يقول في جفاف :

— أنا مشر قتلت لك تاخدي بالك .. بالشكل ده حانتقطعي نفسك .. وكتر العمليات دي حياثر عليكى بعدين ، لما تكبرى .. وقلت في صوت خافت :

— انت مش شاطر الا في الكلام ..

وودعني وخرج ..

وخرجت وراءه الى لقاء محمد في شقته ..

وكنت أقوى مع محمد مني مع هاشم .. ربما تزودت بهذه القوة من هاشم ..

وتركت محمد يضمني الى صدره ، ويضغطني بذراعيه الشابتين ، ويقبلني في شفتي بشفتيه اللتهبتيين بحرارة حبه .. ثم فجأة ازحته عنى في حركة عصبية متمدة ، وابتعدت عنه .. وجلست على مقعد بعيد ..

وخطا ورائي ملهوبا .. كأنه ترك شفتيه بين شفتي ، ويجري وراءهما ..

ورفعت رأسي اليه وقلت في توصل حزين :

— سيبنى دلوقت يا محمد .. اعمل معروف ..

وقال وانفاسه الساخنة لا تزال تتردد فى صدره :

— مالك يا ميتو ..

ووضعت راسى بين كفى كئى على وشك البكاء .. واحاطنى  
محمد بذراعه ، وقال فى لهنة :

— حصل ايه ؟ ..

ورفعت ايه راسى ، وقلت وفى عيني نظرة الشهيدة ..

— مش عايزه اتقول لك يا محمد ..

قال فى حماس :

— ازاي ده .. لازم تقولىلى ..

وترددت قليلا ، ثم قلت :

— لا .. بلاش ..

وعاد يقول فى حدة :

— بلاش ازاي .. لازم اعرف كل حاجه ..

وجسيت نظرة الشهيدة فى عيني ، وقلت فى صوت مخنوق :

— انا حامل يا محمد ..

وقفز حاجباه من فوق عينييه وقال كانه ذعر :

— مش معقول .. وحانعمل ايه ؟

قلت :

— ما عرفش يا محمد .. انا خايفه من العملية .. خايفه ..

ورفع محمد ذراعه من فوق ظهري واحنى راسه وقال كانه

وقع فى مشكلة :

— انا مستعد أعمل اللي تقولى عليه ..

قلت :

— ما فيش حاجة تتعمل دلوقت الا العملية .. وانا خايفه

.. خايفه اموت فيها ..

ولم احاول مساعدتها ان افكر سيرة الزواج .. فقد تعلمت  
من هاشم الرد الطبيعى الذى يقوله الرجل فى مثل هذه الحالة  
اذا طالبت به بالزواج .. والرد هو ان الزواج كان يجب ان يتم قبل  
الحمل .. حتى لا يخرج الطفل الى الناس قبل موعده ..

وتركت محمد يشجعنى ويخفف عني الخوف الموهوم ..

وكان محمد هو الذى صطحبني الى الطبيب ، ولكنى لم اسمح  
له بان يصعد معى الى العيادة ، فركبة ينتظرني فى الشارع ..  
وأصر قبل ان اتركه ان يدفع لى أجر العملية .. وحاولت ان  
أرفض ، ولكنى لم احاول كثيرا ، فانا — كما قلت — ضعيفة  
امام النقود .. وصاح محمد فى حماس صادق :

— ازاي ده .. ده انا ابوه ..

ثم اعطاني عشرين جنيهها أخرى ..

ودخلت الى عيادة الطبيب .. نفس الطبيب الذى ذهبت  
اليه اول مرة .. وكانت هذه هى رابع مرة اذهب فيها اليه ..  
ولم تكن الممرضة والطبيب هما وحدهما اللذان يبدو عليهما القرف  
منى .. فانا ايضا كنت قرفانة من نفسى .. قرفا يكاد يقلب معدتى  
ويجهضني دون عملية ..

ورقدت على سرير العمليات بلا خوف .. ونفسي البسطة  
التي اجلس بها على مقعد الحلاق .. وفى راسى تصميم هائل  
على ان اتهى هذه الحياة التى تمزقني .. وغبت عن الوعي وفى  
راسى هذا التصميم ..

ونزلت الى الشارع بعد اربع ساعات .

ووجدت محمد فى انتظارى ووجهه غارق فى القلق ..

ولم امرح به كما فرحت بهاشم عندما وجدته فى انتظارى

عقب ان أجريت أول عملية اجهاض .. ان كل هذه المظاهر  
لم تعد جديدة على حتى أفرح بها ..

وفى رأسى التصميم الهائل ..

يجب ان أتزوج محمد ..

يجب أولا ان أياأس من هاشم ..

ان محمد هو أملى الوحيد ، اذا أردت ان أخرج من هذه  
الحياة المزعجة ، ويكون لى بيت واولاد .. وان أحيا حياة  
استطيع ان أبدو بها امام الناس .. انى لست أقل من ابنة  
خالتي ، ولا أقل من ابنة عمى ..

وبدأت أضغط على محمد ..

ولم يعد بيننا الا موضوع الزواج ..

وأصحت أهدده .. اذا لم تتزوجنى فساتركك ..  
وقلت له مرة :

— تعرف مين كلمنى النهارده فى التليفون ..

قال فى سذاجة :

— مين ؟ ..

قلت :

— هاشم ..

واحتن وجهه وقال فى حدة :

— وعايذ ايه منك ؟ ..

قلت فى لهجة جدية :

— عايذ يتجوزنى ..

قال :

— زى ما كان متجوزك اظن ؟ ..

قلت :

— لا .. عايذ يتجوزنى شرعى .. وفضل يتحایل على  
علشان احدث له ميعاد مع بابا .. كان عايذ يقابله بكره ..

قال وهو يتلوى فى عصبية :

— وقلتى له ايه ؟ ..

قلت :

— ما اديتوش كلمة ..

قال فى صخب :

— مش ممكن تتجوزيه يا ميتو .. ده راجل سافل .. ومش

حايقدر ينسى انك سبتيه .. وحايجنك ..

وقلت فى حزم :

— انا لازم اتجوز يا محمد .. ما اقدرش اعيش بالشكل

ده .. واذا ما اتجوزتكش انت ، حاضطر اتجوز هاشم ..

وقال فى توسل :

— انتى عارفه اننا حانتجوز .. بس استحملى لغاية ما أقول

لها ..

وقلت فى حزم أشد :

— ما اقدرش استحمل أكثر من كده .. انت ناسى اننا بقالنا

مع بعض سنتين ..

وقال وعينه معلقتان فى وجهى :

— ثقى بى .. صدقنى .. انتى عارفه ظروفى ولازم

تستحمليها معايا ..

ولم اكف عن الضغط عليه .. الضغط على عواطفه ..

بالتهديد .. وبإثارة غيرته .. ودموعى .. وبحاجته الى ..

وأخيرا قال لأمه ..

قال لها انه يريد أن يتزوجنى ..



وشقت أمه ثوبها كأنها ترى ابنها ينتحر أمام عينيها .. ولطمت  
أخوته البنات على خدودهن .. والتفت عائلته كلها تعارضه ..  
وكل أصدقائه أيضا ..

وكان على أن أواجه كل هؤلاء وحدي .. بدأت أعيش في  
حرب ..

وكنت قوية .. وكان سر قوتي أن هاشم لا يزال معي ..  
مهما حدث لي ، فاستطيع دائما أن أتزود منه بالقوة .. واستطيع  
دائما أن استند عليه ..

وكانت الطريقة التي خضت بها الحرب هي أن أخذت محيد  
من كل هؤلاء .. أخذته من بيته .. من أمه وأخوته .. وأخذته  
من أصدقائه .. أصبحت حياته كلها لي .. أصبح لا يستطيع  
أن يعيش إلا معي .. وإذا أرادته أمه ، فيجب أن توافق أولا على  
زواجنا ..

بل أنني بلغت أياها من القوة إلى حد أنني رفضت أن أتزوج  
محمد في السر .. رفضت مجرد الفكرة .. وصممت على  
ألا أتزوجه إلا بموافقة أهله .. وأن يقام لي فرح كبير .. وأرى  
بمعنى كل الناس الذين أطلقوا السنتهم عليّ خلال كل هذه السنين ،  
وهم ملتفون حولي يهتفونني بزواجي من أحد المرسلان الثلاثة  
الذين تحلم بهم بنات مصر .. وكنت في كل هذه الأحلام واثقة  
من وعده .. أنه يجنبي .. يموت في جبي .. وهو شاب نظيف  
لا يمكن أن يحنث بوعده ..

وباعد تهرغي لحمد من فترات لقائي مع هاشم .. ولكنني كنت  
أجد دائما طريقة لأحادثه كل يوم في التليفون مرتين على الأقل  
سواء جاء لي شرب قهوة الصباح عندي ، أو ذهبت إليه في  
شقتي ..

ولم أكن أقول لها شئنا عما يجري بيني وبين محمد ..  
كنت لا زلت أدعي أمامه بأنني ليس لي علاقة بأحد غيره .. وهو  
لم يكن يسألني عما أفعله .. وكنت لاحظ في صوته رنة اليأس  
منى .. ربما كان يعرف أكثر مما أظن .. ولكنه لم يكن يفصح  
لي عن شيء .. لم يكن يبدو منه إلا هذه الرنة في صوته ..  
رنة اليأس ..

وفي مرة قلت له في التليفون :  
— أنا حاسه أنك مخبي عنى حاجة يا هاشم .. فيه حاجة  
عايز تقولها وما بتقولهاش ..

قال وهو يضحك ضحكة مرة :  
— أصلى لو قلت لك ، حاتحلفى بحياة بنتك .. وأنا مش  
عايزك تحلفى بحياة بنتك كذب .. بتصعب على البنت ..  
وضحكت في مرارة أنا الأخرى ، ولم الح عليه في أن يقول  
لي ما يخبئه في صدره ..  
إلى أن كان يوم ..

وسافرت مع محمد إلى السويس لارى ابنتى .. وكان من  
عادتي بعد أن أرى ابنتى أن أقضى ليلتي مع محمد ، ثم أعود  
إلى بيتى في الصباح .. ولكننا في هذه المرة قررنا فجأة أن  
نسافر من السويس إلى الإسكندرية مباشرة .. وقضينا هناك  
ثلاثة أيام في فندق العجمي .. ثلاثة أيام هائلة .. ثم عدنا في  
مساء اليوم الثالث .. وطول طريق العودة وأنا أفكر في هاشم  
.. واحشنى .. واحشنى موت ..

وما كاد محمد يتركى في بيتى بعد أن سمحت له أن ينام في  
بيته .. حتى اتصلت بهاشم في التليفون ، وما كاد يسمع صوتي  
حتى فاجأني قائلا :

— مبروك .. سمعت انكم اتجوزتم ..

وغاب عنى ذكائى لحظة خاطفة . قلت فيها :

— ابدا .. لسه ..

ثم تنبعت الى انى انزلقت بلسانى وعدت اقول بسرعة :

— قصداك ايه .. اتجوزت مين .. علشان يعنى ما اتاخرت

اربعة ايام فى السويس .. وفيها ايه .. بنتى كانت عيانه وواخده

اجازه من المدرسه ، قعدت جنبها ..

وقال هاشم ، وصوته ينضح بالياس :

— كفايه كذب يا امينه .. تاكدي انى حا امرح يوم ما تتجوزى

اكثر من فرحتك .. ليه ما تخليش كل حاجه بينا تبقى حلوه

وصريحه .. ليه .. انتى ناسيه ان حينا ما كانتش شويه ..

ناسيه السنين دى كلها اللى عشناها مع بعض .. ليه نخسر

السنين دى كلها .. ونسودها بالكذب ..

وكانت مرة من المرات القلائل التى يتكلم فيها هاشم بكل هذا

الصدق .. وبكل هذا الاحساس .. وضعفت امام صدق

احساسه وقلت فى صوت هفتان :

— محمد فعلا عايز يتجوزنى .. بس لسه ما تجوزناش ..

**قال :**

— وكنتى مخبيه على ليه ..

**قلت :**

— كنت خايفه منك .. خايفه انك تعمل حاجه تطفش مى

محمد ، وانا ما صدقت لقيت عريس كويس ..

قال يقاطعنى :

— ما تقوليش كده .. كل اللى تقدموا لك كانوا كويسين ..

حسن كان كويس .. وفريد كان كويس ..

**قلت اقاطعه :**

— بس محمد احسن منهم .. واصغر منهم .. واصله هو

دلوقتى متأكد انى سبتك خلاص .. ولو عرف انى لسه بلكليك .

مش ممكن يتجوزنى ، خصوصا انه لسه بيشك فى ..

**قال :**

— اخس عليكى يا امينه .. بعد ده كله تفتكرى انى ممكن

اقف فى طريقك .. تاكدي ان كل اللى عايزاه منى حاعمله ..

مهما طلبتى ..

**قلت :**

— هازاك تفضل زى ما انت .. وتأكد لكل الناس اننا سبدا

بعض ..

قال فى استسلام لم اتعوده منه :

— حاضر ..

**قلت :**

— وكلها شهرين ولا تلاته واتجوز .. انا متأكد .. وفى

الفترة دى حابقى أشوفك فى السر .. بس مش كثير ..

وقال هاشم :

— حاضر .. بس لو ما اتجوزكيش حاتعملى ايه ..

**قلت :**

— انا متأكد انه حايتمجوزنى .. ولو ما اتجوزنيش بعد ده

كله حاتتحر .. واذا ما انتحرتنى خارج لك .. ومن فضلك

سيبنى متأكد من اللى باعمله .

**قال :**

— حاضر ..

**قلت :**

— فوت على بكره الصبح « اشرب معايا القهوة ..

وقال هاشم وهو يضحك ضحكة صغيرة :

— حاضرم

وهكذا .. انقلب الوضع مرة خرى .. اصبحت ابدو مع محمد فى العلن ، والقى هاشم فى الخفاء .. واخفى عن محمد علاقته بهاشم ، واقول لهاشم ما يجرى بينى وبين محمد .. انقل اليه الاحاديث التى نقابلها ، بل ابلغه بكل لقاء لنا .. الليلة سنذهب الى السينما .. الليلة كان لنا فى الشقة .

وكنيت اشعر بالجهد الكبير الذى يبذله هاشم ليخفى الام الغيرة التى تفك به وهو يسمع اخبارى مع محمد .. وكنيت اتلذذ باله .. كنت احس كانى احقنه بكل الامى التى اذاقها لى عندما كنت له وحده ..

ولم يكن هاشم يبدى تفاؤله من زواجى بـ محمد .. كان يبدو عليه كأنه واثق ان هذا الزواج لن يتم .. ولكنه لم يكن يفصح عن تشاؤمه صراحة .. ربما لأنه كان يخشى ان اتهمه بالغيرة من محمد ..

وفى هذه الايام بدأت اسمع اشاعات خافتة عن هاشم ونجوى ، قالت لى احدى صديقات امى وكنيت قد قابلتها صدفة ، ان هاشم يجرى هذه الايام وراء فتاة اسمها نجوى .. وانطلقت الغيرة فى صدرى .. كنت اجن كعادتى ، ولكنى كتمت غيرتى .. اتى على الاقل استطيع ان اسمح له بأن يتسلى مع فتاة اخرى ، الى ان يتم زواجى بـ محمد .. واتصلت به بالتليفون وقلت له وانا احاول كل جهدى ان ابدو هادئة :

— ايه حكايتك مع ست نجوى دى كمان ..

وقال كأنه يدافع عن نجوى لا عن نفسه :

— ما ميش حاجه .. ما فبش حكايه .. دى عيانه عندى باعالجها .. وأرجوكى .. انتى عارفة اد ايه انا بتضايق لما حد يتكلم عن عيان من بتوعى ..

قلت رانا احاول ان ابدو ساخرة :

— على كل حال انا اسمح لك تعرفها .. و ..

وقاطعنى هاشم ضاحكا :

— متشكر قوى ..

واستطردت فى لهجة جادة :

— بس على شرط ما تحبهاش .. انا ما باحبش محمد .. انا بس حاجوزه ..

وقال هاشم واثار ضحكته لا تزال بين شففيه :

— انتى جباره ..

ثم كان يوم آخر ..

يوم رأس السنة الميلادية ..

لقد قضيت ليلة رأس السنة مع محمد .. وحدنا .. فى الشقة .. وكانت أول ليلة لرأس السنة اقضيها مع رجل املكه .. فان هاشم كان من عادته أن يقيم حفلة فى بيته كل رأس سنة .. وخلال الأسبوع سنوات التى عشتها معه لم يدغنى الى هذه الحفلة أبدا .. كان يتركى وحدى .. لاسهر مع بعض اقاربى ، أو لابقى فى البيت .. وكنيت عادة اقضى الليلة باكية ، ثم ارفع عينى الباكيتين ، عندما تدق الساعة منتصف الليل ، وارسل لهاشم قبلة فى الهواء .. ثم تدهنى خيالات بأنه ربما كان فى هذه الساعة يرقص مع فتاة اخرى ، وربما قبلها عندما اطلق الاثوار .. فيشتد بكائى .. وانام فى بحر من دموعى ..

أما هذا العام .. فان لى رجلا املكه .. استطيع ان اعوض  
به كل السنين التى تركتى فيها هاشم وحدى .. وعندما دقت  
الساعة الثانية عشرة .. قبلت محمد .. وفى نفس الوقت أرسلت  
قبلتى المعتادة الى هاشم فى الهواء .. ثم انطلقنا انا ومحمد  
نقضى ليلة مجنونة حتى الفجر .

وبمجرد أن فتحت عيني فى الصباح .. لا .. فى الظهر  
.. اتصلت بهاشم فى التليفون .. وقلت له وأنا انتاعب واتعطى  
واحس انى اسعد امرأة فى العالم :  
— كل سنة .. وانت طيب ..

قال فى صوت قلق كأنه يتحفظ لنقاش طويل :

— وانت طيبه .. انبسطى امبارح ..

قلت فى صوت مسترخ احاول ان اكيد به :

— ما خرجتتش .. تعدت أنا ومحمد فى الشقة لوحدها لغاية  
خمسة الصبح .. ولتسه صاحبه من النوم دلوقت .. هلكتاه  
يا هاشم ..

وقال كأنه يكتم غيظه :

— بالهنا والشفا ..

قلت :

— وانت عملت ايه ؟

قال :

— ولا حاجة .. نمت الساعه واحده .

وفوجئت .. فقد تصورته طوال ليلة أمس وهو برقص ويضحك  
ويغازل النساء .. بل تصورته وقد صحب امرأة الى شقته فى  
آخر الليل ، وكانت هذه التصورات هى التى دفعتنى الى الاندفاع  
فى جنونى مع محمد .. وقلت وأنا اشعر بالخيبة ..

— ازاي ده .. نمت بدرى ليه ؟

قال :

— الجماعه اللى كنت عازمهم كانوا معزومين فى حفلات  
سانيه .. وأنا كنت تعبان ما رصتتش أروح معاهم .. نمت ..  
ومرت بيغنا فترة صمت .. كان كلا منا يتحفظ لشيء ينطلق  
من صدر الآخر .. ثم قال هاشم وهو يحاول ان يبدو هادئا  
جادا :

— اسمعى يا امينه .. ايه رايك نبتدى سنه نظيفه ؟

وقلت فى حدة :

— يعنى ايه ؟

قال :

— يعنى نبتدى تمودى نفسه على انك ما تعرفيش الا محمد  
.. تبقى لواحد بس .. وتبطل تشوفينى .. وتبطل تكلمينى فى  
التليفون .. ونقعد على كده سنه بحالها .. والسنه الجايه ..  
زى النهارده .. نكلمينى فى التليفون .. وباذن الله تقسوليلى خبر  
كويس ..

وصرخت فى وجهه وقد قفزت جالسة فى سريري :

— انا عارفه انت عايز ايه .. انت عايز تضسعننى قدام  
محمد .. وعارف انك لو سبتنى دلوقت حاضف قدامه .. الا ..  
مش حاسم لك تسيينى . مش ممكن تسيينى الا بعد ما اتجوزه  
.. ما سمحش لك ولا له انكم تلعبوا بى .. لازم واحد فيكم  
ينجوزنى قبل التانى ما يسيينى ..

وقال وهو يحاول ان يحتفظ بأعصابه هادئا :

— يا امينه اعطلى .. عمر الست اللى تعرف انين ما تبقى  
قويه .. الست القويه هى الست اللى عندها مبادئ قويه ..

وما غيش مبادئ قوية تقول ان السبت تعرف اثنين فى وقت واحد ..

وقلت ، وانا اصرخ :

— ده كلام فاضى .. المبادئ ما بقتش تنفع اليومين دول ..  
انا خلاص كبيرت .. وبقيت واحده عليه .. لو كانت المبادئ  
بتنفع كنت اتجوزتنى لما كنت كويسه ..  
وقال :

— يا امينه انتى عارمه اننا لازم نسيب بعض .. وانا جربنا  
ميت طريقه علشان نسيب بعض .. ما فضلش الا اننا نقطع  
علاقتنا .. مهما تعبنا ومهما تعذبنا .. لازم نقطع علاقتنا ..  
وقلت سارخة :

— مش دلوقتى .. ما تفكرش انى عايزه افضل معاك ..  
انها مش دلوقت ..  
وقال فى حزم :

— انا قررت خلاص يا امينه .. وانا حاسيبك وانا ضميرى  
مستريح .. انا سابك لك فلوس تكتيكى سنتين .. وسابك لك  
حاجات تقدرى تبغى فيها وتعيشى بثمانى خمس سنين .. وسابك  
مع شاب كويس وبحبك وتقدرى تعتمدى عليه ..  
وصرخت :

— انت ما عندكش ضمير .. ومش من حقاك انك تسيبنى ..  
مش من حقاك ..

وقاطعنى قائلا كأنه يطلق على صدرى رصاصة :

— آسف .. انا قررت ..

وعدت اصرخ :

— قررت يعنى ايه .. انت فاكرك انك تقدر تستغنى عنى ..

انت دلوقتى باه عندك اربعين سنه ، ومش ممكن تلاقى واحده  
زى ، ولا واحده تحبك زى ما حبيتك ..

وسكت برهة كأنه بيتلع اله ، ثم قال فى هدوء مفتعل :

— مع السلامة يا امينه .. ربنا معاكى .

والقى سماعة التليفون فى وجهى ..

وجننت ..

وعدت بيد ترتعش بجنونى ادير رقم تليفونه .. وما كاد

يسمع صوتى حتى قال ثائرا :

— انا قلت لك ما تضربيش تليفون الا السنه الجايه ..

ثم القى السماعة فى وجهى ..

ورفعها ..

ابقاها مرفوعة ..

مرت ساعتان والسماعة مرفوعة .. وانا ادير رقمه كل

دقيقة ، منتظرة ان يعيد السماعة الى مكانها .. ومطمئنة الى ان

محمد لن يلحظ ان تليفونى مشغول ، لانه نائم فى بيته ..

واعاد سماعة التليفون الى مكانها .. بعد ساعتين ..

وما كاد يعيدها حتى كنت معه عبر الاسلاك .. وقلت بمجرد ان

رفع السماعة :

— ما تقفلش السكه من فضلك .. انا ما بتدلحش معاك ..

انا عايزاك فى حاجه مهمه ..

وتردد قليلا ، ثم قال فى صوت جاف :

— عايزه ايه ؟ ؟

قلت :

— عايزه فلوس ..

وكنت خلال هاتين الساعتين قد فكرت فعلا فى ان آخذ من

هاشم نقودا قبل أن يتركنى .. آخذ منه ثلاثمائة جنيه على الأقل ،  
حتى أصل بالمبلغ الذى أدخره الى الف جنيه .. ولكن لم تكن  
النقود فى حد ذاتها هى كل شيء ، ولكنها كانت حجة أستطيع  
بها أن أفتح هاشم بلفاى ، ولعلنى بعد أن القاه أستطيع أن أفتحه  
بأن يبقى لى ..

ولكن هاشم أجابنى فى وقاحة لم أعودها منه :  
— أنا مش حادىكى فلوس بعد كده . انتى دلوقتى معاكى  
راجل بقدر يدبرف عليكى .. روحى اطلبى منه ..  
وصرخت فى حدة :  
— يعنى انت زى بقية الرجالة .. ما تدفعمش الا لما تاخذ  
تصاد اللى بتدفعه .

وقال وهو يصرخ فى وجهى كأنه يشتبنى :  
— لا .. أنا احسن من بقية الرجالة .. وبكره تعرفى ..  
ثم التى سماعة التليفون فى وجهى ..  
ولم أياأس ..

هل فقدت كرامتى الى هذا الحد ؟

لم أكن أفكر فى كرامتى .. لا اعتقد أن كرامتى كانت مشكلة  
بالنسبة لى أبدا .. ولكنى كنت أشعر بأنى أفقد قوتى .. قوتى  
على هاشم والتالى قوتى على محمد .. وكنت أحاول أن أسترد  
قوتى ..

وبقيت أحاول أن اتصل بهاشم بالتليفون خمسة أيام .. كل  
يوم أدير رقمة أكثر من عشرين مرة .. وهو يلقي السماعة فى  
وجهى ، أو يرغم السماعة من مكانها ، أو لا أجده .. ولكنى  
لم أحاول فى هذه الأيام أن أطارد بهاشم كما كانت عادتى .  
فقد بدأت أخاف .. أخاف من محمد .. أخاف أن يضبطنى وأنا

أطارد هاشم فبتركنى هو الآخر .. وكانت هذه هى أول مرة أخاف  
فيها من محمد الى هذا الحد .. لقد بدأت فعلا أفقد قوتى ..  
وبدأت مظاهر الضعف تصبغ تصرفاتى .. وأول مظاهر الضعف .  
هى الخوف .. سواء خفت من هاشم أو من محمد ..  
اكتفيت بأن الاحقه بالتليفون ..

وكنت أعتد على أن هاشم مهما كان مصرا على هجرى ،  
ومهما كان قويا فى إصراره ، فلا بد أن تمر به لحظة ضعف يستريح  
فيها من هذا الإصرار .. لحظة يكون فيها زهقانا ، أو يائسا ،  
أو سكرانا .. ولو صادفته فى هذه اللحظة فانى أستطيع أن  
أستغل ضعفه ..  
وجاءت اللحظة ..

كنت سهرانة مع محمد ، وأعادنى فى الساعة الواحدة بعد  
منتصف الليل .. وما كدت أدخل بيتى حتى رفعت سماعة التليفون  
وأدرت رقم هاشم ..  
ورد على ..

وسمعت فى صوته رنة الضعف ، والاستسلام .. كأنه  
كان يبحث عن شخص يرفه عنه .. ولم يلق السماعة عندما سمع  
صوتى .. بل ظل ممسكا بها دون أن يتكلم ..

وقلت فى صوت رقيق كأنى أدلك به أعصابه :

— مش حرام عليك يا هاشم ، تجتنى لغاية ما ترد عنى ..

وقال وهو ينتهد :

— كان لازم أعمل كده يا أمينة ..

قلت برقة :

— بس مش بالشكل ده يا هاشم .. الناس لازم تتفاهم

قبل ما تسبب بعض ..

قال :

— أنا يئست من التفاهم معاكى ..

قلت :

— بس فيه حاجات كتير لازم اقولها لك .. ده عمر طويل

يا هاشم .. مش سنه ولا سنتين ..

قال فى استسلام :

— هايزه تقولى ايه ؟

قلت :

— تقدر تفوت على ؟

وتردد قليلا ثم قال :

— امتى ؟

قلت :

— دلوقتى ..

وتردد أيضا ، ثم قال كأنه فى حاجة الى مفامرة تريح

أعصابه ؟

— طيب .. بعد نص ساعه حاكون عندك ..

قلت فى فرح :

— مستيتاك .. ما تضربش الجرس .. أنا حافتك اك

على طول ..

وأعدت سماعة التليفون .. وقمت وقلبي يخفق بالفرحة ..

فرحة الانتصار .. ودخلت الحمام ، واستحممت بهاء ناطر ..

ثم ارتديت قميص نوم من الحرير .. وسرحت شعري وتركت

سائلًا على كتفى .. وتعطرت بعطري الذى يحبه هاشم وانتظرته

وراء الباب .. وما كدت أسمع صوت أقدامه حتى فتحت له ..

ولم أضئ النور .. وسحبته من يده الى غرفة النوم .. وأنا  
أهمس :

— ما تعملش صوت .. احسن البت الخدامة تصحى ..

ولم يكن هذا صحيحا .. فخادمتى كانت مستيقظة ولكنى  
نبهت عليها أن تدخل حجرتها ولا تخرج منها ..

ورقدت على فراشى .. وقميص النوم يكشف عن لحيى ..  
وشعري ملقى فوق الوسادة .. وعطري ينطلق ويشد هاشم من  
أنفه الكبير ..

وجلس هاشم على حافة الفراش ، ومد يده والتقط ولاعة  
سجائر ذهبية موضوعة فوق الكومدينو .. وكانت هدية من محمد  
ومفتوش عليها الحرفين الاولين من اسمى واسمه وقال وهو  
يعبث بها :

— دى هديه من محمد ؟

— آ .. حلوه ؟ ..

قال وهو يشمل الولاة كأنه يحرقنى بها :

— انتى عبيطه .. بتجبرى وراء الحاجات الصغيرة ..

قلت كاتى أغبطه :

— د بيحب لى هدايا كتير قوى ..

قال :

— وماتتجوزوا امتى ..

قلت :

— لما توافق امه ..

قال :

— واذا ما وافقتش امه ..

قلت :

— برضه حانتجوز ..

قال :

— طبيب اعملى حسابك انها مش حاتوافق ..

قلت :

— ليه ؟

قال وهو يهز كتفيه :

— لانها مش ممكن توافق ..

قلت :

— لا .. حاتوافق .. انت ما تعرفش اد ايه هي بتحب ابنها

.. واد ايه ابنها بيحبني ..

وابتسم هاشم ابتسامة ساخرة ، وقال :

— ابنها بيحبك صحيح ، بس ما اظننش انه حا يتجوزك ..

قلت وانا انظر اليه كاني اتحفز للدفاع عن نفسي :

— ما يتجوزنيش ليه ؟

قال :

— لان مافيش راجل عاقل يتجوز بالطريقه دي ..

قلت :

— امال الراجل العاقل يتجوز ازاي ؟ ..

قال :

— يتجوز البنت اللي تقنعه بانها عاقله .. وانتى اقنعتى محمد

بانك مجنونه ..

قلت في حدة :

— محمد فاهمني كويس .. فاهم انى واحده صريحه ،

مش مجنونه . انا ما بعملش اكثر من اللي بتعمله البنات التانيه

.. بس ما خبيش .. صريحه .. ما بضحكش عليه وافهمه غير  
حقيقتى ..

قال وفي عينيه اشفاق :

— ما تقفيش لوحذك يا امينه في الموضوع ده .. ما تكرريش  
غلطك معايا ..

قلت في زهق :

— يعنى عايز اعمل ايه ؟

قال :

— انا من راىي تصالحى جوز مايتك وتروحي تقعدى في بيته  
.. علشان محمد يحس انك مش سايبه .. وان لك عيله ..

قلت وزهقي يزاد :

— يا حفيظ يا رب ، ده انا اتخفق لو تقعدت مع جوز امي  
يوم واحد .. وبلاش تكلمنى في الموضوع د ، الانى مش حاسم  
كلامك ..

قال :

— لك حق ..

ومرت بيننا فترة صمت طويلة ، وهاشم ينظر في وجهي  
كانه يبحث فيه عن فتاة كان يعرفها ، ثم قال :

— رانى مبسوطه دلوقتي ؟

قلت :

— مبسوطه لاني قدرت اخليك تيجي .. مش انا شاطره ..

وعاد هاشم يبتسم ابتسامته الساخرة وقال :

— وعائزه تقوليلي ايه ؟

قلت وانا انظر في عينيه المنتفختين :

— عايزاك تبوسنى ..



ونظر الى هاشم طويلا ، ثم قام وهو يتنهد كأنه يؤدى واجبا  
ثقيلًا ، وخلع سترته ، ثم عاد الى ، وأخذنى بين ذراعيه وقبلنى ..  
ولاول مرة أحس أن شفتيه تاهتا عن شفتى ..

كأنه لا يعرف موضع قبلتى ..

القبلة التى عودنى عليها كل هذه السنين الطويلة ..  
وأحسست أنه يضغط على أعصابه ، ليفتعل الحماس ..  
وبدأت أنا الأخرى افتعل ..

افتعل الحماس .. وافتعل التفانى .. وافتعل آهاتى ..  
لعلى أرضيه .. لعلى أعيدته كما كان .. ولكنه ليس كمحمد الذى  
كنت فى أحضانه منذ أقل من ساعتين .. أنه بارد .. لا يكلف  
نفسه أن يهتم بحاجتى اليه .. أنه يأخذنى فى زهق ..  
وقام وارتردى ثيابه بسرعة ..

وعاد يجلس على حافة السرير ، وقال وهو ينظر الى فى  
شفقة :

— احنا اتغيرنا يا أمينه .. ما بقيناش زى الاول ..  
قلت :

— أنا ما تغيرتش .. وانت عارف الحاجات دى ما تهميش ..  
قال :

— أنا عايز أكلبك بصراحه يا أمينه .. انتى عارفه أنا جيت  
لك الليلة دى ليه .. لآنك قبل ما تكلمنى فى التليفون .. كنت قاعد  
أكلم نفسى ، وكان متياللى أنى ظلمتك .. كنت باأقول لنفسى انى  
ما كانش لازم أسيبك وجيت مخصوص علشان أؤكد انى ما غلطتش  
.. أنك انتى الى غلطتى .. انتى مش كويسه يا أمينه ..  
ما تقدريش تبقى كويسه .. ما تقدريش تصونى كرامة اى راجل

.. انتى كنت متجوزه وبتخونى جوزك معايا .. وبعدين اتخطبنى  
واحد وخفتيه برضه .. وبعدين اتجوزتى واحد ثالث وخفتيه ..  
وكنتى بتحببى وتخونينى .. ودلوقتى بتحبى واحد تانى وبتخونيه  
برضه .. يبقى مش معقول الـ ..  
وقاطعته :

— أنا كنت باعمل كل د علشان خاطرك .. كل اللى عملته  
ده كان بسببك ..  
قال فى هدوء :

— مش علشان خاطرى يا أمينه .. انت عمرك ما عملتى  
علشان خاطر حد ..  
قلت وأنا أصرخ :

— انت سافل .. أنا ضحيت بكل حياتى علشان خاطرك ..  
ولو كنت اتجوزتى كان زمانى بقيت كويسه ..  
قال فى صوت بارد :

— لو كان ممكن تبقى كويسه كنت اتجوزتك ..  
قلت وأنا أنهار ضعفا :

— أنا مش عايزه اتجوزك دلوقتى يا هاشم .. عارفه ان  
مش ممكن تتجوزتى .. بس خليك معايا لغاية ما اتجوز محمد ..  
وابتسم ابتسامة لا معنى لها ، ثم قام واقفا :  
— تاكدى لو كان فيه حاجه ممكن أعملها ، كنت عملتها ..  
وخرج ..

وجريت وراءه الى باب الشقة ، وتعلقت فى رقبتيه وقبلته  
.. وأزاحنى عن صدره فى رفق .. ونظر فى وجهى ، ثم عاد  
واحترضنى ، وضمنى الى قلبه فى هدوء ، وترك خده فوق خدى  
فترة ، ثم قبلنى فوق جبينى .. وأبعدنى عنه ..

وقلت له قبل أن أغلق الباب وراءه :

— هاشم .. بكره حا اضرب لك تليفون .. وترد على ..

قال :

— بادن الله ..

وخرج ..

واحسست أنه خرج من حياتي الى الأبد .. وحاولت أن أبعد هذا الاحساس .. حاولت أن أثق بقوتي على الاحتفاظ به . واستعاضته كلما هم أن يتركني .. ولكن موجة من الضعف كانت تزحف على ..

انني ضعيفة ..

والقيت نفسي في فراشي وبكيت ..

## — V —

بدا هاشم يتبع طريقة جديدة ليتخلص مني ..

لم يعد يلقي في وجهي بسماعة التليفون . لم يعد يهرب .. كان يرد على في التليفون بكلمات رقيقة ويضحك ويدلني كأنه لم يحدث شيء بيننا أغضبه مني .. وكنت أروي له أخباري مع محمد . فيسمعها باهتمام الصديق الوفي ، ويحل لي مشاكل ، وينصحنى كأنه زملا صديق وني .. ثم .. عندما أطلب لقاءه يقبل بسرعة .. ويحدد لي موعد اللقاء .. ثم .. قبل الموعد بساعة أو ساعتين يعتذر .. ويعتذر في رقة :

— آسف يا أمينة .. جاءت لي حاجة مستعجلة .. معلش

.. مره ثانية .. اضربيلي تليفون بكره ..

وتكرر اعتذاره ثلاث أو أربع مرات .. وبدأت أكتشف خطته

.. وقلت له في التليفون :

— أنا عارفة يا هاشم . انت مش عايز تشوفني ..

رد في حرارة كاذبة :

— أبدا يا أمينة .. وحياتك مشغول .

وقلت في مسكنة :

— طيب فوت على دلوقت ، وانت رايع للعيان بتاعك ..

دقيقه واحده بس ..

وقال بنفس الحرارة الكاذبة :

— مش ممكن يا أمينة .. انتي عارفة ..

وقلت وأنا أكاد أبكي :

— اللي تشوفه يا هاشم ..

وازداد ضعفا يوما بعد يوم .. أحس اني فقدت تأثيري على

هاشم .. وأحس بالخوف من أن أفقد تأثيري على محمد أيضا ..

وكنت في هذه الأثناء أستعمل كل ما بقي في من قوة للضغط

على محمد حتى يتزوجني .. ومحمد يتعامل بمختلف الأعذار ..

ويؤكد لي أن أمه على وشك الاقتناع .. وأنا أحتار في تصديقه ..

ولكنني مضطرة أن أصدق .. ليس لي طريق آخر إلا أن أصدق ..

وفي يوم .. ادرت رقم تليفون هاشم فسمعت الجرس يرن ،

ثم لم يرد أحد .. وكررت الاتصال به .. والجرس يرن .. ولا أحد

يرد .. وفي اليوم التالي ، الجرس يرن ولا يرد أحد ..

لقد غير رقم تليفونه الخصوصي .. الرقم السري ..

السافل .

وحاولت الاتصال به في تليفون العيادة العام ، ولكن التومرجي

هو الذي يرد دائما ، أو الممرضة اليونانية ، وكلاهما يعرفان

صوتي .. وكل منهما يعتذر لى بأن الدكتور مشغول .. كأنهما تلقيا أمرا بطردى كلها سمعا صوتى ..

وحاولت الاتصال به فى بيته .. فى كل ساعة يخيل الى انه فى بيته .. حتى فى الساعة الثانية صباحا .. فى الخامسة صباحا .. ولكنه لا يرد أبدا .. لم يعد يضع التليفون بجانب فراشه كما تعود .. ان التليفون بجانب فراشى أخفه .. هى التى ترد دائما .. وأعيد السماعه بمجرد أن أسمع صوتها .. انى لا زلت أكرهها .. أكرهها .. وبدأ عذاب كبير يزحف على .. صحيح أنه مضى على أكثر من شهر لم ألق فيه بهاشم .. ولكن صوته الذى كنت أسمع فى التليفون كان يحتفظ لى بالأمل فى انه لا يزال بجانبى .. لا يزال لى .. بل انى كنت قد بدأت أفكر جديا فى أن أقطع علاقتى بمحمد ، وأعود لهاشم بكلى .. بهاشم يريحنى أكثر من محمد .. وأشعر بجانبه بأطمئنان أكبر .. وهو لا يكذب على ، وقد بدأت أشك فى أن محمد يكذب على .. بفرر بى .. يشدنى وراءه بومد لن يحققه ..

ولكن هاشم حرمنى من صوته ..

حتى صوته حرمنى منه ..

حرمنى من مجرد الأمل ..

وعندما أحسست أنى فقدته ، عادت مسامى كلها تفتتح له .. عادت أعصابى كلها تناديه .. وأشعر بالاختناق .. وأتلوى فى فراشى كائى راقدة فوق جمر النار ..

انى أنعذب ..

أختنق ..

هل يمكن أن يكون هذا هو الحب ؟

لا .. لا يمكن .. انه ليس الحب .. لا يمكن أن يكون هذا !

حبا .. لا يمكن أن أكون حتى اليوم أحب هاشم الى حد أن أنعذب كل هذا العذاب .. بعد كل ما فعله بى .. وبعد كل ما فعلته به .. حتى لو كنت قد أحبته يوما ما فان ما حدث بيننا كان كفيلا بأن يذيب هذا الحب .. يمزقه .. يقتله ..

لا ليس الحب ، انه التعود ..

انى مرتبطة به بحكم العادة .. عطفى تعود عليه .. جسدى تعود عليه .. أسلوب حياتى كلها يعتمد على التعود عليه ..

والتعود أقوى من الإرادة ..

ان الذى يتعود على الحشيش يعلم انه يزهد أنفاسه .. والذى يتعود على الكونيك يعلم أن الكونيك يكوى أمعاءه .. ورغم ذلك لا يستطيع أن يستغنى عن الحشيش أو عن الكونيك .. لأن العادة أقوى من الإرادة ..

واذا كان تعودى على هاشم يسمى حبا ، فانى أحبه كما يحب الحشاش الحشيش .. وكما يحب السكير الكونيك ..

واكتشفت أن محمد لم يستطع أن يشفىنى من هذه العادة .. لم يستطع أن يشفىنى من هاشم .. لقد خيل الى بوما ما انى شفىنى منه .. وأن محمد شفىنى .. ولكن الآن .. وبعد أن تركنى هاشم فعلا .. عا دسلطان التعود يسيطر على بكل جبروته .. بكل حديثه .. أصبحت أركب بجانب محمد فى سيارته وعيناي زائفتان فى الطريق تبحثان عن هاشم ، لعلنى أتزود منه بنظرة .. وأجلس مع محمد وعطفى سارح وراء هاشم .. وأنام فى أحضانها فأحتاج لكل ارادتى حتى أنسى هاشم وأنفرغ له ، ولم أكن دائما أستطيع .. ثم لا يكاد محمد يتركنى وحدى حتى يهجم على ربح هاشم بكل قوته .. وأحس بصوته يملأ أذنى .. وأحس برائحته

تملا أنفى ، وأحس بلهساته فوق كل قطعة من جسدى .. اتلوى ..  
 أجرى الى محمد لعل أنسى فيه هاشم ..  
 ولم اكف عن محاولتى لاستعادة هاشم ..  
 أرسلت له خطابا ، لا زلت حتى اليوم أذكر كلماته .. قلت  
 له فيه :

« هاشم حبيبى .. »

« أنت تعلم أنى أحبك .. ولا زلت أحبك .. أكثر من روحى ..  
 أكثر من ابنتى .. أكثر من أى شيء فى الدنيا .. وقد ضحيت  
 بكل شيء فى الدنيا لانى أحبيتك .. ضحيت بابنتى وبعائلتى ،  
 وبمستقبلى ، وبالناس .. ثم أخطأت .. أنى اعترف لك أنى  
 أخطأت .. ولكن كن رحيما وتذكر أنك أنت الذى دفعتنى الى الخطأ  
 .. وقد صفحت عما فعلته بى .. فكن كبيرا واصفح عما فعلته  
 بك .. وأعدك بمجرد عودتى .. عودتى اليك .. أنى سأكفر  
 عن خطئى .. ستجدنى فتاة أخرى .. فتاة تحبك أكثر .. وتحرم  
 عليك أكثر .. والمثل يقول : الطبق المشروخ يعيش أكثر .. وقد  
 شرح حبا ، ولكنه سيعيش .. سيعيش أكثر .. أرجوك ..  
 دمنى أعود اليك » .

وأرسلت له الخطاب بالبريد المسجل على عنوان العيادة ..

ولكن هاشم لم يرد على ..

السنابل ..

الجرم ..

وأشدد عذابى بعد أن أرسلت له هذا الخطاب .. أحسست

أنه امتص كرامتى .. أنه أذلنى أكثر مما ذللت له .. عذاب تنطلق

فيه نار الفيظ .. الفيظ من السنابل الأكبر .. دكتور السفالة .

ولكن ..



كان لا يزال في بقية من كرامة يجب أن أبذلها .. قبل أن  
أستسلم لليأس ..

انصلت بصديقة رؤوف ، الذي التقيت مع هاشم في شفته  
أكثر من مرة .. وبكيت له في التليفون .. بكيت بحرقة .. كان  
يكفى أن أسمع صوتا قريبا من صوت هاشم ، لاستريح من كل  
دموعي .. وقلت له أن هاشم تركنى لأنى عرفت شيئا يريد أن  
يقترجنى .. وأنى مستعدة أن أترك هذا الشاب ، بل قلت له انى  
تركته فعلا .. وأنى الآن أريد هاشم .. يجب أن يعود الى ..  
انه مسئول عني .. ليس من حقه أن يتركنى في الحياة وحدى ..  
وأشفق رؤوف على ..

كاذبي .. انى استطيع دائما عندما أروى قصتى أن  
أثير شفقة الناس على ..

ووعدتني أن يتصل بهاشم ، ويرد على ..

وغاب ثلاثة أيام ، ولم يرد على .. فعدت واتصلت به مرة  
ثانية ، وقال لى بصوت حزين :

— آسف يا أمينة هانم .. هاشم مصمم على موقفه ..  
والحقيقة انه أقنعنى بأن ده أحسن لك ..

وصرخت :

— أحسن لى أنه يقعد معايا سبع سنين ، ويعدين يرمينى  
زى الكلب ..

وقال رؤوف في حنان :

— انتى عارفة يا أمينة هانم أن هاشم مش حايتجوز .. وانتى  
الستعملينه كتير من غير فايدة .. يبقى أحسن انكم تنتهوا من  
الحكاية دى ..

وقلت وأنا أشفق بالبكاء :

— طيب بن فضلك ادبنى نمرة تليفونه الخصوصية ..

وتردد رؤوف ثم قال :

— آسف .. ما أعرفهاش ..

ثم تردد مرة أخرى واستطرد قائلا :

— الحقيقة انى أعرفها بس ما أقدرش أقول لك عليها ..  
لازم استافنه الأول ..

قلت :

— بلاش .. مش عايزاها ..

والقيت سماعة التليفون ..

وعدت الى العذاب ..

عذاب قلبى المشروخ .. وعقلى المشروخ .. وجسدى  
المشروخ .. والشروخ ينزف منها الألم .. وتنزف منها إرادتى ..  
قوتى .. وتنزف منها كرامتى ..

ومضت أربعة شهور لم أستطع خلالها أن اتصل بهاشم في  
التليفون .. ولم أراه .. ولا حتى صفحة .. لم أكن أعتقد أن  
القاهرة واسعة الى هذا الحد .. واسعة الى حد أن يتوه فيها  
هاشم منى .. ثم رأيته مرة واحدة في سيارته .. في طريق  
مصر الجديدة .. وبجانبه فتاة .. لأبد أنها نجوى .. ان الأوصاف  
التي سمعتها عنها تنطبق على الفتاة التي رأيته .. انها جميلة  
.. ولكنى أجمل منها .. هل أنا أجمل منها حقيقة .. لا أدري ..  
لا أدري .. فأتى فقدت الثقة في نفسى .. في جمالى .. وعندما  
رأيتها انشقت قلبى .. أحسست بالسنة النار تنطلق فجأة في  
كياتى .. وقضيت يومين أبكى .. وأشرد .. وسكن من الألم  
يمزقنى .. وتمنيت يوما ألا أرى هاشم مرة ثانية .. لا أريد أن  
أراه .. لا أريد .. حتى لا يثير في كل هذا العذاب ..

وكان يجب أن أياس :

أياس من هاشم :

ولكى أياس ، يجب أن أكرمه .. أكرمه بكل طاقتى ..  
وبدأت أفتح نفسى بكراهية .. كرهت كل يوم من أيامى معه ..  
ونسبت إليه كل مصيبة حلت بى .. هو الذى ضيع عمرى ..  
هو الذى تركت من أجله زوجى .. ثم خطيبي .. ثم زوجى  
الثانى .. هو الذى ضيع منى ابنتى .. هو الذى عرضنى لكل  
هؤلاء الرجال الذين مروا فى حياتى وعبروا على جسدى .. هو  
الذى أفقدنى مائلتى .. سمعتى .. الناس .. أفقدنى كل شيء  
.. ولم يفقد هو شيئا .. لم يفقد حقيقة واحدة من عمره ..  
عجزت من أن أفقده شيئا .. لقد تركته فى آخر يوم من أيامه ،  
كما كان فى أول يوم التقيت به .. هو هو .. بل كبير .. كبير  
فى عين الناس كطبيب ، وأصبح مشهورا أكثر ، ويكسب أكثر ..  
أنا وحدى التى تغيرت .. أنا التى دفعت كل الثمن .. انى أكرمه  
.. أكرمه .. وتستبد بى الكراهية الى حد أن أتمنى موته ..  
وتتوالى أمام عيني صور للانتقام منه ..

ولكنى عاجزة عن الانتقام .. فأرفع رأسى الى السماء وأصرخ  
من كل قلبى : « يارب انتقم لى منه » .. ثم أضع محمد ليتحدث  
منه حتى يملأ أذنى بشتيته ، ويصوره لى وحشا أدميا يلكل  
البنات .. لعل بذلك أفتح بكراهيتى له ..

ولكنى اكتشفت أن الكراهية كالحب .. كلاهما كثرة من ذرى  
العاطفة .. كلاهما يضعك دائما أمام الشخص الآخر .. يذكرك  
به .. ويمسك بذكراه .. واكتشفت انى أكره هاشم لأنى لازلت  
أحبه .. وكلما ازدت كراهية له ، ازدت حبا ..

لا .. لن أكرمه :

سأنساه ..

وبدأت أحبس لسانى عن ذكر اسمه .. وأتجاهل الأشياء  
التي تملأ بينى وتذكرنى به .. أنظر إليها بعينين مبتتين كأنى  
أنظر الى أشياء ليس لها حقيقة فى عمرى .. وبدأت أبتعد عن  
كل صديقة من صديقاتى يمكن أن تحدثنى عن هاشم .. بل كنت  
أبتعد إلا أمر فى ميدان سليمان باشا حتى لا تقع عينى على  
الياقطة التى تحمل اسمه والمعلقة فوق باب العمارة .. وحتى  
لا تقع عينى على سيارته .. وبدأت أيضا أتجاهل عواطفى  
التي تثور فى صدري ، ولا أحاول أن أناقشها .. كان هذه  
العواطف عواطف فتاة أخرى ليس لى شأن بها .

انى فى معركة .. معركة مع نفسى .. معركة أشق ما فيها  
هى الأشياء الصغيرة .. أن هاشم ليس شبيها واحدا .. أنه  
ملايين الأشياء الصغيرة .. أشياء كنت أعتقد انى نسيتها من  
زمان ، ولكنها تنفخ الآن الى خاطرى واحدة بعد الأخرى .. تنفخ  
ساخنة حية .. كلمة سبق أن قالها لى .. بيجامته المخططة ..  
الطريقة التى يمشط بها شعره .. دخان سيجارته وهو ينطلق  
من أنفه الكبير .. أصابعه الرفيعة الطويلة .. الخاتم الأخضر  
الذى يضعه فى أصبع من يده اليمين .. ضحكته .. أسنانه ..  
الطريقة التى يسخن بها الطعام .. و .. و .. ذكريات لا تنتهى  
.. ملايين الأشياء الصغيرة ، كان على أن أحاربها ، حتى أقتلها  
.. فلا تعود تنفخ على هبشتى ..

وكان على حتى أتخلص من تعودى على هاشم ، أن أتعود  
على محمد وحده ..

انى لم أتعود بعد على محمد وحده .. لم أكن له وحده أبدا  
.. لكن هاشم دائما معه .. بل أن هاشم كان مع كل رجل عرفته

.. ليس في حياتي رجل تعودت عليه وحده الا هاشم : عندما كنت مخلصه لى فى السنوات الأولى من معرفتى به .. وبدأت أرسم حياتى لآكون لآحمد وحده ، وأتعود على هذه الحياة ..

ولكن محمد تغير ..

ربما لأنه أحس بأنى أزدبت حاجة اليه .. أحس بضغنى بعد أن تركت هاشم .. وقد كنت أحاول جهدى أن أخفى ازدياد حاجتى اليه .. أخفى ضغنى .. كنت أحاول أن أظل محتفظة بقدرتى على السيطرة عليه .. ولكنى يوما بعد يوم ، بدأت أكتشف أن محمد ليس ساذجا كما كنت اعتقد .. وليس ضعيفا .. وليس مهذبا ولا مؤدبا .. أنه سخي .. أحيانا يصل فى سخافته الى حد لا يطاق .. سخافة الشباب المغرور .. وأنا التى ملأته بالمغرور .. لقد أعطيته أكثر مما كان ينتظر ، فآغر .. وبدأ فى نوبات غروره يحدثنى من زواجنا بلهجة جديدة .. وبدأ يحاسبنى من جديد على علاقتى بهاشم .. ثم انطلق مرة أخرى يعلن لى أنه يعلم انى لم أكن متزوجة بهاشم .. أعلنها كأنه كان يخترنها فى صدره مدة طويلة .. ثم بدأ يبعدنى عن أصدقائه وزوجاتهم بعد أن هودنى على الاندماج فيهم ، حتى يظل محتفظا بآلمى فى الزواج به .. حتى يجعلنى أشعر بأننا فى يوم ما سنكون مثل هؤلاء .. زوجا وزوجة .. أنه يخيفنى الآن .. يبتعد بعلاقتنا عن المجتمع .. كأنها شىء لن يعترف به المجتمع أبدا ..

ولم أكن أستكت على هذه السخافات دائما ، كنت أقاومها بعنف .. وكنت أخاصمه أياها .. ومرتين أو ثلاث مرات جئت .. وفى جنونى عدت أآاول أن أتصل بهاشم كآنى استقيث به .. أدركت رقم تليفونه .. الرقم القديم الذى أعرفه .. ثم

اتفقت برهة لأذكر نفسى بأن الرقم قد تغير .. فعدت أتصل به لى البيت .. ومسحت فى وجه أخته :

— آدينى أخوكى .. خلىنى أكله .

وردت أخته كأنها لا تعرفنى ، ولا تريد أن تعرفنى :

— آسفة يا أفندم .. الدكتور مش موجود ..

ثم ألتقت السماعة ..

وصرخت ..

صرخت يومها كثيرا ، وأنا أشد شعمرى .. والطم على

أخذى .. كنت أصرخ على خيبتى .. على غبائى .. على ضغنى .

كنت أصرخ لأنى فقدت هاشم ، ولم أتزوج محمد ..

وأخيرا ..

استسلمت ..

أقنعت نفسى بأنى لن أتزوج محمد .. ما حاجتى الى الزواج

من محمد أو من قبره .. كده أحسن .. لا ينقصنى شىء .. عندى

بيت ، ورجل .. كل ما ينقصنى ورقة .. ورقة ليس لها قيمة ..

أنها ورقة .. ورقة تطلق البرودة والجفاف والمآل فى حياة كل

رجل وآمرأة يملكانها .. ورقة لا يمكن أن تزيدنى شيئا ، ولا يمكن

أن تحبينى من شىء .. ورقة يستطيع الرجل أن يمزقها فى أى

وقت ، ثم يدفع المؤخر والنفقة .. وأنا آأخذ المؤخر مقدما ..

والنفقة ..

وبدأت آأخذ نقودا من محمد .. ولكن محمد لا يدفع بنفس

البساطة التى كان يدفع بها هاشم .. أنه يحسب حساب كل

قرش .. ويحس بكل قرش .. ويطلببنى بالبضاعة كاملة

يطلببنى بكل دقيقة من عمرى ..

وكنت قد اتفقت مع محمد على أن يغير شقته التى تقسع

بجوار شقة هاشم .. حتى أبتعد عن كل ما يثير ذكرياتي .. ويثير  
احساسى بالاشياء الصغيرة ..

واستأجر محمد شقة فى مصر الجديدة .. وتليفون ..

وبعد مدة ، تركت الشقة التى يستأجرها لى أبى .. قطعت  
آخر خيط يربطنى بعائلتى .. وانتقلت الى شقة محمد .. عشت  
فيها .. عدت الى مصر الجديدة .. الحى التى تركته وأنا ابنة  
عائلة كبيرة محترمة ، عدت اليه بلا عائلة .. لاكريمة ولا محترمة ..

وعشت فى وهم نستجته من خيالى .. اوهمت نفسى ان هذا  
البيت بيتى .. وان هذا الرجل زوجى .. وان سيارته سيارتى  
.. وعزيبته عزيبتى .. ونقوده نقودى .. واشتريت دبلة زواج من  
الماس نشئت فى داخلها اسم محمد وعلقتها فى اصبعى .. ولم  
اكن فى كل هذا أحاول ان أقنع الناس بأنى تزوجت محمد .. لا ..  
لم أمد أهتمام بالناس .. ولكنى أحاول ان أقنع نفسى .. كنت  
أحاول ان أضحك على نفسى ..

وليس معنى ذلك أنى طمأنت محمد الى انى لن أتزوجه ..  
لا ..

كنت لا زلت اطالبه بالزواج .. وكنت أخفى ياسى واستسلامى  
فى صدرى .. ولكنى بينى وبينه اتمسك بالامل ، والنع فيه ..  
ولكن هذا الامل أصبح مبهوما على أنه مجرد تبرير لعلاقتنا ..

وما كنت أحرص عليه أكثر من الزواج ، هو الا يتزوج محمد  
فيرى .. كان هذا الاحتمال يجتنى .. وكنت أحرص على ان يعرف  
كل المجتمع الراقى بعلاقتنا ، حتى أسيء الى سمعة محمد بين  
العائلات الكبيرة ، فنفرض العائلات الكبيرة تزويجة من بناتها ..  
وكانت أمه تسمى فعلا الى أن تخطب له .. كنت أسمع عن

تنقلاتها بين البيوت كأنها تستجدى فتاة تنقذ بها ابنها منى ..  
وكنت أقول لحمد ان أمه تخطب له .. فيرد فى برود :

— خليفها تعمل اللى هى عايزاه .. المهم أنا .. وأنا مش  
حاجوز .. أنتى عارفه ان مش ممكن اتجوز غيرك ..

ولكنى لم اكن اسكت ..

كنت أثور .. واطالبه بأن يضمن لى مستقبلى .. وأن يتزوجنى  
رغم ارادة أمه وعائلته .. وكنت أغالى فى ثورتى حتى أزهرق  
انفاسه .. ولكنى لم يتزوجنى .. وجد حلا آخر .. كتب لى  
كبيالة بخسمائه جنيه تستحق الدفع عند المطالبة .. حتى أطمئن  
الى أنه لى بتركنى .. واذا تركنى أستطيع ان اطالبه بالكبيالة ..

وكتب كبيالة أخرى ..

وثالثة ..

أصبحت قيمة الكبيالات التى كتبها لى ألف وخمسمائة جنيه  
.. أكبر من مؤخر صداق أى فتاة من أى عائلة كبيرة ..

ورغم ذلك كنت خائفة ..

الخوف فى قلبى دائما ..

وكنت فى حالات كثيرة انهرد على هذا خوف .. ولكن الخوف

يعود ويظلمنى .. كنت أخاف أن أفقد محمد .. وكأنت تجربتى  
السابقة مع هاشم تزيدنى خوفا .. لقد فقدت هاشم وكنت أعتقد  
أنى لن أفقده أبدا .. وقد أفقد محمد أيضا .. وكان هذا الخوف  
يجبرنى على الاخلاص لحمد .. خصوصا ان محمد ليس كهاشم  
.. هاشم كان مشغولا عنى .. ولم يكن يعيش معى .. ثم أنه  
كان يقتضى دائما بأنى حرة أستطيع ان أفعل ما أريد ، ولا يربطنى  
بشئ أكثر من رغبتى فى الارتباط به .. ولكن محمد ليس مشغولا  
عنى .. أنا عملة الاساسى .. وهو يعيش معى .. ويحاسبنى



على كل لفظة وكل نظرة .. ويطالبني بكل نفس من انفاسي نظير  
كل ملهم يتفقه على ..

مرتين فقط استطعت أن اغلب الخوف .. وانطلق الى رجل  
آخر ..

مرة انطلقت مع حسن .. خطيبي السابق .. انه لا يزال  
الرجل النبيل الذي يفكر تاريخ ميلادي ، وتاريخ اعلان خطوبتنا ،  
وتاريخ نسخ خطوبتنا .. ويحدثني في كل مناسبة بالتليفون ..  
ويرسل لي هدية .. وهو الوحيد الذي اصبح موضع سري ..  
واشكوا له من محمد .. واثق في اخلاصه .. ورغم ذلك لم اكن  
له خلال هذه المدة الا مرة واحدة .. انه صاحب حق على ..

والمرة الثانية كانت صدفة .. كانت مع شاب لبناني ..  
التقيت به عندما ذهبت الى زيارة صديقتي سميرة .. واسمها  
« سمح » .. كنت يومها قد استأذنت محمد لانزل الى البلد لاطوف  
بالدكاكين .. ولكي وجدت نفسي زهقانة ، فمررت على سمح  
في بيتها بشارع معروف .. وكان هذا الشاب هناك .. واخذ  
يعلمني رقصة التويست .. وضحكت كثيرا .. وشجعنتي سمح ،  
كي اضحك اكثر .. ثم تركتني له .. وخرجت لتذهب الى مدام  
ليلي الخبابة لتجري بروقات على الثوب الذي سيظهر به في  
الديفيليه .. ان سمح تشتغل مانيكان .. وكنت لازلت في  
حاجة لأن اضحك اكثر .. وارقص اكثر .. واتحرر من الخوف ..  
وتركت الشاب اللبناني يحرقني .. اني لا اذكر الآن اسمه ..  
ولم اره من يومها ..

واكثر من هذا ، لا شيء .. كنت مخلصه لمحمد .. اخلاصنا  
دام عامين .. وحب هاشم تقلص وتحجر الى ان اصبح كانه  
« كاللو » في قلبي .. لا يؤلني الا كلما ضغطت عليه بالذكريات

.. تماما كما يؤلني الكالو الذي في اصبع قدمي عندما يضغط  
عليه الحذاء ..

ثم ..

تزوج محمد ..

قرأت خبر زواجه في الصحف ..

لقد كان معي في اليوم السابق على زواجي .. ونام عندي ..  
وفي الصباح أبلغني انه مسافر الى العزبة .. وفي الصباح  
التالي قرأت خبر زواجه ..  
وسقطت باردة كالثلج ..

جننت .. ولكنه جنون من نوع جديد .. جنون بارد ..  
أخطر وأشدّ ألما من الجنون الصارخ .. ثم فكرت في أن اقتل  
محمد .. ومرت على صور كثيرة للانتحار .. وصور كثيرة  
للقتل ..

ولكني لم انتحر ..

ولم اقتل محمد ..

ظللت ملقاة على ظهري .. باردة كالثلج .. وعيناي معلقتان  
في السقف .. وانا أشعر بكل شيء يتغير في .. أشعر أن شيئاً  
في عقلي يتغير .. وشيئاً في صدري يتغير .. وشيئاً في معدتي  
يتغير .. بل أشعر أن دمائي تجري في قنوات جديدة .. سرعتها  
تتغير .. ولونها داخل عروقي يتغير ..

ونوبة الجنون تخف .. يخفها اني في كل يوم كنت انتظر  
اليوم الذي يتزوج فيه محمد ..

ومضى يومان لم احاول خلالهما ان اتصل بمحمد او ابحت  
عنه .. وفي اليوم التالي اتصل بي «و بالتليفون .. وسبغت  
صوته بأعصاب باردة ، وقلت وشفقتاى تتحركان كقطعتي خشب :

— مبروك يا محمد ..

وانطلق قائلا كأنه يبكي :

— أعذريني يا ميتو .. انتي عارفه اد ايه أنا قاومت ..  
لغاية أمي ما جات لها ذبحه وكانت حاتموت .. وكان لازم اسمع  
كلامها واتجوز ..

وقاطعته في صوت كالخشب :

— على كل حال .. ده حقك يا محمد ..

قال في حرارة :

— لا .. مش من حقي .. أنا عملت كده علشان أنقذ حياة  
أمي .. أنا ما بحبش الا انتي .. ومش عايز أتجوز .. اللي  
جوزوهالي مش طايقها .. مش قادر أبص في خلقتها ..  
لو عرفتي خالتي حاتعرفني اني متعذب أكثر منك ..  
قلت :

— مسكين ..

قال :

— ما تعملنيش كده يا ميتو .. اشتهيني .. العنى أبويا ..  
بس ما تعملنيش كده ..

قلت :

— انت عارف ان عمري ما احب اشتهم حد ..

قال :

— ميتو .. أنا لازم أشوفك ..

قلت وأنا أهز كفتي بلا مبالاة :

— وماله .. تعالى ..

قال في حماس :

— مسافة السكة حاكون عندك ..

ولم اهتم بأن أترين له ..

بقيت في فراشي كما استيقظت من النوم .. وجاء بعد عشر  
دقائق .. وانطلق في البيت يبحث عني الى ان اصطدم بعيني  
البارفتين ..

وقلت في فتور :

— جيت الالف وخمسميت جنيه ..

وبوغت .. كأنه قد نسي الكبيالات .. وقال وهو يتلثم :

— هو ده كل اللي يهلك يا ميتو ..

قلت في بساطة :

— تعتقد ان فيه حاجة تانيه ممكن تهمني ..

قال وهو يجلس على حافة الفراش :

— حيتا ..

قلت في وقاحة :

— نتكلم في الفلوس ..

قال :

— أنا عايز أوكد لك يا أمينة ان ما فيش حاجة حا تتغير بينا

.. حافضل زي ما احنا .. وحافضل مسئول عنك .. مش

معنى اني اتجوزت اني سبتك .. أبدا اللي اتجوزتها مش حا يكون

لها أهمية في حياتي .. حاجيلك كل يوم .. وحابات عندك ..

ونقدر نتجوز .. حتى لو ما طلقتش اللي اتجوزتها .. انما أنا

ناوي أطلقها .. من قبل ما اتجوزها وأنا ناوي أطلقها .. و ..

قلت في صوت جديد أنا نفسي لم أعوده من نفسي :

— ادفع الفلوس الاول وبعدين نتكلم ..

ونظر الى في تعجب ، كأنه فوجيء بامرأة جديدة امامه ، وقال

في تلثم :

ثم رفع عينيه ، ونظر بهما الى وجهي طويلا .. ثم قال في استجداء :

— اقدر ابوسك ..

وابتسمت ابتسامة لا مبالية ، وقلت :

— بوس ..

وتركته يقبلني .. وتركته يأخذ ما يريد .. ولم أحس به ..  
حواسي كلها ميتة .. ربما ماتت الى الأبد .. وكان كل ما أراه في خيالي ، هو عروسة محمد .. المسكينة .. وينطلق في صدرى صاروخ من الشمانة .. الشمانة فيها .. انى شريرة .. انى أعلم انى شريرة .. وأريد أن اكون شريرة ..

ولا لزوم لكل التفاصيل ..

ان محمد لم يدفع الا خمسمائة جنيه .. دفعها خوفا من الفضيحة .. وأسترد الكمبيوترات الثلاث .. كان هذا أفضل من لا شيء .. وظل يتردد على .. كل يوم .. في الأوقات التي يتردد فيها الأزواج عادة على عشيقاتهم .. ويدفع أجر البيت ، وينفق على ..

ولاحظت أيامها انى بدأت اصنع السوار الذهبى الذى اهدانيه هاشم في معصمى .. وتعلق به عيناى وأنا راقدة في أحضان محمد .. لم أعد أحس بشيء .. الا بكراهيته لهاشم .. وبالكالو الذى تركه في قلبى .. انى لا أكره محمد .. أن محمد ليس الا نتيجة لهاشم .. ولكنى أكره هاشم .. السافل .. دكتور السفالة أكرهه ..

ولم أحتمل طويلا حياتى مع محمد .. تركت البيت ، وانتقلت لأعيش مع صديقتى سمح .. وعكزت في أن أعمل مثلها « مانيكان » ، ولكن كان يجب أن أتبع نظاما خاصا حتى أخس

— بس انتى عارفة انى ما عنديش فلوس اليومين دول ..

قلت في سخرية حادة :

— ما فضليش حاجه بعد المهر والشبكه ؟

قال :

— أنا ما دفعتش مهر ولا شبكه .. امى اللى دفعت ..

قلت كاتنى أهده :

— أنا ما يهمنيش مين اللى دفع .. المهم انى آخذ الفلوس ..

ولا ناقص تودينى محكمه ..

قال في خبت :

— انتى عمرك ما حاندخلى محكمه يا ميتو .. ثم ان المحكمه

مش ممكن نحكم لك في مسائل زى دى .. دى تبقى فضيحه من غير لازمه ..

قلت في حدة :

— قصداك ايه ؟ ..

قال وهو يزفر أنفاسه :

— أنا حادف لك دلوقتى خمسميت جنيه .. وبعدين نتكلم

في الباقي .. انما مش ده المهم .. المهم اننا نفضل مع بعض .. أنا ما اقدرش أعيش من غيرك يا ميتو .. صدقيني .. أنا بأحبك .. واعذريني على اللى عملته .. ما كنتش اقدر اسيب امى ثوبت ..

قلت في هدوء :

— حاتجيب الخمسميت جنيه امتى ..

قال وهو يرخى عينيه :

— بكره الصبح ..

نفسى ، فقد سحنت فى هذه الفترة قليلا .. قوامى مشير .. ولكنه لا يصلح ليكون قوام مانىكان .. وانا لا طاقة لى على انباع نظام خاص لآخرس، نفسى .. ولا طاقة لى على العمل .. انى استيقظ من النوم فى الساعة الثالثة بعد الظهر .. واستمر حتى الصباح فى « الستريو » ارقص ..

« أن » مارلو « مترو دوتيل الستريو صديقى العزيز الآن .. وهو يعرف رقم تليفونى .. ويقدمنى الى كثير من معارفه .. بينهم امريكان ، وانجليز ، وفرنسيين ، وسعوديين ، ولبنانيين ، وكويتيين .. انه يعرف كل العالم .. وهو يأخذ من كل منهم مبلغا يتراوح بين عشرين وعشرة جنيهات .. يحتفظ لنفسه بعشرين فى المائة ويعطينى الباقي .. وهذا خير من ان اعود على وجل واحد .. لم اعد مغفلة حتى اعود على رجل واحد .. ومحمد لا يزال يتردد على .. انه لا يدفع الآن بالشهر ولكنه يدفع بالليلة .. حسن هو الوحيد الذى لا يدفع .. تكفى هداياه .. وهو انسان نبيل .. انى اخجل من ان ابدو امامه كامراة تتقاضى نقودا .. اريد ان اقتنعه دائما بانى لم اصل الى هذا الحد .. وسوار هاشم دائما فى معصى .. و .. و ..

ولكن ، مالنا وهذه السيرة ..

انا وصديقتى سمح نضحك كثيرا .. كل ايامنا ضحكات .. وانا احب الرقص .. استطيع ان اقول انى اصبحت ملكة الستريو .. انى ارقص احسن من البنات الصغار ، رغم انى فى الثلاثين من عمري .. ولكنى اقول انى فى الخامسة والعشرين .. انا لا اكذب .. فانى ارقص كائى بنت الخامسة عشرة .. والعمر يحتسب بالقدرة على الرقص ، لا بالسنين ..

التويست الآن رقصة قديمة ، وكذلك الهالى جالى .. الرقصة الجديدة هى « تشكن » اى رقصة « الفراخ » .. ثم رقصة اللهبو ..

انى احب رقصة الفراخ .. دمها خفيف .. يجمع الراقصون والراقصات فى حلقة .. كل ولد بجانبه بنت .. ويرفعون ايديهم فى حركة دائرية و ..

## انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثانى